جامعة بنغازي
إدارة الدراسات العليا
كلية الآداب
قسم اللغة العربية
شعبة الأدب

أثر شعراء العصر العباسي (أبي تمام والبحتري والمتنبي) في شعر ابن زيدون

إعداد
مرعي أرحومة جمعة الجالي

إشراف
أ.د. محمد فرج دغيم

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الآداب
بتاريخ 17 ربيع الأول 1437 هـ الموافق 28 ديسمبر 2015 م .

جامعة بنغازي

إدارة الدراسات العليا

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

شعبة الأدب

أثر شعراء العصر العباسي (أبي تمام والبحتري والمتنبي) في شعر ابن زيدون

إعداد / مرعي أرحومة جمعة الجالي

لجنة الإشراف والمناقشة :

أ. د. محمد فرج دغيم	مشرفاً رئيساً	التوقيع:
د. منى علي الساحلي	ممتحناً داخلياً	التوقيع:
د. موسى محمد بدر	ممتحناً خارجياً	التوقيع:

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الآداب / جامعة بنغازي، بتاريخ 17 ربيع الأول 1437 هـ الموافق 28 ديسمبر 2015 م .

د. مدير إدارة الدراسات العليا بكلية الآداب

يعتمد / د. مدير إدارة الدراسات العليا والتدريب بالجامعة

" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون "

التوبة : 105

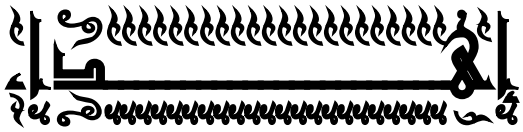

إلى روح والدي الكريم تغمده الله بمغفرته

إلى والدتي الكريمة حفظها الله ورعاها

إلى أسرتي ، وكل عائلتي

إلى رفاق العلم والعمل

إلى كل هؤلاء أهدي هذا الجهد المتواضع .

شكر وعرفان

أشكر الله العظيم وأحمده ، الذي أنعم علي ّ نعماً كثيرة لا أحصي ثناءً عليه سبحانه وتعالى ، ثم أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى أستاذي الأستاذ الدكتور محمد فرج دغيم على ما غمرني به من علمه وفضله ، فقد كان واسع الصدر للبحث وصاحبه ، كريم العطاء ، فإن نصائح أستاذي وإرشاداته سهلت الطريق أمامي كثيراً ، وذللت الكثير من العقبات ، فأسأل الله ـــــــ عزَّ وجل ـــــــ أن يبارك لنا في علمه وعمره ، ويجزيه عنا خير الجزاء.

والشكر موصول إلى أستاذيّ الفاضلين ، على قبولهما مناقشة هذه الرسالة وتقويمها ، فأسأل الله أن يجزيهما خير الجزاء.

كما أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى كل أساتذة اللغة العربية بجامعة بنغازي .

فهـــرس المحتـــــــــويات

ت	المـــــــوضـــــوع	الصفحة
1	ـ الآيـــــــــــــــــة	أ
2	ـ الإهـــــــــــــــداء	ب
3	ـ الشكـــــــــــر والتقديـــــــــــــر	ج
4	المحتويات	د
5	المقدمـــــة	1
6	**التمـــهيـــد**	
7	أولا: سبب اختيار الشعراء (أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي)	4
8	ثانياً : حياة ابن زيدون الاجتماعيـة والسياسيـــة والثقافيـــة	6
9	ثالثاً: طـــرق الاتصـــــال بيـــن المشـــــــرق والأنـــدلس	13
10	رابعاً: قضـــــيـــة التـــــأثـــــر	19
11	خامساً: أبو تمـــام والبحتـــري والمتنبـــي في أدب ابن زيدون	23
12	**الفصل الأول :أثر شعراء العصر العباسي (أبي تمام والبحتري والمتنبي) في شعر ابن زيدون من حيث المضمون**	
13	المبحث الأول: أثر معاني شعراء العصر العباسي (أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي) في شعر ابن زيدون	25
14	أولاً : أثر معاني أبي تمام ، في شعر ابن زيدون	26
15	ثانياً : أثر معاني البحتري ، في شعر ابن زيدون	31
16	ثالثاً : أثر معاني المتنبي ، في شعر ابن زيدون	42
17	المبحث الثاني : معارضة ابن زيدون لقصائد أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي	50
18	أولاً : معارضة ابن زيدون لقصائد أبي تمام	54
19	ثانياً : معارضة ابن زيدون لقصائد البحتري	87
20	ثالثاً : معارضة ابن زيدون لقصائد المتنبي	104

21	المبحث الثالث : تضمين ابن زيدون لأبيات أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي	123
22	أولاً : تضمين ابن زيدون لأبيات أبي تمام	124
23	ثانياً : تضمين ابن زيدون لأبيات والبحتري	125
24	ثالثاً : تضمين ابن زيدون لأبيات المتنبي	126
25	**الفصل الثاني : أثر شعراء العصر العباسي (أبي تمام والبحتري والمتنبي) في شعر ابن زيدون من حيث الشكل** :	
26	المبحث الأول : أثر شعراء العصر العباسي (أبي تمام والبحتري والمتنبي) في شعر ابن زيدون في بناء القصيدة	128
27	أولاً : المطلـــــــع	128
28	ثانياً : حســـــن التخلـــص	134
29	ثالثاً : خـاتمـــة القصيـــدة	137
30	المبحث الثاني : أثر شعراء العصر العباسي (أبي تمام والبحتري والمتنبي) في شعر ابن زيدون في المعجم الشعري	140
31	المبحث الثالث : أثر شعراء العصر العباسي (أبي تمام والبحتري والمتنبي) في شعر ابن زيدون في المحسنات الشعرية	170
32	أولاً : الجنـــــــــاس	170
33	ثانياً : الطبـــــــاق	175
34	ثالثاً : التصريع	177
32	رابعاً : الترصيع	179
33	خامساً : حسن التقسيم	183
34	خاتمة البحث	189
35	المصادر والمراجع	193

المقـــــدمة

الحمد لله ولي النعم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين ، و بعد ؛

لقد عاش الأدب العربي في أحضان الأندلس نحو ثمانية قرون ، متأثراً بكل ما فيها من مظاهر الحياة بجوانبها السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، حيث جمعتهم وحدة الدين واللغة والتراث ، وقد دلت الرحلات بين المشرق والأندلس ، ودخول المصنفات المشرقية إلى الأندلس في وقت مبكر على ذلك التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب .

وبوصول تلك المصنفات ، والدواوين إلى الأندلس في وقت مبكر ، تلقفها الأندلسيون دراسة ، وشرحاً ، وتقليداً ، فحاكوهم واحتذوا حذوهم في شتى مجالات المعرفة ، ومن ذلك الشعر الذي ظهرت فيه التأثيرات المشرقية واضحة ، ساعين من وراء ذلك ، إلى المباهاة والافتخار بأن لديهم من الشعراء والأدباء من يفوق شعراء المشارقة وأدباءهم ، قال صاحب الجذوة : " سمعت أبا محمد علي بن أحمد ، وكان عالماً بنقد الشعر ، يقول : لو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلَّا أحمد بن دراج لما تأخر عن شأو حبيب والمتنبي "[1]كما أطلقوا على شعرائهم كثيراً من الألقاب المشرقية لتشابه أشعارهم ، فقالوا عن ابن خفاجة صنوبري الأندلس ، وعن ابن زيدون بحتري الأندلس ، وعن حمدة بنت زياد خنساء الأندلس ، وعن ابن دراج متنبي الأندلس ، وقالوا عن ابن دراج وابن هانئ إنهما نظيران لحبيب والمتنبي ، وإلى غير ذلك من الشعراء .

وإذا كان ابن زيدون قد تسمى بالبحتري ، فهذا لا يعني أنه لم يقتفِ آثار غيره من مشاهير شعراء العصر العباسي أمثال أبي تمام ، وأبي الطيب ، وإنما أخذ يحاكي الشعراء البارعين في العصر العباسي ، ومن هنا آثرنا أن يكون موضوع دراستنا تحت هذا العنوان ـ أثر شعراء العصر العباسي (أبي تمام والبحتري والمتنبي) في شعر ابن زيدون ـ

وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد وفصلين ، وخاتمة ، خصص التمهيد لمناقشة سبب اختيار الشعراء العباسيين (أبي تمام والبحتري والمتنبي) ، وتناول حياة ابن زيدون الاجتماعية والسياسية والثقافية ، ودرس طرق الاتصال بين المشرق والأندلس ، وذلك عن طريق الفتوحات

---

[1]ـ الحميدي ، (أبو عبد الله محمد أبي النصر فتّوح بن عبد الله الأزدي) ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، إدارة إحياء التراث ، 1966 ، ص113 - 114 . " أبو محمد بن علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي " .

والرحلات ، كما ناقش قضية التأثر ، وتتبع المواضع التي أشار فيها ابن زيدون لأسماء أبي تمام والبحتري والمتنبي في أدبه .

وقد تناول **الفصل الأول :** أثر شعراء العصر العباسي (أبي تمام والبحتري والمتنبي) في شعر ابن زيدون من حيث المضمون ، ويشمل ثلاثة مباحث : تناول المبحث الأول : أثر معاني أبي تمام ، و البحتري ، والمتنبي في شعر ابن زيدون ، و عرض المبحث الثاني لمعارضة ابن زيدون لقصائد أبي تمام والبحتري والمتنبي ، وضمَّ المبحث الثالث تضمين ابن زيدون لأبيات أبي تمام والبحتري والمتنبي .

أما **الفصل الثاني :** فعنون بأثر شعراء العصر العباسي (أبي تمام والبحتري والمتنبي) في شعر ابن زيدون من حيث الشكل ، ويضم ثلاثة مباحث : تتبع المبحث الأول ، أثر شعراء العصر العباسي (أبي تمام والبحتري والمتنبي) في شعر ابن زيدون في بناء القصيدة ، وتناول المبحث الثاني ، أثر شعراء العصر العباسي الثلاثة في شعر ابن زيدون في المحسنات البديعية ، وتناول المبحث الثالث ، أثر شعراء العصر العباسي الثلاثة في شعر ابن زيدون في المعجم الشعري .

وقد اعتُمِد في هذه الدراسة المنهج المقارن الذي يقوم على جمع المادة للكشف عن مدى أثر شعراء العصر العباسي في شعر ابن زيدون من الناحيتين المضمونية والشكلية .

الدراسات السابقة : هناك بعض الدراسات السابقة ، أفاد منها الباحث ، أهمها : دراسة الدكتور محمد ابن شريفة تحت عنوان " أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة " وكانت دراسته تدور حول الأسانيد والشروح والآثار النقدية والمعارضات وغيرها من الموضوعات المتعلقة بأبي تمام والمتنبي في الأندلس والمغرب ، ومن الدراسات السابقة كذلك دراسة الباحث إبراهيم بن موسى السهلي (أثر شعراء المحدثين العباسيين في الشعر الأندلسي) ، ولعل هذه الدراسة ، هي الأقرب لموضوع بحثي ، وهي دراسة قيمة ، أفدت منها في بعض الجوانب ، حيث قسم السهلي ، دراسته إلى خمسة فصول : درس في الفصل الأول : علاقة الأندلسيين بالمشرق ، وفي الفصل الثاني : التأثر في غرض المديح ، وفي الفصل الثالث : التأثر في غرض الغزل ، وفي الفصل الرابع : التأثر في شعر الطبيعة ، ودرس في الفصل الخامس : الخصائص الفنية بين شعراء المحدثين العباسيين والأندلسيين ، فقد عالجت هذه الدراسة ، قضية التأثير والتأثر بين المشرق والأندلس بصورة عامة ، ولم يقتصر في دراسته على نماذج معينة ؛ ولذلك حددت

في دراستي ثلاثة شعراء عباسيين ، وشاعراً أندلسياً ، ودرست فيها : التأثر في المعاني ، والمعارضات ، والتضمين ، وبناء القصيدة ، والمحسنات البديعية .

أسباب اختيار الموضوع : لقد دعتني أسباب عديدة لاختيار هذا الموضوع منها :

1 ـ الرغبة في دراسة موضوع يدور في فلك التأثير والتأثر ، أو التضمين والاقتباس ، الذي نجده واضحاً جلياً في أدب ابن زيدون ، فكانت تجول في فكري عدة موضوعات منها روافد الإبداع في شعر ابن زيدون ، المصادر الثقافية في رسائله ، وغيرها ، ومن ثم أقترح علي (الأستاذ الدكتور محمد فرج دغيم) أن تكون الدراسة حول (أثر شعر العصر العباسي في شعر ابن زيدون) .

2 ـ التسمية السائدة التي عرف بها ابن زيدون ، فقد عرف ابن زيدون عند معاصريه ببحتري الأندلس لأنه تأثر به وبمذهبه الشعري في سهولة الأسلوب ، وروعة الموسيقى ، فالتساؤل الذي يطرح ، هل تأثر ابن زيدون بالبحتري فقط أم تأثر بغيره من الشعراء ؟

3 ـ محاولة كشف ظاهرة التأثير و التأثر بين الشعر العباسي والشعر الأندلسي ، وكيف أفاد الشاعر الأندلسي من الأدب العباسي ؟ وهل استطاع أن يحتفظ بشخصيته المتميزة في فنه الشعري ، ومدى مساهمته في إثراء القصيدة العربية الأندلسية .

4 ـ الرغبة الأكيدة في المشاركة في ميدان الدراسات الأندلسية ؛ لقلة الدراسات والأبحاث في الأدب الأندلسي مقارنة بما حظي به المشرق من كثرةٍ في الدراسات .

وأُرفِقَتْ هذه الدراسة بقائمة من المصادر والمراجع ، تمَّ تقسيمها إلى أربع فقرات ، وهي المصادر القديمة ، والمراجع الحديثة ، والرسائل الجامعية ، ثم البحوث والمجلات .

ومهما قدمت هذه الدراسة من نتائج فهي لا تخلو من التقصير ، إذ الكمال لله وحده وما جاء في هذه الدراسة من صواب فهو بتوفيق من الله ، والله ولي التوفيق .

وفي النهاية لا يسعني إلاَّ أن أتقدم بخالص شكري وامتناني إلى أستاذي ، الأستاذ الدكتور محمد فرج دغيم ، على ما قدمه إليَّ من نصائح غالية وتوجيهات سديدة ، فقد تعلمت منه الكثير وما زلت أتعلم ، فأسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء ، واللهَ أسْألُ التوفيق والسداد ، فهو ولي ذلك والقادر عليه .

الباحث

أولاً : سبب اختيار الشعراء الثلاثة: "أبي تمام و البحتري و المتنبي"

قارن بعض الأدباء ، والنقاد بين هؤلاء الشعراء العباسيين الذين برزوا في عصرهم ، وفاقوا من سواهم شهرة ، وشعراً ، فوازن الآمدي بين أبي تمام والبحتري ، وألف القاضي الجرجاني كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه ، وقارن ابن الأثير بين هؤلاء الشعراء الثلاثة في كتابه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، فرأى إنه لم يتميز أحد من هؤلاء على قرينيه ، فقال:" وهؤلاء هم لات الشعر وعزّاه ومناته الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته ، وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء ، وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء"[1].

فقد قال في أبي تمام : " ...أما أبو تمام فإنه ربُّ معان ، وصقيل ألباب و أذهان وقد شهد له بكل معنى مبتكر ، لم يمشِ فيه على أَثر ... فمن حفظ شعر الرجل و كشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعنَّة الكلام ، وكان قوله في البلاغة ما قالت حذام"[2] .

وقال في البحتري : " وأمَّا أبو عبادة البحتري فإنه أحسن في سبك اللفظ على المعنى ، وأراد أن يشعر فغنى ، ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الإطلاق"[3]

وقال في المتنبي : " وأما أبو الطيب المتنبي فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام فقصرت عنه خطاه ...لكنه حظي في شعره بالحكم والأمثال ، واختص بالإبداع في مواقف القتال"[4].

وقد سئل أبو الطيب عن البحتري أبي تمام وعن نفسه فقال : أنا و أبو تمام حكيمان ، والشاعر هو البحتري [5] ، ولم ينتهِ المعري إلى هذا الحكم إلاّ بعد أن خبر شعرهم خبرة عميقة ، وبعد أن شرح دواوينهم شروحاً مستقلة ، فأملى على شعر أبي تمام ذكرى الحبيب ، وأملى على شعر البحتري عبث الوليد ، وعلى شعر المتنبي معجز أحمد . وقال ابن الأثير: " ولسائل ههنا يسأل لما عدلت عن هؤلاء الثلاثة دون غيرهم؟ ، فأقول: إني لم أعدل إليهم اتفاقا ، وإنما عدلت إليهم نظراً واجتهاداً، وذلك إني وقفت على أشعار الشعراء قديمها و حديثها حتى لم أترك ديواناً لشاعر مفلق يثبت شعره على المحك إلا و عرضته على نظري ، فلم أجد أجمع من ديوان أبي تمام و أبي الطيب المتنبي للمعاني الدقيقة ، و لا أكثر استخراجاً منهما للطيف الأغراض و المقاصد ، و لم أجد تهذيباً للألفاظ من أبي عبادة و لا أنقش ديباجة ، و لا أبهج سبكاً ،فاخترت

---

[1]- ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي ، والدكتور بدوي طبانة ، دار نهضة مصر - القاهرة (د - ت) ، 226/3 - 227 .

[2] - المصدر نفسه ، ص 227 .

[3]- المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

[4] - المصدر نفسه ، والصفحة نفسها.

[5] - المصدر نفسه والصفحة نفسها .

دواوينهم لاشتمالها على محاسن الطرفين من المعاني والألفاظ" [1] ، فهؤلاء الشعراء عاشوا أفضل حقبة ، وأزهى عصور الأدب وهو العصر العباسي (133 – 656) هـ ، الحافل بشتى التيارات الفكرية ، والعلمية ، والأدبية ، بل هو عصر النهضة والازدهار في الآداب العربية ، وكانوا يمثلون ثلاث مدارس مختلفة الرؤى تقريباً . فأبو تمام شاعر الصنعة ، والبحتري شاعر الطبع والموسيقى ، والمتنبي شاعر الحكمة .

ومن ناحية أخرى أن هؤلاء الشعراء العباسيين يمثلون حركة الشعر القديم المحدث ، وهي حركة تزعمها أبو تمام والبحتري ، ووصلت غايتها ، وأوجها عند المتنبي ، وهو الوقت الذي ظهر فيه شعر جدير بهذا الاسم في الأندلس [2].

وانطلاقاً من هذا التقديم الموجز لهؤلاء الشعراء العباسيين ، سنبحث في مدى تأثر ابن زيدون بهم ومدى ارتوائه من معينهم الجم .

---

[1] ـ المرجع السابق ص 229 .

[2] ـ ينظر ، هيكل ، أحمد ، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، دار المعارف ، الطبعة الثامنة ، 1982 ، ص 196 . و جومث ، إميليو جارثيا ، الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1969 ، ص 16 .

ثانياً : حياة ابن زيدون الاجتماعية والثقافية والسياسية

أـ حياته الاجتماعية :

نسبه ومولده : هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي ، ولد بقرطبة سنة 394 هـ لوالدين هو وحيدهما ، وهو سليل أسرة اشتهر أفرادها بالعلم والأدب ، وكانت هذه الأسرة تنتمي إلى أصل رفيع فهي تنتسب لمخزوم من قبيلة قريش ، وهي من القبائل التي وفدت على الأندلس ، وتوطنت في جهات قرطبة [1].

أسرته : أبوه ، عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي ، كان فقيهاً ذا مكانة علمية ، ودينية محترمة ، كما كان مستشاراً لقاضي قرطبة ، اهتم هذا الفقيه بابنه الوحيد منذ نعومة أظفاره ، فأحضر له الأدباء ، والمثقفين ، ووصله بالعلماء والفقهاء من أصحابه ، حيث كان هو نفسه أحد أساتذته ، إذ كان متفنناً في ضروب العلم ، جم المعرفة باللغة والآداب ، على أن تلمذته له لم تطل ، فقد توفي وابنه في الحادية عشرة من عمره ، وذلك سنة 405 هـ ، و بعد ذلك كفله جده لأمه القاضي أبو بكر محمد بن إبراهيم بن سعيد القيسي ، فأخذ عن جده هذا أيضا شيئا من العلم ، و قد كان من شيوخه : الفقيه القاضي أبو العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان و أبو بكر مسلم بن أحمد القرطبي النحوي[2].

أمه : لم تذكر ـ حسب علمي ـ كتب الأدب والتاريخ شيئاً عن حياتها ، ولكن يبدو " أنها عاشت حتى سنة 426 هـ وهي السنة التي فر فيها ابن زيدون من سجنه ، حيث خاطبها في سجنه أثناء زيارتها له " ، قائلاً :

أَمـــــقتولة الأجفانِ مالكِ والــهاً ألم تُرِكِ الأيَّامُ نجماً هوى قَبلِـــــــي ؟
أقلِّي بُكاءً ، لستِ أوَّلَ حـــرّةٍ طوتْ بالأسى كشحاً على مضضِ الثُّكلِ
وفي أم موسى عبرةٌ إذ رمت به إلى اليمِّ في التابوت فاعتبري واســـلي[3]

وذكرها مرة أخرى في إحدى رسائله ، فقال : " ... وقد هجرت الديار التي هي ظئري ، والأرض التي هي مهادي ، وغبت عن أم أنا واحدها ، تمتد أنفاسها شوقاً إليَّ ، وتغص أجفانها حزناً عليَّ ، والله يرى بكاءها ، ويسمع لي على من ظلم نداءها "[4].

---

[1]ـ ينظر ، الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الأرناؤوط ـ و تركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى ، 2000 ، الجزء السابع ، ص 56 . وينظر ـ أيضاً ـ كتابه تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، 1969 ، ص 6 .

[2]ـ عبد العظيم ، علي ، ابن زيدون عصره وحياته وأدبه ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط / 1955 ، ص 97 – 118 .

[3] ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، شرح وتحقيق علي عبد العظيم ، نهضة مصر ، 1957 ، ص264 ، فالشاعر في هذه الأبيات يناجي أمه على كثب ، ويناشدها بأن تتحلّى بالصبر ، وتتأسّى بما أصاب أم موسى عليه السلام .

[4]ـ ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ـ بيروت ، ط / 1997 ، 1 / 417 .

أبناؤه : لابن زيدون ابنٌ يكنى بأبي بكر ، وقد تقلد وزارة المعتمد بن عباد بعد أبيه ، وكان قد انتقم لأبيه من ذي الوزارتين ـ ابن عمار ـ منافس ابن زيدون في دولة بني عباد ، وقد قتل أبو بكر عندما استولى يوسف بن تاشفين على قرطبة سنة 484 هـ [1]. ولابن زيدون بنت ماتت صغيرة ، فوقف ابن زيدون لاستقبال المعزين ، وكان رغم حرج الموقف يرد على كل معزٍّ بعبارة [2] " فما سمع يجيب أحداً بما أجاب غيره ؛ لحضور جنانه و سعة ميدانه " [3].

أحفاده : قتل أبو بكر وترك ولدين هما :

1 ـ أبو الوليد أحمد بن زيدون سمي الشاعر ، وهو صاحب كتاب في التاريخ عنوانه (التبيين في خلفاء بني أمية بالأندلس) نحا فيه منحى المسعودي في كتابه (التعيين في خلفاء المشرق) ، وقد أخطأ الباحثون ـ حسب ما قاله الدكتور جمعة شيخة ـ عندما نسبوا هذا الكتاب للشاعر الجد ، بينما هو لحفيده وسميه [4].

2 ـ زيدون وهو الابن الثاني لأبي بكر ، ذكر بمناسبة إملاء أخيه عليه كتاب التبيين [5].

صفاته : وصف ابن زيدون بأنه فتى الآداب وعمدة الظرف ، ذو الأبوة النبيهة ، والوسامة ، والدراية ، وقوة العارضة ، والافتنان في المعرفة[6] ، قال عنه ابن بسام : " فأما سعة ذرعه ، وتدفق طبعه ، وغزارة بيانه ، ورقة حاشية لسانه ، فالصبح الذي لا ينكر ولا يرد ، والرمل الذي لا يحصر ولا يعد " [7] ، و قال الصفدي : و" هذا من التوسع في العبارة ، والقدرة على التفنن في أساليب الكلام ، وهو أمر صعبٌ للغاية وأقل من كان في تلك الجنازة ـ وهو وزير ـ ألف رئيس ممن يتعين عليه أن يشكر له ، فيحتاج إلى ألف عبارة للشكر ، وهو كثير لاسيما من محزون مثله " [8] .

حبه لولادة : أحب ابن زيدون ـ أيام شبابه ـ الأميرة ولادة بنت المستكفي بالله ، وإنّ قصّة حبه لها تعد واحدة من أجمل قصص الحب في تاريخ الأندلس وفي تاريخ الأدب العربي بصفة عامة وقد اشتهرت ولادة بجمالها ، وثقافتها العالية ، وكان لها مجلس بقرطبة يجتمع فيه أشهر المثقفين والشعراء والأدباء. وكان ابن زيدون من أولئك الأدباء الذين يترددون على مجالسها الأدبية ، يقول ابن بسام : " وكانت من نساء أهل زمانها واحدة أقرانها ، حضور شاهد وحرارة

---

[1]ـ ينظر ، المصدر السابق ، 1 / 339 .
[2]ـ المصدر نفسه الصفحة نفسها .
[3]ـ المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
[4]ـ ينظر ، شيخة ، جمعة ، عصر ابن زيدون ،، مؤسسة البابطين ، الكويت ، 2004 ، ص223 . وكان المقري قد نسب هذا الكتاب لابن زيدون الجد . ينظر : المقري ، أحمد بن محمد ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ـ بيروت ، 1988 ، ج3 /182 .
[5]ـ شيخة ، جمعة ، عصر ابن زيدون ، ص223 .
[6] ـ ينظر الذخيرة ، 1 / 137
[7]ـ المرجع نفسه ، 1 / 339 .
[8] ـ المقري ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، ج3 /565.

أوابد ، وحسن منظر ومخبر ، وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر ، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر ، يعشو أهل الأدب إلى ضياء غرتها ، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها إلى سهولة حجابها وكثرة منتابها ، وتخلط ذلك بعلو نصاب ، وكرم أنساب ، وطهارة أثواب "[1] ، وقد نظم ابن زيدون فيها كل غزلياته ، ولم يعرف أنه أحب سواها ، وقد وصف أول لقاء لهما بقوله : " فلما قدر اللقاء وساعد القضاء كتبت إليَّ :

تَرقَّـــبْ إذا جنَّ الظَّلامُ زيارتِـي فإنّي رأيـــتُ اللَّيلَ أكتم للسِّر

وبِي منك ما لو كان بالبدْرِ ما بـــدا وباللَّيلِ ما أدْجَى وبالنَّجْمِ لم يسْرِ

فلما طوى النهار كافوره ، ونشر الليل عنبره ، أقبلت بقد كالقضيب ، وردف كالكثيب ، ... فلما انفصلت عنا صباحاً أنشدتها ارتياحاً :

ودَّعَ الصَّبْرَ مُحبٌّ ودَّعَكْ ذائِعٌ من سِرِّه ما اسْتَوْدَعَكْ

يقرعُ السّنَّ على أنْ لم يكنْ زادَ في تِلكَ الخُطا إذْ شيَّعَكْ

وتتابعت اللقاءات في حدائق قرطبة الظليلة أوقاتاً هنيئة ، وحدث أن افترقا إلى حين ، فكتبت إليه تقول :

ألاَ هَـــلْ لَنَا مِنْ بَعْـدِ هَـــذَا التَّفَرُّقِ سَبيلٌ ؛ فيشْكُو كُلُّ صَبٍّ بِما لَقِي ؟

وَقَدْ كُنتُ ـ أوْقاتَ التَّزَاورِ في الشِّتا ـ أبِيْتُ على جمْرٍ مِنَ الشَّوقِ مُحْرِقِ

فأجابها بقوله :

لحَا اللهُ يومـاً لَسْتُ فيه بِمُلتَـــقٍ مُحَيَّاكِ من أجْلِ النَّوى والتَّفرُّقِ

وكيفَ يَطِيبُ العَيشُ دُونَ مَسَرَّةٍ ؟ وَأيُّ سُـرُورٍ لِلْكَئيبِ المُـؤرَّقِ؟

وعادا إلى اللقاء ولكن ولادة لم تلبث أن تغيرت فتمنعت عليه وهجرته ، ولا أحد يدري سبب هذه القطيعة ، ولكن ابن بسام أشار إلى أن ابن زيدون قد طلب من (عتبة) أن تعيد صوتاً غنته ، فغضبت ولادة غضباً شديداً إذ ظنت أنه يغازلها وسرعان ما أنشدت :

لو كنتَ تُنصفُ في الهوى ما بيننا لم تَهوَ جارِيتِي ولـم تتـــخيَّرِ[2]

وتركتَ غُصـــناً مُثْمِراً بجــمالِهِ وجَنَحْتَ للغُصنِ الذي لم يثمِرِ

ولقـد علِمتَ بأنَّـنِي بَـــدرُ السما ولكنْ دُهِيتَ لشِقْوتِي بالمشتري

وقد نافسه في حبها الوزير ابن عبدوس قال الصفدي : " وكانت ولادة أولاً تهوى ابن زيدون ثم مالت عنه إلى الوزير ابن عبدوس ، وكان يلقب بالفار ، فقال ابن زيدون :

---

[1]- الذخيرة ، 1 / 429 .

[2]- الذخيرة ،1 / 430 - 432 . وكذلك ينظر ديوان ابن زيدون : ص 33 ، 167 ، 174 .

أكْرِمْ بِوَلاَّدةٍ ذُخْراً لِمُدَّخِرٍ لو فَرَّقَتْ بين بَيْطارٍ وعطَّارٍ"[1]

إلى أن قال :

أَكْلٌ شَهِيٌّ أصَبْنَا من أطَايِبِهِ بَعْضاً ، وبَعْضاً صَفَحْنَا عنه لِلفَارِ

وقد كتب إليه على لسان ولادة ، رسالته الهزلية ساخراً منه ، واصفاً إياه بأقبح النعوت ، قائلاً له : " أيها المصاب بعقله المورط بجهله ، البين سقطه ، الفاحش غلطه ، العاثر في ذيل اغتراره..."[2] ، ولعل هذه الرسالة أحد الأسباب التي سجن على إثرها .

ب ـ حياته الثقافية :

آثاره وأدبه: قال ابن بسام : " كان أبو الوليد صاحب منثور ومنظوم ، وخاتمة شعراء مخزوم ، أحدُ من جر الأيام جراً ، وفاق الأنام طراً ، وصرف السلطان نفعاً وضراً ، ووسع البيان نظماً ونثرا، إلى أدب ليس للبحر تدفقه ، ولا للبدر تألقه ، وشعر ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم الزهر اقترانه ، وحظ من النثر غريب المباني ، شعري الألفاظ والمعاني "[3]

1 ـ **شعره** ، لابن زيدون ديوان شعر مطبوع ، يحوي العديد من الأغراض تنوعت بين الغزل، والمديح ، و الإخوانيات ، والرثاء ، والوصف ، والخمريات ، والحنين إلى الوطن ، والمطيّرات[4]، والهجاء ، والعتاب .

2 ـ **نثره**، ويتمثل في رسائله التي من أشهرها ، الرسالة الهزلية التي بعثها إلى الوزير ابن عبدوس منافسه في حب ولادة ساخراً منه ، وقد شرحها ابن نباته في كتابه (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) ، والرسالة الجدية التي بعث بها إلى أبي الحزم بن جهور مستعطفاً ، وطالباً عفوه ، وقد شرحها الصفدي في كتابه (تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون) ، وله رسائل أخرى ، منها رسالة بعث بها إلى أستاذه أبي بكر مسلم بن أحمد ، بعد فراره من السجن راجياً منه أن يبذل شفاعته لدى أبي الحزم بن جهور ، وهذه الرسالة هي أقوى رسائله جميعاً من الناحية الفنية [5]. وله رسالة بعث بها إلى المظفر بن الأفطس ، ورسالة بعث بها إلى أبي عامر بن مسلمة ، وله رسالتان بعث بهما إلى المعتضد[6].

---

[1]ـ تمام المتون ، ص 12 . ، والأبيات في ديوان ابن زيدون ص 196 ، البيطار : طبيب الدواب . العطار : تاجر العطر .الفار : لقب لابن عبدوس .

[2]ـ ابن نباته ، المصري ، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ت محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ،1964 ص3 ـ 9 .

[3]ـ الذخيرة ، 1 / 336 .

[4]ـ المطيرات : نوع من المطارحات الشعرية ينهض على الأحاجي والألغاز وتدور كلها على أسماء الطيور ، ولكل طائر حرف يرمز إليه وقد تتغير الرموز بتغير القصائد . وقد دارت هذه المطارحات بين الشاعر والمعتمد بن عباد إلاَّ مطارحة واحدة دارت بين الشاعر وأبي طالب بن مكي .

[5]ـ عبد العظيم ، علي ، ابن زيدون عصره ـ حياته ـ وأدبه ، ص418 .

[6]ـ الذخيرة ، 1 / 397 ـ 417 .

ولابن زيدون نثر وصفي تناثر بين ثنايا الكتب ، منه ما جاء في الذخيرة " كنت في أيام الشباب ، وغرة التصابي ، هائماً بغادة تدعى ولادة "[1] ، إلى غير ذلك من النثر .

ج ـ حياته السياسية :

1- في بلاط أبي الحزم بن جهور: كان ابن زيدون من الصفوة المرموقة من شباب قرطبة ، وقد أسهم بدور رئيس في " نشأة الدولة الجَهْوَرِيّة "[2]بزعامة ابن جهور، وإن لم يشارك في ذلك بالسيف والقتال ، إلا أنه شارك بدور رئيس في توجيه السياسة وتحريك الجماهير، وذلك باعتباره شاعرًا ذائع الصيت ، وأحد أعلام قرطبة ومن أبرز أدبائها المعروفين ، فسخر جاهه وثراءه وبيانه في التأثير على الناس ، ولما ولي أبو الوليد الأمر بعد أبيه قدمه في الذين أصطنعهم لدولته وأوسع راتبه[3] ، وقد اقترب ابن زيدون من ولادة بنت المستكفي وتولدت بينهما علاقة حب وهيام ، " وأصبح ابن زيدون يلعب في مسرحين لا يخلوان من مزالق ومخاطر : مسرح الحب والشعر في مجلس ولادة ومسرح المناورات السياسية في مجلس أبي الحزم . و لا يخلو القصران من نقمة الحاسدين ودسائس المناوئين ، خاصة إذا اختلطت الأهداف وتضاربت المصالح بين المتنافسين واللاعبين"[4] ، الذين أوقعوا بينه ، وبين ابن جهور ، حتى وصل به الأمر إلى السجن ، وقد حاول ابن زيدون جاهداً أن يبرئ نفسه مما نسب إليه ، فكان مثاله مثال الذئب الذي اتهم زوراً وبهتاناً بدم يوسف عليه السلام ، يقول ابن زيدون :

كان الوشاةُ- وقد مُنِيتُ بإفكِهِمْ - أسبَاطَ يعقُوبٍ وكُنتُ الذيبا [5]

ويبدو أنه ، قضى في سجنه ما يقارب خمسمائة يوم ، وقد أفصح عن هذه المدة مرتين المرة الأولى : في قصيدته التي نظمها في أواخر أيام سجنه ، مادحاً ومستعطفاً بها أبا الحزم بن جهور، يقول فيها :

أَفَصَبْرٌ مِئِينَ خمساً من الأيامِ ؟ ناهيكَ من عذابٍ أليمِ[6]

والمرة الثانية : في قصيدته التي قالها عقب فراره من السجن ، يترجّى بها صديقه أبا بكر بن مسلم أن يشفع له عند أبي الحزم بن جهور ، والتي يقول فيها :

مِئينٌ مِنَ الأيَّامِ خَمْسٌ قَطَعْتُهَا أسِيْراً؛ وإنْ لَمْ يَبْدُ شَدٌّ ولاَ قَمْطُ [7]

---

[1]- المصدر نفسه ، ص430 .

[2]- ابن خاقان ، أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق حسين يوسف خربوش ، مكتبة المنار، ط/1 1989 ، 1 / 209

[3] - الذخيرة ، 1 / 338 .

[4]- المرجع نفسه ، ص 267 .

[5]- المصدر نفسه ، ص330 ، منيتُ : ابتليت ، الإفك : الكذب .

[6]- المصدر نفسه ، ص 282 .

[7]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 289 ، القَمْطُ : ربط يدي الأسير ورجليه .

قد نظم الشاعر خلال فترة السجن " عدة قصائد جميلة تغلب عليها رنة الاستعطاف والحنين والعتاب منها هذه القصيدة التي نقرأ فيها هذه الأبيات فنعلم أن بياض الشيب قد وخط عارضيه قبل أن يخلع برد الشباب وقبل أن يبلغ ثلاثين ربيعاً [1] ، فيقول :

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ عن حالِي فَشَاهِدُها مَحْضُ العِيــانِ الَّذي يُنْبِي عن الخَـبرِ[2]

لم تطوِ بُردَ شبابي كَبــــرَةٌ وأرى بَرقَ المشيبِ اعتلى في عارضِ الشَّعرِ

قبلَ الثّلاثين إذ عهدُ الصِّبا كَثَــبٌ وللشّبيبــة غُصــــنٌ غَيرُ مُهتَصـرِ

ولم يكتفِ ابنُ زيدون باستعطاف قلب ابن جهور بأشعاره فحسب ؛ بل أرسل إليه رسالته الجدية ولكن هيهات لم تجد توسلاته نفعاً ، بل ازداد أبو الحزم بن جهور إعراضاً وصدوداً ، فكأن في أذنيه وقراً مما يقول ، فاشتدت محنته ، وازداد ألمه ، فذهب يقول :

قُلْ للوَزيرِ وقد قَطَعــتُ بمدحِــهِ زمناً فكان السِّــجنُ منهُ ثوابِي[3]

هكذا فشلت توسلات ابن زيدون في استعطاف الأمير حتى تمكن من الفرار من سجنه إلى إشبيلية ، فلقي الشاعر بإشبيلية " صدراً رحباً حيث أدناه المعتضد منه وقربه إليه وغمره بعطفه . ولكن نفس الشاعر كانت تجذبه إلى قرطبة موطن صباه ومسرح هواه "[4] ، فاستخفى بضاحيتها الزهراء ، وبعث إلى أستاذه أبي بكر مسلم بن أحمد ، برسالة راجياً منه أن يبذل شفاعته لدى أبي الحزم بن جهور، فما لبث الأمير أن عفا عنه ، فعاد إلى قرطبة ، ولم تمضِ بضعة أشهر حتى توفي الأمير، وتولى ابنه أبو الوليد بن جهور ـ صديق الشاعر الحميم ـ الحكم فبدأت حينها صفحة جديدة من حياة الشاعر، ينعم فيها بالحرية والحظوة والمكانة الرفيعة .ولكن خصوم الشاعر ومنافسيه لم يكفوا عن ملاحقته بالوشايات والفتن والدسائس حتى اضطر ـ في النهاية ـ إلى مغادرة قرطبة إلى إشبيلية .

2 ـ في بلاط بني عباد : في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة انتقل ابن زيدون عن قرطبة إلى المعتضد صاحب إشبيلية ؛ فاحتفى به احتفاءً رائعاً وجعله من خواصه وجلسائه ، و ولاه الوزارة[5] ، وقد أسبغ الشاعر على أميره أروع المدائح التي تذكرنا بمدائح المتنبي في سيف الدولة الحمداني ، ومن أشهر مدائحه في المعتضد قصيدته التي مطلعها :

أَمَا في نسيمِ الرّيحِ عَرفٌ مُعَرِّفُ لنا هل لِذاتِ الوقفِ بالجزعِ موقِفُ [6]

---

[1]ـ الركابي ، جودت ، في الأدب الأندلسي ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، 1975 ،ص 176 ـ 177 .

[2]ـ ديوانه ، ص 253 ، 254 ، كثب : قريب ، غصن غير مهتصر : غير مكسور .

[3]ـ ديوانه ، ص591 .

[4]ـ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[5]ـ ينظر ، الذخيرة ، 1 / 339 ، والصفدي ، الوافي بالوفيات ، 7 / 56 .

[6]ـ ديوانه ، ص479 ، العرف : الريح الطيبة ، الوقف : سوار من العاج .

" وقد بقي ابن زيدون وزير المعتضد وشاعره المفضل إلى أن توفي سنة 461هـ ، فلما تولى الملك ابنه المعتمد حظي الشاعر بالمكانة نفسها التي كان يتمتع بها عند أبيه "[1] ، فكان المعتمد تربطه بابن زيدون أوثق صلات المودة والألفة والصداقة، وكان مفتونًا به متتلمذًا عليه طوال عشرين عامًا، وكان بينهما كثير من المطارحات الشعرية العذبة التي تكشف عن ود غامر وصداقة وطيدة ، وقد حاول أعداء الشاعر ومنافسوه أن يوقعوا بينه وبين الأمير الجديد، وظنوا أن الفرصة قد سنحت لهم بعدما تولى المعتمد العرش خلفًا لأبيه، فدسوا إليه قصائد يغرونه بالفتك بالشاعر، ويدعون أنه فرح بموت المعتضد، ولكن الأمير أدرك المؤامرة، فزجرهم وعنفهم[2]، حيث حفظ " الشاعر لمليكه هذا الموقف النبيل فمدحه بقصيدة عرض فيها بحساده ونعتهم بالبغاة ومطلعها :

الدّهرُ ــ إن أملى ــ فصيحٌ أعجمُ يُعطي اعتباري ما جهلتُ فأعلمُ

إن الّذي قَدَرَ الحوادثَ قدرَهــا ساوى لديه الشهد منها العــلقمُ "[3]

إلى غير ذلك من المدائح الكثيرة التي ملأت ديوانه ، هكذا كانت حياة الشاعر في ظلال المعتمد " مفعمة بالمسرة والهناءة "[4] ولم تستطع هذه المسرة والهناءة " أن تنسيه قرطبة أو أن تحد من شوقه إليها ، ولعل الشاعر كان يغري مليكه بالاستيلاء عليها ، وفي سنة 462 هـ هاجم المأمون بن ذي النون ملك طليطلة قرطبة رغبة منه في احتلالها فاستنجد ملكها أبو الوليد ابن جهور بالمعتمد فأرسل إليه جيشاً بقيادة أحد أبنائه ، فانسحب جيش المأمون ، و نزل جيش بني عباد في ضاحية المدينة وأخذ يتصل بأهل قرطبة حتى ثار هؤلاء على ابن جهور واستولى الجيش الإشبيلي على قرطبة ونادى أهلها بالمعتمد ملكاً عليها "[5] هكذا عاد الشاعر إلى قرطبة مع المعتمد قرير العين و كان الشاعر عند ظن أميره به، فبذل جهده في خدمته، وأخلص له، فكان خير عون له في فتح قرطبة ، ثم وقعت الفتنة في إشبيلية ، فسعى المعتمد لإخمادها بتسيير جيش ضخم بقيادة أحد أبنائه ، وأمر ابن زيدون أن يسافر مع الجيش ، لما كان يعهده فيه من ذكاء وفطنة ، وما كان يعرفه من حب أهل إشبيلية له ، فنجح الجيش في اخماد الفتنة هناك ؛

---

[1] ـ الركابي ، في الأدب الأندلسي ، 185 .
[2] ـ المرجع نفسه ، ص175 - 176 .
[3] ـ المرجع نفسه ص 176 . والابيات في ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 312 ، الاعتبار : الاتعاظ أو القياس العقلي .
[4] ـ في الأدب الأندلسي ، ص 176 .
[5] ـ المرجع السابق ، ص 176 .

إلّا أنّ ابن زيدون قد أصابه المرض وأوهنته الشيخوخة، فما لبث أن توفي بعد أن أتمّ مهمته في الخامس عشر من رجب سنة 463 هـ عن عمر بلغ نحو ثمانية وستين عامًا.[1]

ثالثاً :طرق الاتصال بين المشرق والأندلس

أ ـ الفتوحات : فتح المسلمون الأندلس سنه 92 هـ بقيادة طارق بن زياد [2] ، فدخلها الإسلام وانتشر " بسرعة فائقة بين سكان الجزيرة ، ولعل من أسباب ذلك أن الأرقاء كانوا يرزحون تحت نير الأشراف في العهد القوطي ، قد وجدوا الإسلام طريقهم إلى الحرية فاقبلوا عليه ؛ ليفك أغلالهم ويعيد كرامتهم "[3] وكانت فتوحات المسلمين للأندلس هي بدايات اتصال الأندلسيين بالمشرق فبدأ التأثير والتأثر بين القطرين في المشرق والمغرب ، ففي فترة الإمارة عرفت الأندلس " نوعاً من الثقافة كانت بمثابة خيوط الفجر الأولى التي تؤذن بصبح مشرق ، فقد دخل في الأندلس فترة الولاة نفر من التابعين الذين كانوا على حظ من المعرفة الدينية ، وكانوا يصحبون الجند أو يفدون بعد الفتح للإفتاء فيما يعن للمسلمين من أمور الدين كتقسيم المغانم ، وتحديد الضرائب ، وتخطيط المساجد ، وتفقيه الناس ، وأغلب الظن أن هؤلاء قد أسسوا أوائل المدارس الأندلسية حين أنشئت أوائل المساجد في أشبيليه وقرطبة وغيرها "[4]

و كانت عناية هؤلاء الوافدين تدريس كتاب الله وسنة رسوله وعلم الحديث ، فالحياة الثقافية في بدايتها " متواضعة أشد التواضع وأنها لم تكن تتجاوز حلقات في بعض المساجد "[5] وكان موسى ابن نصير إبان فتح الأندلس ، يرسل مع الجيوش الإسلامية " فقهاء يعلمون أهل الديار المفتوحة الإسلام وتعاليمه ، ويحفظونهم القرآن ، ويبصرونهم بالدين الحنيف وتعاليمه "[6] فأخذت الأندلس بهذا التعليم وافتتحت له الكتاتيب منذ عصر الولاة واطرد ذلك طوال الحقب التالية ، وبعد أن استقر الإسلام في الأندلس بدأت قوافل الهجرة نحو الأندلس ، يقول جودت الركابي إن " العرب الذين تحدروا إلى الأندلس جاءوا بطوائفهم الكثيرة ، وقبائلهم المختلفة ومواليهم الذين ينتمون إلى شتى الجنسيات في المشرق ، والبربر ، إنما نزلوها فاتحين"[7]، وقد وفد مع هؤلاء الفاتحين نفر من الأدباء كونوا الخيوط الأولى لفجر الثقافة الأندلسية ، وكان هذا الحظ الضئيل من الأدب بمثابة بذور الأدب الأندلسي ، و منهم من شارك في فتوحات المسلمين

---

[1] ـ ينظر ، ضيف ، شوقي ،ابن زيدون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، (د / ت) ، ص 29 ، وعناني ، محمد زكريا ، تاريخ الأدب الأندلسي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1999 ، ص102 .

[2] ـ ينظر ـ المقري ، نفح الطيب ، 1 / 229 ، وما بعدها .

[3] ـ هيكل ، أحمد ، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، دار المعارف ، الطبعة الثامنة ، 1982 ، ص 37 .

[4] ـ المرجع نفسه ، ص60 . " قيل إنه دخل الأندلس رجل واحد من أصاغر الصحابة ، وهو المنيذر ، ومن النابعين : موسى الأمير ، وعلي بن رباح اللخمي ، وحيوة بن رجاء التميمي " . ينظر نفح الطيب 1 / 277 - 278 .

[5] ـ هيكل ، أحمد ، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ص61 .

[6] ـ ضيف ، شوقي ، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات ـ الأندلس ـ دار المعارف ، 1989 ، ص61 .

[7] ـ في الأدب الأندلسي ، ص 33 .

كالشاعر أبي الخطار- حسام بن ضرار- الذي شهد فتوحات المسلمين " بإفريقيا وأبلوا فيها ، وقد وفد على الأندلس والياً سنة 125 هـ أيام هشام بن عبد الملك ، وكان شاعراً فارساً ، ولذا لقب بعنترة الأندلس " [1] ، ومن شعره في هشام بن عبد الملك هذا البيت :

أَفَأَنْتُم بني مروان قيْساً دِماءنا وفي الله - إن لم تُنصفوا - حَكَمٌ عَدْلُ[2]

وليس لهذا الشعر شيءٌ من الصفات الأندلسية ، " إلا أنه قيل في الأندلس فقائلوه في الحقيقة مشارقة وفدوا على الأندلس فيمن وفد مع الفتح وبعده " [3].

ومن خلال تتبعنا لأدب تلك المرحلة نرى أن النثر أوفر حظاً من الشعر ، " لأن أكثر العرب الفاتحين للأندلس كانوا يمنية ، والشعر إنما نشط على ألسنة العدنانيين "[4] ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نشط النثر لدواعي تقتضيها المرحلة ، كإبرام المعاهدات ، والمراسلات ، أو تحميس المقاتلين وتثبيتهم ، فظهرت الخطابة وكانت " ضرورة تقتضيها ظروف الحرب والنزاع القبلي ، وتطلبها مناسبات سياسية ، ودينية مختلفة ، ولا يمكن أن نتصور المسلمين في الأندلس ، قد عاشوا فترة الولاة دون أن يصغوا إلى الخطباء فهم على الأقل كانوا يستمعون إلى هؤلاء الوعاظ ، والدعاة الذين كانوا يصحبون الجند ويفدون على الأقاليم الجديدة ، ليثبتوا المقاتلين ، ويدعوا للنظام الجديد " [5] ، فمن نثر هذه الفترة ، ما نسب لطارق بن زياد ، في خطبته المشهورة " أيها الناس أين المفر ؟ البحر وراءكم والعدو أمامكم "[6] ، وكان من كتاب تلك الفترة ، أمية بن زيد " الذي دخل الأندلس مع جنود بلج بن بشر، واتصل بخالد بن زيد فجعله كاتباً معه ، وقد اشتغل بالكتابة حتى أيام عبدالرحمن الداخل" [7].

وفي خلال إمارة عبدالرحمن الداخل ، شهد المجتمع نوعا من التقدم " وفتح الطريق للأندلسية الحقة ، ثم كان المجتمع في تلك المرحلة يفتح عينيه على بواكير حضارة أراد الأمويون أن يعيدوا بها حضارة في الأندلس حضارة فقدوها في المشرق "[8]

وهكذا استقرت الأندلس خلال إمارة عبدالرحمن الداخل ، الذى يعتبر المؤسس الأول لهذه الدولة التي استقلت عن الدولة العباسية ، واعتبرت امتداداً لدولة بنى أمية حيث وفد على الأندلس الكثير من الأمويين إما " فراراً من العباسيين ، وأما رغبة في الحياة بالإقليم الإسلامي الجديد المعروف بكثرة الخيرات ، ولا شك أن كثيراً من هؤلاء الوافدين على الأندلس كانوا على

---

[1]- هيكل ، الأدب الأندلسي ، ص 62 .

[2]- ابن الأبار ، (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي) ، الحلة السيراء ، الجزء الأول ، تحقيق د . حسين مؤنس ، دار المعارف - القاهرة - الطبعة الثانية ، 1985 ، 1 / 64 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 64 .

[4]- تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات ، ص 137 .

[5]- هيكل ، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ص 65 .

[6]- المرجع نفسه ص 67 .

[7]- المرجع السابق ، ص 66 .

[8]- المرجع نفسه ص 77 .

حظ كبير من الثقافة ، وقدر عظيم من المعرفة ، ولا شك أن حياتهم بالأندلس ستشيع ثقافتهم ، وتشيع معارفهم ، وتساعد البلاد على أن تخطو في طريق الثقافة "[1]

ب ـ الرحلات : تحدثنا سابقاً عن كيفية تأثر الاندلسيين بالثقافة المشرقية عن طريق الفتوحات الإسلامية وسنتحدث هنا عن نقطة أخرى تبين الصلات الثقافية ، والعلمية بين الأندلس والمشرق ،ألا وهي الرحلات من وإلى الأندلس ، وتعتبر هذه النقطة أعمق أثراً من سابقتها ، والحديث عنها يطول ، ولكننا سنقتصر الحديث على أهم الرحلات التي لها أثرٌ واضحٌ في نشر الثقافة المشرقية في الأندلس .

وفادة المشارقة على الأندلس : ذكر المقَّري في (نفح الطيب) الكثير من الوافدين على الأندلس من أهل المشرق فقال:" اعلم أن الداخلين للأندلس من المشرق قوم كثيرون لا تحصر الأعيان منهم ، فضلاً عن غيرهم ، ومنهم من اتخذها وطناً وصيّرها سكناً إلى أن وافته منيته، ومنهم من عاد إلى المشرق بعد أن قضى بالأندلس أمنيته"[2] فمن هؤلاء الداخلين تابعون وأدباء وغيرهم وفي مقدمة الداخلين مؤسس دولة الأندلس عبدالرحمن الداخل 138-172هـ وكان عبدالرحمن بن معاوية " شاعراً جيد النظم ناثراً فصيح البيان ، قوي الترسل ،عالماً بالشريعة "[3] يروى أنه رأى بروض الرصافة – وهي الضاحية الجديدة التي أنشأها – نخلة منفردة فأثار منظرها في نفسه ذكرى وشجناً فأنشد :

تبدت لنا وسط الر صافة نخلـة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخـــل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى وطول التنائي عن بنيي وعن أهـــلي
نشأت بـــأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الإقصـــــاء والمنتأى مثلي[4]

ومن الوافدين على الأندلس الأديب البارز والمغني المشهور زرياب ، قال المقّري : "....ومن الواردين على الأندلس من المشرق رئيس المغنين أبو الحسن علي بن نافع الملقب بزرياب مولى أمير المؤمنين المهدي العباسي"[5] وكان زرياب تلميذاً لإسحق الموصلي البغدادي فعندما ساءت العلاقة بينه وبين أستاذه ذهب إلى الأندلس في بداية عهد عبدالرحمن الثاني حيث أحله مكانة مرموقة ، لأنه لم يكن مغنياً فحسب ؛ بل كان شاعراً مجيداً ، ويرى جوميث (أن التأثير المشرقي قد بلغ أوجه بوفود علي بن نافع الملقب بزرياب على الأندلس فقد خرج من بغداد ناجياً بنفسه من غيرة أستاذه إسحاق الموصلي ، حيث حمل زرياب إلى الأندلس فيضاً من

---

[1]ـ المرجع نفسه ، ص 78 .
[2]ـ نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، 3 / 5 .
[3]ـ عنان ، محمد عبدالله ، دولة الإسلام في الأندلس ، مكتبة الأسرة برعاية السيدة سوزان مبارك ، 2001 ، 1 / 201 .
[4]ـ المرجع نفسه ، ص 203 .
[5]ـ المقري ، نفح الطيب ، 3 / 122 .

الأنغام المشرقية التي ترجع في مناشئها البعيدة إلى أصول يونانية وفارسية فأصبحت هذه الأغاني الأصل النغمي للموسيقى الأندلسية .[1]

ومن الوافدين على الأندلس أيضاً "أبو علي القالي" : وهو من أبرز الشخصيات الأدبية واللغوية التي وفدت على الأندلس أيام أمير المؤمنين عبدالرحمن الناصر[2]، وكان لقدومه على الأندلس في فترة كان للعلماء الوافدين من المشرق مكانة لا تعدلها مكانة " فالناصر قد أحسن استقبال أبي علي القالي، وأسند إليه تأديب ابنه الحكم ، ومكّن له ليعلم الأندلسيين في قرطبة ، وقد حمل القالي إلى الأندلس كثيراً من علم المشرق وأدبه"[3]. حيث نقل مجموعة ضخمة من دواوين الشعراء الجاهليين والإسلاميين والمحدثين، ومما جلبه القالي معه من شعر المحدثين شعر المتنبي وجزء من شعر أبي تمام[4] ، وغيرهما من مشاهير المحدثين.

الرحلات إلى المشرق : بدخول عبدالرحمن الداخل إلى الأندلس أتيح للأندلس الظروف المواتية للاتصال بالثقافة الإسلامية المشرقية ، ولابد كذلك أن نفراً منهم ذهب إلى مكة حاجاً وعرف - عن طريق الحج ـ المراكز الشرقية[5] وقد ترجم ابن الفرضي في كتابه (تاريخ علماء الأندلس) للعديد من هؤلاء الراحلين إلى المشرق ، حجّاجاً وطلاباً للعلم ، منهم :

بقى بن مخلد : "من أهل قرطبة يكنى أبا عبدالرحمن رحل إلى المشرق فلقي جماعة من أئِمة المحدِّثِين ، وكبار المسندين ، منهم إبراهيم بن محمد الشافعي ، صاحب ابن عيينة ، وأبو المصعب الزُّهري ...، وأحمد بن محمد بن حنبل ...، وسمع بإفريقية من سحنون بن سعد ... ثم عاد إلى الأندلس ، فنشر حديثه ، وقرأ للناس روايته ، فمن يومئذٍ انتشر الحديث بالأندلس ".[6]

كما ترجم الزبيدي في طبقاته لعددٍ من علماء الأندلس الذين تكبدوا مشاق السفر إلى المشرق بغية التحصيل ، وطلب العلم، منهم : عثمان بن المثنى الذي" رحل إلى المشرق ولقي حبيب بن أوس فقرأ عليه شعره وأدخله الأندلس ..."[7] ، وقال ابن الأبّار: أن عثمان بن المثنى :" جمعه مركب في بحر القلزم مع حبيب بن أوس أبي تمام الطائي فأنشده شعره . الذي يقول فيه :

اللهُ أكْبَرُ جَاءَ أكبرُ مَنْ جَرَتْ فَتَحَيَّرَتْ في كُنْهِهِ الأوْهَامُ

وكان هذا البيت مبتدأ الشعر فقال ابن المثنى : شعر حسن لولا أنه لا ابتداء له ، فوقدت في نفس حبيب ، وابتدأ الشعر بقوله :

---

[1] جوميث ، إميليو جارثيا ، الشعر الأندلسي ، بحث في تطوره وخصائصه ، ترجمة د. حسين مؤنس ، ص 24 .
[2] ـ ينظر نفح الطيب ، 3 / 70 - 75 .
[3] ـ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، ص 185 .
[4] ـ ابن خير ، الفهرسة ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري القاهرة ، 1989 ، جـ 2 / 528 ، 529 .
[5] ـ ينظر : بالنثيا ، آنجل جنتالت ، ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ، 1955 ، ص2 .
[6] ـ المصدر نفسه ، 1/ 143 ، 144 .
[7] ـ طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط / 2 ، (د / ت) ، ص 266 .

دمنٌ ألمَّ بها فقَالَ سَلامُ كم حَلَّ عقْدَةَ صَبْرِهِ الإلْمَامُ ؟

ثم أنشده في اليوم الثاني بهذا الابتداء إلى تمامه فقال له ابن المثنى : أنت أشعر الناس ، فعظم في نفس حبيب ".[1]

وممن تجشّم الصعاب ورحل إلى المشرق "زكريا بن أحمد الغساني ، المعروف بابن الأشج حيث " رحل إلى المشرق فسمع بمصر من أبي محمد بن الورد ، وأبي قتيبة سَلْم بن الفضل ، ويعقوب بن المبارك ، وابن ألون ، وأبي محمد الحسن بن رشيق ، وابن أبي الموت ، ولقي بمصر الشاعر أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي، فأخذ عنه ديوان شعره رواية ... وانصرف إلى الأندلس فلم يزل مقيماً بقرطبة إلى أن توفى بها "[2] ، وذكر المقّري في نفح الطيب أنّ من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق أكثر من أن يحصوا فقال :" اعلم – جعلني الله وإياك ممن له للمذهب الحق انتحال – أن حصر أهل الارتحال ، لا يمكن بوجه ولا بحال ، ولو أطلقنا عنان الأقلام فيمن عرفنا فقط من هؤلاء الأعلام ، لطال الكتاب وكثر الكلام"[3] ثم أخذ بعد هذا النص في ترجمته، لهؤلاء الأندلسيين في رحلتهم إلى المشرق للاطلاع على ثقافتهم وعلومهم ثم العودة بها ونشرها في الأندلس ، وقد كان لهؤلاء الراحلين إلى المشرق والوافدين منه أثر عميق في نشر الثقافة المشرقية في الأندلس ، ومما ساعد على نشر الثقافة في الأندلس ما كان يتحلى به حكام الأندلس من الحرص والتشجيع على العلم ، والاقبال على العلوم المشرقية وخاصة مؤلفات العصر العباسي ، فمن الخلفاء الذين اهتموا بالعلم الحكم الربضي 180-206 هـ فقد قيل أنه كان يقرب " الندماء والشعراء" وقد بعث عباس بن ناصح إلى العراق طلباً للعلم ، ولمّا رجع ولاّه قضاء الجزيرة الخضراء ،[4] بالإضافة إلى ذلك " كان شاعراً باسلاً ، وأديباً مفتنّاً ، خطيباً مفوَّهاً ، وشاعراً مجوَّداً ، تُحْذر صولاته ، وتُسْتَنْدَرُ أبياته "[5] و بعد أن خلفه عبدالرحمن المعروف بالأوسط 206-238هـ أهتم بالثقافة فتطلع إلى بلاد العراق ، الأمر الذي لم يفعله اسلافه الأمراء ؛ نظراً للعداء الشديد بين الأمويين والعباسيين ، وأدرك " أنه لا يمكن تنمية بلاده حضارياً إلّا بفتح الباب على مصراعيه لأهل العراق وثقافة أهل العراق"[6] ، التي بلغت في العصر العباسي شأناً كبيراً في مضمار الحضارة بفضل الاتصال بالثقافات الأخرى،

---

[1]- عبد الرحيم ، مصطفى عليان ، - تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري ، مؤسسة الرسالة - بيروت ط1/ 1984 ، ص 48 . نقلاً عن ابن الأبار ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ، التكملة لكتاب الصلة ، نشر عزت العطار الحسيني - القاهرة 1955 ، ص 10 ، 11 . والأبيات في ديوان أبي تمام ، ، شرح الخطيب التبريزي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الثانية ، 1994 ،2 / 72 ، 73 .

[2] - ابن الفرضي ، (أبو الوليد عبد الله بن محمد) تاريخ علماء الأندلس ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1989 ،1 / 214 ، 215 .

[3] - المقري ، نفح الطيب ،3 / 5 .

[4]- ينظر الأدب الأندلسي ، ص 102 - 105 .

[5]- ابن الأبار ،الحلة السيراء ، 1 / 43 .

[6]- الفقي ،عصام عبد الرؤوف ، تاريخ المغرب والأندلس مكتبة نهضة الشرق / القاهرة ، 1984 ، ص 89 .

وتشجيع الخلفاء على الحركة العلمية والثقافية ، فانتشرت المكتبات، وترجمت الكتب الأجنبية إلى العربية ، ونشطت حركة التأليف في شتى العلوم فنبغ في بغداد الكثير من الأدباء والشعراء والعلماء مما " شجع عبدالرحمنُ الأوسطُ العلماءَ على الانتقال والهجرة إلى بلاده ليساهموا في ازدهار الحركة الثقافية"[1]، وبعد أن أسندت الخلافة لابنه محمد بن عبدالرحمن أسهم في نشر الثقافة المشرقية ، فكان "محباً للعلم مؤثراً لأهل الحديث ، عارفاً حسن السيرة "[2] . ثم جاء بعده عبدالرحمن الناصر ، أشهر ملوك بني أمية بالأندلس فكان مغرماً بالكتب والمكتبات فأنشأ مكتبة بقرطبة وهي أجلّ مكتبة كانت في عهدها على ظهر الأرض ، وأودعها ستمائة ألف مجلدٍ ، ولذا كانت الأندلس في زمانه زاهية بالمعارف والعلوم ، وقد وفد إليه إمام اللغة والأدب أبو علي القالي صاحب الأمالي وقيل إنه طرز هذا الكتاب ، وتوّجه باسم الناصر[3].

كما كان الحكم المستنصر من بعده ميالاً إلى العلوم والآداب محباً لها مكرماً لأهلها جمّاعاً للكتب بأنواعها ، وقد قيل أن عدد الفهارس في خزانة العلوم والكتب في عهده بلغت أربعاً وأربعين فهرسة في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر الدواوين[4] وكان الحكم يرسل رجالاً من التجار ويمدهم بالأموال لشراء الكتب وجلبها من بغداد ومصر والمغرب ، فقد ذكر ابن الأبار أن الحكم كان له وراقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف ، ورجال يوجههم إلى الآفاق باحثين عنها ومن وراقه ببغداد محمد بن طرخان ، وقيل : إنه بعث إلى أبي الفرج الأصفهاني ألف دينار عيناً ذهباً ، وخاطبه يلتمس منه نسخة منقحه من كتاب الأغاني قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق أو ينسخه أحد منهم ، وألف للحكم أنساب قومه من بني أمية موشحة بمناقبهم وأسماء رجالهم ، فأحسن فيهم جداً ، وخلد فيهم مجداً[5] هكذا أهتم خلفاء الأندلس بالعلم والعلوم وإنشاء المكتبات واقتناء الكتب والشغف بكل ما هو مشرقي .

---

[1]- المرجع السابق ، ص90 .

[2]- الضبي ، (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ت / 599 هـ) ، بغية المتلمس في تاريخ رجال الأندلس ،أعتنى به إدارة إحياء التراث ، دار الكتاب العربي ،1967 ، ص 15 .

[3]- ينظر ، خوليان ريبيرا ، مقال بعنوان المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية ، ترجمة جمال محمد محرز ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، مايو 1958 ، ص 86 ، 87 .

[4]- ينظر : ابن حزم الأندلسي ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (384 - 456 هـ) جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف - مصر ، الطبعة الخامسة ، 1982 ، 1 / 100 .

[5] - ينظر - الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ،2 / 202 ،203 . وينظر - خوليان ريبيرا ، مقال بعنوان المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية ، ترجمة جمال محمد محرز ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، ص 80 ، 88 . ، وينظر - الفقي ، د . عصام الدين عبد الرؤوف ، تاريخ المغرب والأندلس ، 208 .

رابعاً : قضيـــة التأثـــر

وصلت البذور الأولى للشعر المشرقي إلى الأندلس أثناء الفتوحات ، وبعد ذلك نشطت حركة الوافدين على الأندلس كأبي علي القالي الذي كان له دور بارز في نقل جزء كبير من أدب المشرق ، وخاصة دواوين كبار الشعراء العباسيين من أمثال أبي تمام والمتنبي وغيرهما ، ولعل أبرز وثبة شهدتها الأندلس هي " تعلق بعض الأمراء بالمعرفة ومشاركتهم في ميادين الثقافة ، فقد كان عبد الرحمن الأوسط محباً لمطالعة الكتب ... ومقرباً للعلماء مؤثراً للباحثين باعثاً في طلب الكتب من يجلبها له من الأمصار "[1] ومن هنا نشطت حركة الرحلات إلى المشرق طلباً للعلم والتحصيل ، كما رأينا مع عثمان بن المثنى الذي لقي أبا تمام ، والبحتري ، وغيرهما من الشعراء ، وأدخل دواوينهم إلى الأندلس ، وما فعله ابن الأشج الذي قابل المتنبي في مصر وأدخل ديوانه إلى الأندلس ، ففتح الأندلسيون عيونهم على هذه الدواوين ، وتعاوروها بالشرح والتدريس ، فقد ذكر الزبيدي أن : " محمد بن عبد الله المعروف بابن الأصفر كان له بصر بمعاني شعر حبيب ، وغيره من أشعار المحدثين "[2] ، وقد تركت عناية الأندلسيين بشعر أبي تمام والإقبال على حماسته أثراً لدى شعراء الأندلس ، يقول محمد بن شريفة : " إن العناية برواية شعر أبي تمام ، وحفظه وتدريسه وشرحه ونقده أدت في آخر الأمر إلى تأثيره في الحركة الأدبية والشعرية بالأندلس "[3] ، ومن هنا جعل الأندلسيون شعره نصب أعينهم ، نظراً ، ومعارضةً ، واقتباساً وهذا ما أكده مصطفى عليان عبد الرحيم بقوله : " وقد طغى تأثير أبي تمام في الذوق الأدبي الأندلسي ، فانبرى لمعارضته عدد من الشعراء "[4] .

أما المتنبي ، فقد وصل ديوانه ـ فيما وصل من الدواوين ـ إلى الأندلس فكان أول من أدخله إلى الأندلس ابن الأشج الذي التقى بأبي الطيب خلال إقامته بمصر ، ودرس عليه ديوانه ، ثم عاد إلى الأندلس فأذاعه هناك ، فحظي هذا الديوان بعناية كبيرة عند الأندلسيين حيث عكفوا على دراسته وشرحه ، وقد كان لهذا الديوان الذي تعاوره الشراح الأندلسيون من مثل ابن الإفليلي ، وابن السّيد البطليوسي ، وابن سيدة قوة تأثيرية في الشعراء الأندلسيين لم تحدد معالمها إلا في القرن الخامس الهجري [5]، فشاعت طريقته في الشعر بين الأندلسيين ، وصارت معارضته مجالاً للجودة والبراعة ، ومن كبار الأندلسيين الذين كان شعر المتنبي ملهماً وحافزاً

---

[1]- الركابي ، جودت ، في الأدب الأندلسي ، ص123 .
[2]- طبقات النحويين واللغويين ، ص303 .
[3]- ابن شريفة ، محمد ، أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة ،دار العرب الإسلامي بيروت ، ط /1 ، 1986 ، ص 54 .
[4]- تيارات النقد الأدبي ، 16 .
[5] - ينظر أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة ، ص 108 .

لهم : " أحمد بن دراج القسطلي ، والرمادي ، وابن زيدون الذي تذكر قصائده المدحية في أبي الحزم بن جهور ، وابنه أبي الوليد ، والمعتمد بن عباد بأبي الطيب المتنبي".[1]

هكذا وصلت أشعار أبي تمام والمتنبي والبحتري إلى الأندلس ، وظلت مصدراً لهم يرجعون إليه كلما أرادوا نظم قصائدهم ، يقول ابن بسام : " إن أهل هذا الأفق (الأندلس) أبوا إلا متابعة أهل المشرق يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة ..."[2] فهو يقرر أنهم يتبعون شعراء المشرق ويقلدونهم ، وينظرون إليهم على أنهم المثل الأعلى لهم في الشعر ، وكان لهذه المتابعة ، وهذا التقليد ، والشغف بالشعر المشرقي وخاصة في العصر العباسي ردة فعل عند بعض أدباء الأندلس وجد صداها ، عند أحمد بن طلحة الشقري الذي قال في محفل : " تقيمون القيامة بحبيب والبحتري والمتنبي و في عصركم من أهتدى إلى ما لم يهتدوا إليه "[3] فهو يلومهم على المتابعة و الالتفات إليهم في كل شيء ، ولكن لا ضير في أنهم يفعلون ذلك من تقليد ومحاذاة ، فالحياة الفكرية والأدبية قد بدأت في الأندلس حين كانت الدولة العباسية في المشرق مستقرة ، وكانت بغداد زاخرة بالعلم والحضارة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن الشعر الأندلسي لم يبدأ في النضج والظهور إلا في حدود سنة 200 هجرية ، في حين كان الشعر المشرقي في تلك الفترة " يشهد تجديد بشار ، وأبي نواس ، ويقف على مفترق الطرق بين مذهبي أبي تمام والبحتري ، ولما كان الأندلسيون حينئذ يلتفتون في كل شيء إلى المشرق ، فقد اتخذوا شعر المحدثين مثالاً يقلدونه ، ومناراً يهتدون به ، أي أن الشعر المحدث لا شعر العرب الأوائل هو الأنموذج الكبير الذي استوحوه في أشعارهم ، وليس معنى هذا أنهم لم يعرفوا شعر العرب الأوائل ، ولكن نماذج الشعر المحدث نالت القسط الأكبر من أعجابهم "[4] لأن الشعر العباسي هو ذروة الشعر العربي ، ومن أجل ذلك بقي الأندلسيون ينظرون إلى عباراتهم ، وأساليبهم وحياتهم الفكرية " نظرة مثالية ، فيها الشوق ، وكثير من العز ، وكثير من الرغبة في عدم الابتعاد عن تقاليدهم المرسومة "[5] ومن هنا ظل الشعراء الأندلسيون يقتفون آثار الشعر العباسي لمكانته المرموقة في قلوبهم ، لأنه مهبط الوحي ومهد الفكر العربي المبدع وهذا ما يفسر استشراف كبار الشعراء الأندلسيين ، وتطلعهم للتمثل بزملائهم العباسيين ومحاكاتهم[6] ، والتكني بكناهم ، وقد ظهرت آثار التقليد والمحاكاة جلية عند كبار الشعراء الأندلسيين ، من بينهم ابن زيدون الذي حبس نفسه داخل إطار الشعر العباسي ، وعكف على أغراضهم ومعانيهم

---

[1] ـ تيارات النقد الأدبي ، ص33 .
[2] ـ الذخيرة ، 1 / 379 .
[3] ـ نفح الطيب ، 3 / 307 .
[4] ـ عباس ، إحسان ، تاريخ الأدب الأندلسي " عصر سيادة قرطبة " دار الثقافة بيروت ، الطبعة السابعة ، د / ت ، 47 ، 48 .
[5] ـ في الأدب الأندلسي ، ص45 .
[6] ـ ينظر،هيكل ، أحمد ، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة ، ص 53 .

وألفاظهم ، وخاصة البحتري الذي تأثر به و تسمى باسمه في الأندلس ، ربما لالتقائه معه في مجال العناية الفائقة بالموسيقا والصياغة اللفظيّة ، يقول علي محمد سلامة : " وأفاد شعراء الأندلس كثيرا من مذهب البحتري وعلي رأسهم ابن زيدون في سهولة الأسلوب وإشراق الديباجة حتى لقبه النقاد ببحتري الأندلس "[1]

و يقول ابن بسام : " قال بعض أدبائنا أن ابن زيدون بحتري زماننا " [2] وهو حقاً يشبهه في أفكاره ومعانيه وأساليبه ، ولكنه كان يتتبع غيره من الشعراء ويحتذي على أمثلتهم ، غير إننا إذا تتبعنا شعر ابن زيدون فإننا نجده " يتصف إجمالاً بالتقليد ، تقليد المشارقة بدون تمييز ، فلم يؤثر عنه في هذا المجال التزام بتقليد نموذج شعري دون آخر ، قلّد البحتري خاصةً وأبا تمام ، والمتنبي ، والمعري ، وسواهم "[3] . وهذا ما جعل شوقي ضيف يقول : " والحق أن الإنسان لا يتابع ابن زيدون في شعره حتى يحس بأن هذا الشعر يوشك أن يسقط من ديوانه فيرتد إلى أمكنته من شعر العباسيين "[4] وذلك لشدة إعجابه بشعرهم، ويضيف شوقي ضيف ، قائلاً : و إذا تتبعنا " معانيه ، وأخيلته ، وأساليبه ، وجدنا صورتها العامة هي الصورة العباسية ، وقد عني صاحب الذخيرة ببيان هذا الجانب في شعره فرأيناه يرجع عشرات من أبياته وأشعاره إلى دواوين العباسيين وخاصة البحتري وأبي تمام والمتنبي والمعري "[5] ، ونظراً لشهرة هؤلاء الشعراء ومكانتهم في العصر العباسي " هيمنت مكانتهم على نفوس الأندلسيين حتى سموا شعراءهم بأسمائهم إثباتاً لمكانتهم فكانوا يقولون في ابن زيدون بحتري الأندلس ، وكانوا يقولون في ابن دراج متنبي الأندلس ، وكانوا يقولون في ابن دراج وابن هانئ إنهما نظيران لحبيب والمتنبي "[6] ، يقول الدكتور حسن جاد حسن : " فالشاعر الأندلسي حينما أراد أن ينظم شعراً فهو يحاول أن يكون " شعره كشعر البحتري ، أو أبي تمام ، أو ابن المعتز ، أو المتنبي "[7] ، و يقول : " ونحن إذا رجعنا إلى نماذج الشعر نفسها وجدنا كثيراً منها يصاغ على أنماط مشرقية خالصة ، لا تقتصر على المشابهة في الوزن والروي ، بل في كثير من المعاني والأساليب ، وكأنما القصيدة كلها ليست إلا تلفيقا للمواد الفنية التي تركها العباسيون"[8] ، وقد علل شوقي ضيف سبب إعجاب الأندلسيين بشعراء العصر العباسي ، بقوله : لأنه استقر في أذهانهم " أنّ خير عصور الشعر وأزهاها هو العصر العباسي ، وما ينطوي فيه من شعراء

---

[1]- الأدب العربي في الأندلس تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه ، الدار العربية للموسوعات 1989 ص366 .
[2]- الذخيرة ، 1 / 379 .
[3]- عاصي ، د. ميشال ، الشعر والبيئة في الأندلس ، المكتب التجاري للطباعة والنشر - بيروت ، الطبعة الأولى ، 1970 ، 79 .
[4]- الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، دار المعارف - القاهرة ، ط 1960 ، ص 443 .
[5]- المرجع نفسه ، ص 442 .
[6] - السهلي ، إبراهيم بن موسى أثر شعر المحدثين العباسيين في الشعر الأندلسي ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، سنة 1994 ، ص103.
[7] - ابن زيدون عصره - حياته - أدبه ، المطبعة المنيرية بالأزهر ، القاهرة ، 1955 ، ص 93 .
[8] - المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

عظام أمثال أبي نواس ، وأبي تمام ، والبحتري ، وابن الرومي ، وابن المعتز والمتنبي "[1] و خلاصة القول إن الشعر العباسي وخاصة شعر أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي قد وصل إلى الأندلس وعرف عندهم ، وترك أثراً جلياً في أدبهم ؛ نثراً وشعراً ، لذا فإن كبار الشعراء الأندلسيين ـ وخاصةً ابن زيدون ـ قد تأثروا بهؤلاء الشعراء ، ولم يظهر هذا التأثر في الشعر فقط ، بل ظهر في النثر أيضاً ، كما هو واضحٌ في رسالتي ابن زيدون الهزلية والجدية . وإذا بدا لابن زيدون سمات التقليد للشعر المشرقي وخاصة في العصر العباسي فليس ذلك لعجزه عن الابتكار ــ وإن كان قد ابتكر وجدد ــ بل كانت له شخصيته التي تميزه عن غيره من الشعراء ، يقول الدكتور شوقي ضيف : " كان ابن زيدون يحسن ضرب الخواطر والمعاني القديمة ، أو الموروثة في عملة أندلسية جديدة ، فيها الفن و بهجة الشعر ، وما يفصح عن أصالته وشخصيته "[2] ، ومن أشهر قصائده ، " القصيدة النونية "

أضْحَى التَّنائِي بدِيلاً من تَدَانَينَا ونابَ عن طِيبِ لُقْيَانَا تَجافِينا[3]

قال ـ عنها ـ حسن جاد حسن : " فهي أعظم قصائد ابن زيدون حظاً من الذيوع والشهرة ، وبعد الصيت . ولو لم يكن له سواها لأغنته بهذا الدوي الذي أحدثته في البيئات الأدبية ، وتلك المدرسة التي خلقتها من الشعراء الكثيرين في كل عصر ، الذين أعجبوا بها وعارضوها ."[4]

وقال الصفدي : في حديثه عن قصائده " ... ومن ذلك قصيدته النونية التي سارت في البلاد وطارت في العباد ..."[5] و يقول ابن خاقان : " وهي قصيدة ضربت في الإبداع بسهم وطلعت في كل خاطر ووهم ، ونزعت منزعاً قصر عنه حبيب وابن الجهم "[6] .

حقاً لقد كان ابن زيدون من أشهر الشعراء البارزين في القرن الخامس الذي يعد من أفضل عصور الأندلس ، يقول بالنثيا : فقد كان " عصر الطوائف من أكثر عصور الحضارة الإسلامية في الأندلس تقدماً وازدهاراً في ذلك المجال ـ يعني مجال العلوم والأدب ـ نظراً ؛ لتعدد مراكز الحكم ، واختلاف أهواء الحكام وميولهم "[7] ، وهو من الشعراء الذين قال فيهم أبو جعفر أحمد ابن طلحة ، في أحد المجالس : " تقيمون القيامة لحبيب ، والبحتري والمتنبي ، وفي عصركم من يهتدي إلى ما لم يهتدوا إليه "[8].

---

[1]ـ ضيف ، شوقي ، الفن ومذاهبه ، صـ 438 .
[2] ـ الفن ومذاهبه ، ص 415 .
[3] ـ ديوانه ، ص 141 .
[4] ـ ابن زيدون عصره وحياته وأدبه ، ص 249 ، 250 .
[5]ـ تمام المتون ، ص12 .
[6]ـ ابن خاقان ، أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي ، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، تحقيق حسين يوسف خربوش ، مكتبة المنار ، ط/1 1989 ، 1 / 245 .
[7]ـ بالنثيا ، آنجل جنثالث ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1955 ، ص 78 .
[8]ـ نفح الطيب ، 3 / 307 .

خامساً : أبو تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، في أدب ابن زيدون

ذكر ابن زيدون أسماء كلٍّ من أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، في أدبه وأشار إلى مذاهبهم ، كما أشار إلى أشعارهم في أدبه ، وضمن بعضها . يقول ابن زيدون في رسالته الهزلية : " والمعني بقول أبي تمام ،

فَلَو صوَّرْتَ نَفْسَكَ لم تزِدْها على ما فِيكَ من كَرَمِ الطِّباعِ "[1]

وقد ضمن ابن زيدون في إحدى قصائده شطراً لأبي تمام ، وهو قوله :

فكم رَفَلَتْ فيها الخرائدُ كالدُّمى إذ " العيشُ غضٌّ والزَّمانُ غُلامُ "[2]

فالشطر الثاني لأبي تمام في قصيدته التي مدح بها المأمون ، ومطلعها :

دِمَنٌ ألمَّ بها فقال سلام فكم حلَّ عقدةَ صبره الإلمامُ [3]

إلى أن قال :

وَلَقَدْ أرَاكِ ، فَهَلْ أَرَاكِ بِغبطةٍ والعيشُ غضٌّ والزمان غلامُ ؟

وجاء في الرسالة الهزلية أيضاً : " والمراد بقول أبي الطيب ،

ذُكِرَ الأنامُ لَنَا فكانَ قصيدةً كُنْتَ البَدِيعَ الفَرْدَ من أبْياتِها "[4]

وقال ابن زيدون في إحدى قصائده :

قَدْ قَالَ " شَاعِرُ كِنْدَةٍ " فِيمَا مَضـَى بَيْتاً عَلَى مرِّ اللَيَالِي يُعْلَـــمُ [5]

" لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدّمُ "[6]

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، تحقيق علي عبد العظيم ، ص 65 ، والبيت في ديوان أبي تمام 1 / 408 .

[2] - ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 128 ،

[3]- ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، 2 / 72 .

[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، صـ 652 ، والبيت في ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، ضبطه مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة - بيروت ، 1 / 235 .

[5]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، صـ 310 ، فقوله شاعر كندة : يعني بذلك أبا الطيب المتنبي ، وكندة نسبة إلى المحلة التي ولد بها

[6]- ينظر المرجع السابق ، في الصفحة نفسها ، والبيت مقتبس من قصيدة للمتنبي ، في هجاء ابن كيغلغ ، ومدح أبي العشائر ، ينظر ديوان المتنبي ، 4 / 125 .

ويقول ابن شريفة : " ... وكان ابن زيدون ريّان من شعر المتنبي يستشهد به في نثره ، ويقتبس منه في شعره " وقد عارض قصيدة المتنبي التي مطلعها [1] :

بَمَ التّعَلُّلُ ؟ لا أهْل ولا وطنُ ولا نديمٌ ، ولا كأسٌ ، ولا سكنُ[2]

وذلك في قصيدته التي أولها :

هَلْ تَذْكُرُونَ غَرِيْباً عَادَهُ شَجَنُ ـ مِنْ ذِكْرِكُمْ ـ وَجَفا أجْفَانَهُ الوَسَنُ[3]

فضمن آخرها مطلع المتنبي السابق ، فقال :

وَأَفْرَدتْهُ اللَّيالِي مِنْ أحِـــبَّتِهِ فَبَاتَ يُنْشِدُهَا مِمَّا جَنَى الزَّمَــنُ[4]

" بَمَ التّعَلُّلُ ؟ لا أهْل ولا وطنُ ولا نديمٌ ، ولا كأسٌ ، ولا سكنُ"

كما أشار ابن زيدون في رسالته المظفرية لمذهبي الطبع والصنعة فقال : " وأمددت في النظم بطبع البحتري ، وبصناعة الطائي "[5]

هكذا كان ابن زيدون كثير الإشارة لأشعار أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، ومضمناً لها ، وذاكراً لأسمائهم في أدبه ، ولعلّ من الطريف أنّ ابن زيدون لم يذكر ـ في أدبه ـ اسم شاعرٍ عبّاسيٍ سواهم ، فقد ذكر اسم أبي تمام ، والمتنبي مرتين ، والبحتري مرة واحدة .

---

[1]- ينظر " أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة " ، ص 143 .
[2]- ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، 4 / 233 ، وقد قال هذه القصيدة وهو بمصر عندما حنَّ إلى مجلس سيف الدولة بحلب .
[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، صـ162 .
[4]- المصدر نفسه ، ص163 ، والبيت هو مطلع قصيدة المتنبي المذكورة .
[5]- المصدر نفسه ، ص761 .

المبحث الأول : أثر معاني شعراء العصر العباسي (أبي تمام والبحتري والمتنبي) في شعر ابن زيدون :

تأثر ابن زيدون بالكثير من معاني الشعراء العباسيين كأبي تمام والبحتري والمتنبي ، وهذا التأثر والأخذ في المعاني أمر مألوف ومعروف عند الشعراء منذ القدم فقد قال عنترة : "هل غادر الشعراء من متردم " غير أن أخذ معاني السابقين تبدو ظاهرة عامة عند أغلب شعراء الأندلس ، وقد تتبع ابن بسام في ذخيرته هذه المعاني كاشفاً النقاب عنها ، حيث وقف طويلاً عند جوانب احتذاء الأندلسيين بشعراء العصر العباسي ، ولا شك في أن ابن زيدون من أولئك الشعراء الذين وقف ابن بسام ، على معانيهم في ذخيرته ، فكان ـ كما يقول ـ شوقي ضيف : " لا يترك بيتاً له ألتقط معناه أو لفظه من شعر غيره إلا نبه إليه ، وهو في العادة يعرض القصيدة الجيدة من قصائده ، ثم يعود إليها بالتصفح فكلما وجد معنىً أو لفظاً مشتركاً بينه وبين من سبقوه ، دلّ على موضع أخذه وموطن استعارته " [1] ، وهو أمر ـ وإن كان مألوفاً عند الشعراء ، إلا أنه عابه على شعراء عصره ووصفه بالتقليد ، والاحتذاء ، والمتابعة لشعراء المشرق ناسياً أ ن ذخيرته تقليدٌ ليتيمة الثعالبي ، يقول ابن بسام : " إن أهل هذا الأفق (الأندلس) أبوا إلا متابعة أهل المشرق ، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث لقتادة "[2].

وبتتبعنا لمعاني ابن زيدون في ديوانه وجدنا أنه كان ذا شغف بأشعار العباسيين ، واسع الاطلاع عليها ، كثير الإعجاب بها خبيراً بمعانيها ، فلا يكاد يقول قصيدة إلا ويشير فيها إلى معانيهم آخذاً بعضها ، وهو أسلوب لا يمكننا وصفه بالعي ، أو الضعف ، وإنما ؛ ليدل على سعة اطلاعه ، وغزارة ثقافته ، وإلمامه بمعاني سابقيه من شعراء المشرق ، متمثلاً لها أيما تمثيل من ناحية ، ومن ناحية أخرى يريد أن يظهر مقدرته على منافستهم " فقد كانت فيه غيرة القول ونخوة المنافسة "[3] ، وعلاوةً على ذلك أنه عاش في " عصر و لع بالاقتباس ، والتضمين "[4] وفي هذا المبحث سنتتبع بعض المعاني التي تأثر بها ابن زيدون بأبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ؛ وذلك لصعوبة الاستقصاء .

---

[1]ـ ضيف ، شوقي ، ابن زيدون ص 38 .
[2]ـ الذخيرة القسم الأول ـ المجلد الأول ص12 .
[3]ـ حسن ، حسن جاد ، ابن زيدون عصره وحياته وأدبه ص188 .
[4]ـ عبد العظيم ، علي ، ابن زيدون عصره وحياته وأدبه ص 490 .

أولاً : أثر معاني أبي تمام في شعر ابن زيدون:

إنَّ المتتبع لديوان ابن زيدون يجد كثيراً من أبياته قد أخذ معناها من أبيات لأبي تمام ، ومن ذلك أن ابن زيدون كتب في أواخر سجنه رسالته الجدية ، وضمنها قصيدة ميمية ختمها بقوله :

وَمتَى تبدإ الصَّنِيعَةَ يُولِعْـ ـكَ تَمَامُ الخِصَالِ بِالتَّتْمِيْمِ[1]

قائلاً بعدها : "هاكها أعزك الله يبسطها الأمل "[2] ، وهو ـ كما يبدو ـ متأثرٌ بأبي تمام في مدحه لقصائده ، والثناء عليها ، ومعنى البيت مشهور ، يتحدث عن إتمام المعروف ، وقد أخذه من بيت أبي تمام :

إنّ ابتداءَ العُرْفِ مَجدٌ باسِقٌ والمَجْدُ كلُّ المَجْدِ في استِتْمامِه[3]

ومن المعاني التي أخذها ابن زيدون من أبي تمام ، قوله مستعطفاً أبا الحزم بن جهور:

هل الرياحُ بنجم الأرض عاصفةٌ ؟ أم الكسوفُ لغير الشمسِ والقمرِ ؟[4]

يقول ابن زيدون : أن الحوادث لا تعصف إلاَّ بالعظماء ، كما أن الرياح تتجاوز النبات اللاصق بالأرض وتحطم الأشجار الضخمة ، والكسوف يعتري الشمس والقمر ، ولا يعتري النجوم ، ولا شك أن هذا المعنى من قول أبي تمام ، في مدح أبي بشر عبد الحميد بن غالب :

إنّ الرياحَ إذا ما أعصفتْ قصفتْ عَيْدانَ نجدٍ لم يَعْبَأْنَ بالرَّتمِ[5]

بناتُ نعشٍ ونعشٌ لا كُسُوفَ لها والشمسُ والبدرُ منه الدّهرَ في الرّقمِ

وإذا نظرنا إلى معاني نونية ابن زيدون الغزلية :

أضْحَى التَّنَائِي بَدِيلاً مِنْ تَدانِيـــــنا ونابَ عن طِيْبِ لُقيانا تَجَــافِينا[6]

ألاّ ـ وقَدْ حَانَ صُبحُ البَيْنِ ـ صبّحنا حينٌ فقامَ بِنَا للحِينِ دَاعِيـــــنا

من مُبلغ المُلبِسِينا بانـــــــتِزاحِهِمُ حزناً مع الدَّهْرِ لا يَبلى ويُبلينا

---

[1]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 284 ، الصنيعة : الإحسان .
[2]ـ الصفدي ، تمام المتون ، ص 29 .
[3]ـ ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، تقديم راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط/1994 ، جـ 136/2 ، باسق : سامٍ عالٍ .
[4]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، صـ 254 .
[5]ـ ديوان أبي تمام ، 2/ 142 ، عيدان : جمع عيدانة وهي النخلة الطويلة ، وتستعمل في السدر ، والرتم : نوع من الشجر . الرقم : الداهية .
[6]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، صـ 141 ، 142 .

أنّ الزمانَ الذي ما زال يضحِكنا أنساً بقربهم قد عاد يبكيـــــنا؟

نرى أنه يتلاقى وقصيدة لأبي تمام في معاني الهجر ، وطول الفراق ، وألَمْ البين ، وتقلب الأحوال وتبدلها ، وهي قوله :

أعوامَ وصلٍ كان يُنْسِي طُولَها ذِكْرُ النَّـــوى فكأنها أيّـــامُ[1]

ثمّ انْبَرتْ أيّامُ هجْرٍ أَرْدَفَـتْ بِجَوىً أسىً فكأنّها أعـــوامُ

ثمّ انقَضتْ تلك السُّنُونُ وأهلُها فكأنَّها وكأنَّهم أحـــــــلامُ

ومن الصور الفنية التي تأثر فيها ابن زيدون بأبي تمام ، قوله في بني جهور:

بني جهورٍ أحرقتُم بُجفائـــكم ضميري فما بالُ المدائح تَعبقُ[2]

تَعُدُّونَنِي كالمَنْدَلِ الَّرطب إنّما تَطِيبُ لكم أنفاسُهُ حين يُحرَقُ

يقول ابن زيدون : يا بني جهور لقد قابلتم مودتي بالجفاء ، وأحرقتم فؤادي بإعراضكم عني على الرغم مما خلعته عليكم من عاطر الحمد وطيب الثناء ، فحالي كحال عود البخور لا تفوح رائحته الطيبة إلاَّ إذا أحرق ، يقول أبو تمام في وصف مكانته التي بعثت على إثارة الأحقاد في نفوس حساده :

لَوْلاَ اشتعالُ النَّارِ فيما جَاورتْ ما كانَ يُعرفُ طيب عَرْف العُودِ[3]

لَوْلاَ التَّخَوُّفُ للعَواقِب لَمْ تَـزَلْ لِلْحاسد النُّعْـــمى على المحسُـــودِ

يقر أبو تمام بأن حسد هؤلاء أدى إلى نشر فضائله التي صورها برائحة العود الطيبة التي لا تملأ المكان إلاَّ إذا اشتعلت فيها النار فكأن حسد هؤلاء يدعوه إلى التمسك بخصاله والاستزادة من الفضائل واكتساب المكارم .و قول ابن زيدون :

وتُذكِرُنِي العِقْدَ المُرنّ جُمَانُهُ مُرِنّاتُ وُرْقٍ في ذُرا الأيكِ تَهتِفُ[4]

---

[1]- ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، ج2 / 73 .

[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله 590 . تعبق : الرائحة الطيبة ، المندل : عود طيب الرائحة يستعمل في البخور ، يقال أنه منسوب إلى مندل بالهند .

[3]- ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، 1 /213 .

[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ،ص 485 .المرن : المحدث صوتاً فيه امتداد ، الورق : جمع ورقاء وهي الحمامة التي في لونها غبرة .

يقول الشاعر : يذكرني رنات عقدها بأصوات الطيور المغردة في الأشجار الملتفة ، وهومن قول أبي تمام ، الذي شبه فيه رنات العقد بهديل الحمام :

وبالحلي أن قامتْ تَرَنَّمَ فَوقَها حماماً إذا لاقى حماماً ترَنَّما[1]

وقول ابن زيدون :

إنّ السّيوفَ إذا ما طابَ جوهرُها في أوَّلِ الطّبعِ لم يَعلق بها طَبَعُ[2]

يشير إلى قول أبي تمام :

والسّيفُ ما لم يُلفَ فيه صَيقَلٌ من طبعِهِ لم يَنتفعْ بِصِقالِ[3]

حيث يشبه ابن زيدون ابن جهور في كرمه ونسبه بالسيف النقي العنصر ، أما أبو تمام فإنه يشيد بتدبير المعتصم ، فيقول : إذا لم يكن في السيف جودة حديد تحتمل الصقال لم ينتفع بصقاله ، وكذلك هذه الغزوة لو لم يكن فيها جودة تدبيرك ، لم ينتفع فيها بتدبير الوزراء .

وكذلك أخذ ابن زيدون قوله :

لئن انجزت منه الشمائل آخراً لقد قدّمَتْ منه المخايل مَوعِدا[4]

يريد ابن زيدون : أن الأمير تام الخلق ، والشمائل ، وقد رأينا فيه هذه الفضائل مذ كان طفلاً . وهو من قول أبي تمام ، في رثائه لابنين صغيرين لعبد الله بن طاهر ، وقد ماتا في يوم واحد :

لَهْفي على تلك المخايلِ منهما لو أُمْهلَت حتى تكون شمائلاً[5]

وقول ابن زيدون :

وأخلف موعدَ مَنْ لا أرى لدهري إلا به موعدا[6]

من قول أبي تمام :

---

[1]- ديوان أبي تمام شرح التبريزي 2 / 116 .
[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص300 ، الطبْع : الصنع . الطبَع : الصدأ أو العيب والشين .
[3]- ديوان أبي تمام 2 / 69 .
[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ص478 ، الشمائل : جمع شمال وهو الخلق ، المخايل : جمع مخيلة وهو المظهر .
[5]- ديوان أبي تمام ، 2/ 520 .
[6]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 216 .

صَبٌّ تَواعَدتِ الهُمُومُ فُؤادَهُ إنْ أنتمُ أخْلفتُمُوهُ مَوْعِدَا[1]

يقول ابن زيدون : لا أكون على موعد إلاَّ مع من لا أرى موعداً إلاَّ معه مدى الدهر ، ويقول أبو تمام : إن أنتم اخلفتم موعدي ، فإن الهموم اجتمعت فيه وصدقت في وعدها ، وقول ابن زيدون :

مَهِيبٌ يغضُّ الطَّرفَ منهُ لآذِنٍ مَهَابَتُهُ دون الحِجابِ حِجابُ[2]

قريب من قول أبي تمام :

هَبْ مَنْ له شيءٌ يُريدُ حجابَه ما بَالُ لا شيءٍ عليه حجابُ[3]

يقول ابن زيدون : للأمير هيبة ووقار يغض الطرف عن عيوب جالسيه ، والأمير بدون حجاب ، لأن مهابته تغنيه عن الحراس والحجاب ، وهو من قول أبي تمام : الذي نفى الحجب لممدوحه ، ويقول ابن زيدون ، في مدح ابن جهور :

أغرُّ ، إذا شِمْنا سحائِبَ جُودِهِ تَهَلَّلَ وجْهٌ ، واسْتَهَلَّتْ أنامِلُ[4]

يشيد ابن زيدون بكرم ممدوحه ، فيصفه بأنه ذو وجه مشرق ، وإذا ترقَّبْنا سحائب كرمه نراه قد تهلَّل وجهه ، وانهلَّتْ أنامله ، ولعله نظر فيه لقول أبي تمام ، في مدح المعتصم ، في سياق الكرم والسخاء :

تَعوَّد بَسْطَ الكفِّ حتَّى لو أنه ثناها لِقبْضٍ لم تُجِبْهُ أنامِلُهْ[5]

و قول ابن زيدون ، في مدح ابن جهور مشيداً بفضائله عليه :

وما الشعرُ ممَّا أدَّعيه فضيلةً تزينُ ، ولكن انطقتْني الفواضلُ [6]

المعنى : لا أدّعي أن الشعر فضيلة طبيعية فيَّ ، ولكن هباتك السامية ومننك العظيمة هي التي أوحت إليّ بهذا الشعر الرائع ، ولعله استوحى هذا المعنى الرائع من قول أبي تمام ، في مدح المعتصم ـ وإن كان أبو تمام في هذا المعنى يفخر بشعره ، أكثر من حديثه عن فضائل الممدوح :

---

[1]ـ ديوان أبي تمام 1 / 284 .
[2]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 375 ، آذنٌ : مستمع .
[3]ـ ديوان أبي تمام ، 2 / 318 .
[4]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، تحقيق علي عبد العظيم ، ص 392 ، شام البرق : تتبعه حتى لينظر أين يمطر . تهلل : اشتد انصبابه .
[5]ـ ديوان أبي تمام ، شرح التبريزي ، تحقيق راجي الأسمر ، 2 / 15 .
[6]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 398 ، الفواضل : الأيادي الجسيمة والمنن العظيمة .

تَغَايَرَ الشِّعرُ فيه إذْ سَهِرْتُ له حتى ظَنَنْتُ قوافيه سَتَقْتَتِلُ[1]

ويقول ابن زيدون في مطلع فائيته التي مدح فيها المعتضد :

أمَا في نَسيمِ الرّيحِ عَرْفٌ مُعَرِّفُ لَنَا :هَلْ لِذَاتِ الوَقْفِ بِالجِزْعِ مَوْقِفُ ؟[2]

لعله نظر فيه إلى مطلع قصيدة لأبي تمام في مدح محمد بن عبد الملك الزيات :

دَنِفٌ بَكَى آياتِ رَبْعٍ مُدْنَفِ لولا نَسِيمُ تُرابِها لمْ يُعْرَفِ[3]

يشترك البيتان في الحنين لآثار الحبيبة ، فابن زيدون ، يتساءل قائلاً : هل تستطيع نفحات الريح أن تعرفنا بالحبيبة ، وهل السوار العاجي لمنعطف الوادي وجود ، أما أبو تمام فإنه يقف على أطلال الحبيبة ، التي كادت أن تغيب آثارها ، فلولا نسيم ترابها لم تعرف . كما أخذ ابن زيدون قوله :

إذا نَحْنُ قَرّظْنَاهُ قَصّرَ مُطْنِبٌ ، وَلَمْ يَتَجَاوزْ غايةَ القَصْدِ مُسْرِفُ[4]

من قول أبي تمام :

مَنْ كانَ يَقْصِدُ في نَصِيحَتِه لها فمحَمَّدٌ في النَّصْحِ عَيْن المُسْرف[5]

يقول ابن زيدون إذا مدحنا الأمير لم نستطع أن نفيه حقه من الثناء مهما أسرفنا في المبالغة والإطناب ، أما أبو تمام فيقول إن محمد بن عبد الملك الزيات ، يسرف في نصيحته للخلافة حينما كان يصد غيره عن النصيحة .

---

[1]- ديوان أبي تمام ، شرح التبريزي ، تحقيق راجي الأسمر ، 2 / 7 .
[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص479 ، العرف : الريح طيبة أو خبيثة والأشهر الطيبة . القف : سوار من عاج ، ووقفها ألبسها السوار .
[3]- ديوان أبي تمام 1 / 434 .
[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص488 .
[5]- ديوان أبي تمام 1/ 437 .

ثانيا : أثر معاني البحتري في شعر ابن زيدون:

سمي ابن زيدون ببحتري الأندلس لاشتراكه مع البحتري في الكثير من المعاني والصور والأساليب ، ومن ذلك ، أنه نظم فائية طويلة تتكون من خمسة وثمانين بيتاً ،مهنئاً بها المعتضد بعيد الأضحى ، ومشيداً بفتكه بأمراء الأقاليم المجاورة ، حيث تأثر فيها بكثير من معاني وصور البحتري ، وقد استهلها بحنين إلى ولادة ، وهو قوله :

أمَا في نَسيمِ الرّيحِ عَرْفٌ مُعَرِّفُ لَنَا :هَلْ لِذَاتِ الوَقْفِ بِالجِزْعِ مَوْقِفُ ؟[1]

ومن أبيات القصيدة ، قول ابن زيدون :

ولمّا حضرنا الإذن والدّهرُ خادمٌ تُشيرُ فيمضي والقضاءُ مُصرّفُ[2]

وصلنا فقبّلْنا الندى منكَ في يــدٍ بها يُتْلَفُ المالُ الجسيمُ ويُخْلَفُ

وهو من قول البحتري :

ولمَّا حَضَرْنَا سُدَّةَ الإذْنِ أُخِّرَتْ رِجَالٌ عن البَابِ الَّذِي أنا داخِلُهْ[3]

دَنُوْتُ فَقَبَّلْتُ النَّدَى في يَدِ امْرِئ جَمِيلٍ مُحَيَّاهُ سِبَاطٍ أَنامِلُهُ[4]

يشترك ابن زيدون مع البحتري ، في المعنى العام ؛ لتوافق موقفهما ، وهو موقف الدخول على السلطان ، والمثول بين يديه ؛ فالواقف في حضرة الملك يبدأ بتقبيل يده ، ويدنو منه ، ويتوسل إليه . ويقول ابن زيدون :

وبُشراك عِيدٌ بالسَّـرُورِ مُظَـــــلّلُ وبالحظِّ في نيلِ المُنى متـــــكنِّفُ[5]

بشيرٌ بأعيـــادٍ توافـــــــيك بعـــــدَهُ كما ينسُقُ النّظمَ المُوالي ويرصُفُ

تُجَـــرِّدُ فيه ســـــيفَ دولتِـــــكَ الذي دماءُ العِدا دأباً بِغـرْبيه تُظْــلَفُ

هو الصارمُ العضبُ الذي العزمُ حدُّهُ وحِلْيَتُهُ بـــــذْلُ النّدى والتّعــفُّفُ

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص479 ، العرف : الريح طيبة أو خبيثة والأشهر الطيبة . القف : سوار من عاج ، ووقفها ألبسها السوار .

[2]- المصدر نفسه ، ص 496 .

[3]- ديوان البحتري شرح وتعليق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط/3 ، م3 ، ص1613 ، السُّدة : باب الدار .

[4]- ديوان البحتري ، المجلد الثالث ، ص 1614 ، سبط اليدين وسبط البنان : أي كريم . وروي في الذخيرة القسم الأول - المجلد الأول ، ص 378 " من يد امرئ كريم محياه " .

[5]- ينظر ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 493 -496 ، متكنف : محاط به ، ينسق : ينظم في جمال واتقان ، يرصف : يحكم ، الموالي : المناصر . - تظلف : تباح وتهدر .

غدا بخميسٍ يُقـــــسمُ الغيـــمَ إنه لأحْفلُ منه مُكْفَهِرّاً وأكـــــنف

وعُدنا إلى القصر الذي هو كـــعبةٌ يُغاديه منّا ناظرٌ أو مـــــطوِّفُ

فإذْ نحنُ طالعنا هُ والأُفُقُ لابـــس عَجَاجتَهُ والأرضُ بالخيلِ ترجُفُ

رأيناك في أعلى المصلّى كأنّـــما تطلّع من محـــرابِ داوُدَ يُوسُفُ

فهي صورة رائعة لوصف جيش الأمير في كره على الأعداء ، والبطش بهم ، وهي صورة مستوحاة من صور البحتري في مدح المتوكل ، وتهنئته بيوم الفطر، يقول البحتري :

فانْعَمْ بِيَومِ الفِطْرِ عَيْناً ! إنَّـــــه يَوْمٌ أغرُّ ، مِنْ الزَّمانِ مُشَهَّـــرُ[1]

أظْهرتَ عِزَّ المُلْكِ فيهِ بِجَـــحْفَلٍ لَجِبٍ يُحاطُ الـدِّينُ فيه ويُنْـــصَرُ

خِلْنَا الجِبَالَ تَسِيرُ فيهِ وقَدْ غَـــدَتْ عُدَداً يَسِيرُ بِهَا العَـــدِيدُ الأكْـــثرُ

فالخَيْلُ تَصْهَلُ والفَوَارِسُ تُدّعِي ؛ والبِيضُ تَلْمَعُ ، والأسِنّـةُ تَزْهـرُ

والأرضُ خاشِعةٌ تَمِيدُ بِثِـــــقْلِهَا والجوُّ مُعْتَكِرُ الجَوَانِبِ أغْبَـــرُ

والشَّمْسُ مَاتِعةٌ تَوقّدُ في الضُّـــحى طَوْراً ، ويُطْفِئُها العَجَاجُ الأكْـدَرُ

حتَّى طَلَعْتَ بِضَوءِ وجْهِكَ فانْجَلَى ذَاك الدُّجَى ، وانْجَاب ذاك العِثْيَرُ

وافْتَنَّ فِيكَ النَّاظِرُون فإصْـــبَعٌ يُومَا إلَيْك بِهَا ، وعَيْنٌ تَنْـــظُرُ

يَجِدُونَ رُؤيَتَك الّتِي فَازُوا بِهـــا مِنْ أنـــعُمِ اللهِ الّتي لا تُكفَـــرُ

ذَكَرُوا بِطَلْعَتِك النّـــبِيَّ فَهلَّلُوا لمَّا طَلَعْتَ مِن الصُّفُوفِ وكَبَّرُوا

حتى انْتَهَيْتَ إلى المُصَلّى لابِساً نُورَ الهُدى يَبْدُو عَلَيْكَ ويَظْـــهَرُ

المعنى في النصين يتمحور حول التهنئة بالعيد ، والنصر الذي يحققه الممدوح ، يقول ابن زيدون : هنيئاً لك العيد الذي أقبل عليك يظلله السرور ، ويحيط به الحظ السعيد ، وهذا العيد مبشر بأعياد متوالية ، متناسقة كما نسق فيك المادحون ، آيات الثناء ، وإنك تجرد سيفك لتهدر به دماء الأعداء ، وتهاجمهم بجيش كبير متلاحم كالغيم ، برقه لمعان السيوف ، ورعده أصوات الطبول ، ولمَّا حقق هذا الجيش النصر ، عدنا إلى القصر الذي هو كالكعبة ، يطوف حولها الجنود على خيولهم ؛ مثيرة للنقع ، مبتهجةً بالنصر العظيم ، ورأيناك في أعلى شرفة القصر متهللاً بجمالك ، وكأنك يوسف عليه السلام . وكذلك يهنئ البحتري ممدوحه بيوم الفطر ، قائلاً :

[1]ـ ديوان البحتري ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، المجلد الثاني ، ص 1071 ،1072 ، الجحفل : الجيش الكثير . اللجب : ذو الصياح والجلبة . تدَّعى : أي تعتز بأنسابها . البيض : السيوف . تزهر . ماتعة : مرتفعة . العجاج ، أو الدخان . العثير : الغبار . يوما : يوماً مخففة الهمز ، أي يثار .

لقد مكنت لملكك بجحفل من الجيش الكبير ، يحاط به الدين وينصر، فيصف الشاعر ذلك الجيش في مواجهة الأعداء بأنه يثير النقع حتى يغبر الجو ، ويحجب الشمس ، فتلمع فيه السيوف ، والرماح ، ثم يصف خروج الخليفة الذي يجلي الظلام ؛ فيفتن الناظرون إليه إعجاباً بجماله ، وإشراقه فيقولون : إن وجودك من نعم الله التي تستحق الحمد والشكر . وإذا كان النَّصان في ظاهرهما متفقين ، فإن هناك اختلافاً في بعض الصور ، التي تفوق فيها ابن زيدون على البحتري ، من ذلك أن ابن زيدون شبه كثافة الجيش وإثارته للنقع بالغيم ، الذي رعده الطبل ، وبرقه لمعان السيوف ، أما البحتري فيجعل السيوف تلمع في ذلك الجو المغبر ، وقد شبه ابن زيدون جمال ممدوحه على شرفة القصر بيوسف وقد طل من محراب داوود ، بينما يكتفي البحتري بخروج ممدوحه الذي يجلي الظلام . ومن تلك الصور أن البحتري يهني بيوم الفطر فقط ، بينما ابن زيدون يدعو لممدوحه بأعياد متتالية .

ومن الأبيات التي أخذ ابن زيدون معناها من البحتري ، قوله :

مَنْ لَنَا فيكَ بِعَيْبٍ واحِدٍ تُحْذَرُ العَيْنُ إذا الفضْلُ كَمُلَ[1]

شَرفٌ تَغْنى عنِ المدحِ به مِثْلَمَا يَغْنَى عنِ الكُحْلِ الكَحَلْ

فهو كقول البحتري :

أقولُ فيك بِودِّ ظَلّ يجذِبُني إلى المديحِ فَمَا يَحْظَى بِي الغَزَلُ[2]

تشترك الأبيات في الفكرة العامة ، فالكَحل يغني عن الكُحل ، والمديح يغني عن الغزل ، يقول ابن زيدون : هذه المكارم التي اتسم بها الممدوح اكتملت في شخصه ، حتى تمنى الشاعر أن يجد في ممدوحه عيباً واحداً يقيه حسد العيون ، ، لأن الكمال مجلبة للحسد ، كما أن كل ما تحلى به الممدوح من فضائل ، وما أحرزه من مجد يغنيه عن المدح والثناء ، مثلما يغني الجمال الطبيعي عن الجمال المصنوع . أما البحتري ، فيقول : إذا كان الغزل ينساب على شفاه الشعراء ، وتستهويه الأسماع ، فإن فضائلك عليَّ ، جعلتني لا أطرق إلاَّ المدح فيك ، واستغنيت عن الغزل المحبب للنفوس .

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص342 ، الكَحل : سواد طبيعي في العين يغنيها عن التزين بالكُحل .
[2]- ديوان البحتري ، المجلد الثالث ، ص 1765 .

ومن الأبيات التي أخذ ابن زيدون معانيها من البحتري ، قوله ـ أعني ابن زيدون ـ :

للشّفيعِ الثّناء والحمدُ في صو ... بِ الحَيَا للرّياحِ ، لا للغُيُومِ[1]

من قول البحتري :

حازَ حَمدِي ، ولِلرّياحِ اللّواتي ... تجلُبُ الغيثَ مثلُ حمدِ الغُيُوم[2]

يقول ابن زيدون : إن شفعت لي ، فأنت جدير بالحمد والثناء ، فالشافع هو أصل النعمة ، كما أن الرياح ، هي باعثة السحاب ، وحاملته من مكان إلى مكان ، وهذا المعنى هو ما أراده البحتري ، من أن الرياح هي الجالبة للغيوم الممطرة . وقول ابن زيدون :

وَطَرٌ مَا انقَضَى إلى أنْ تقَضّى ... زمنٌ ما ذِمَامُه بالذّمِيمِ[3]

يقول ابن زيدون : لم نظفر بآمالنا ، حتى انطوى عهدنا السعيد ، وخلفه زمن ذميم ، والشاعر يشير إلى قول البحتري ، الذي لا يمل فيه من ذم الزمان :

لا أُمِلُّ الزَّمانَ ذَمّاً وحَسبِي ... شُغُلاً أنْ ذَمَمْتُ كل ذميمِ[4]

ويقول ابن زيدون ، في رثاء أبي الحزم ، وتهنئة أبي الوليد :

دَعِ الدّهَر يفجعْ بالذّخائِر أهلهُ ... فما لنفيسٍ ـ مُذ طواكَ الرّدى ـ قَدْرُ[5]

تهونُ الرّزايا بَعْدُ وهي جَليلةٌ ... ويُعْرفُ ـ مُذ فارقَتْنا ـ الحادِثُ النُّكْرُ

فلا تَبْعَدَنْ إنّ المنيةَ غـايةٌ ... إليها التّناهي طالَ أو قصُرَ العُمْرُ

وهي صورة لما سيؤول إليه المرء من نهاية طال أو قصر العمر ، ويبدو أنه أخذها من البحتري ، في رثائه لأبي سعيد محمد بن يوسف ، يقول البحتري :

دعِ الموتَ يَغْتَلْ مـن أرادَ فإنّـــهُ ... ثَوَى اليَوْمَ مَنْ تُخشى عليه الغَوائِلُ[6]

ولم يبقَ مرهُوبٌ تُخافُ شَـــذَاتُـهُ ... ولا مُفْضِلٌ تُرجَى لَدَيْهِ الفَواضِـــلُ

وكانت حياةُ الحيّ سَوْقاً إلى الرّدَى ... وأيّـــامُهُ دُونَ المَمات مَراحِـــلُ

---

[1]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، صـ 283 .
[2]ـ ديوان البحتري ، المجلد الرابع ، ص 2073 .
[3]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 278 ، وطر : أمل مرتقب . الذمام : العهد .
[4]ـ ديوان البحتري ، المجلد الرابع ، ص 2072 .
[5]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 526 ، 527 .
[6]ـ ديوان البحتري ، المجلد الثالث ، ص1731 ، يغتال : يهلك ويقتل على غرة . الغوائل : المهلكات ، الشرور ، الدواهي . الشذاة : واحدة الشذا وهو الأذى والشر . الفواضل : النعم .

وِلِلْمرءِ يَومُ ـ لامَحَـــــالةَ ـ مَا لَهُ غدٌ وسْطَ عامٍ ما لَهُ الدّهــرَ قابـــلُ

فالمعنى المشترك بين النصين ، الرثاء ، والحسرة على الفقيد ، فبدأ ابن زيدون نصه ، بقوله : (دعْ الدهْرَ يفجع) ، ويقول البحتري : (دعْ الموتَ يغْتل) ، فابن زيدون ، تهون عليه كل مصيبة ، وإن عظمت بعد فقده لممدوحه ؛ لأن الأمر جلل ، والخطب لا يدانيه خطب ، ثم يقر في البيت الأخير متصبّراً بأن الموت نهاية كل حي طال أو قصر العمر . والبحتري ، يترك للموت العنان ؛ ليقتل من أراد مهما كانت معزته عند الشاعر ، فهان لديه كل شيء بعد أن ثوى ممدوحه ، فالموت لم يبقِ له من ترجى فضائله ، ثم يقر في البيت الأخير ، بأن للمرء يوماً لم يكن ليخطئه ، فهو مصير كل إنسان . ومن معاني ابن زيدون ،التي تأثر بها بالبحتري ، قوله :

مشيْنَ يُباهينَ روض الرُّبا بيانع روضِ الصّبا المُقْتَبِل[1]

فمِن قُضُبٍ تتثنّى بريـــحٍ ومن قضبٍ تتثنى بـــــدلّ

ومن زهراتٍ تندّى بمسكٍ ومن زهراتٍ تندّى بطـــلّ

وهي صورة جميلة مستوحاة من جمال الطّبيعة ، يمزج فيها ابن زيدون الغزل بوصف الطبيعة ، وهو نهج نلاحظه عند شعراء العصر العباسي ، يقول ابن زيدون هذه النسوة يمشين ويمرحن في ذلك الروض ، وامتزجت القضب التي تتثنى بالريح ، وهي الزهور ، بالقضب التي تتثنى بالدلال وهي النسوة ، وأن هذه الزهور تتندى بالطل فتفوح رائحتها الطيبة ، وهذه النسوة تتندي ، وتتطيب بالمسك فتفوح رائحتها ، فتمتزج الرائحة الطيبة في ذلك الروض . ولعلّه نظر فيها إلى البحتري في أبيات يتغنّى بها بجمال الطبيعة الخلاب ، يقول البحتري :

لمّا مَشَيْنَ بذِي الأراكِ تشابَـــهَتْ أعطافُ قُضبانٍ به وقُـــــدُود[2]

في حُلّتَيْ : حِبَرٍ وروضٍ ، فالتقى وشيانِ وشْيُ رُبيّ ووشيُ بُـرُود

وسَفَرْنَ ، فامتلأت عُيُونٌ راقَـها وَرْدانِ : وَرْدُ جنىً وورْدُ خُدُود

فالبحتري ، يصف النسوة يمشين بوادي الأراك ، فتختلط الأغصان الناعمة اللينة بقدود النسوة ، وتشابه وشيهن المزخرف بالألوان ، بألوان ذلك الروض المتمثل في شتى صنوف الأزهار ، واختلط ورد الروض بورد الخدود . وقول ابن زيدون :

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 127 .

[2]- ديوان البحتري ، المجلد الثاني ، ص 697 ، 698 ، ذو الأراك : وادٍ قرب مكة .

يا أيها الملك الذي ـ في ظلّهِ ـ رِيض الزّمان فذلّ منه قياد[1]

من قول البحتري :

اللهُ سهّل بالخَليفةِ جَعْفَرٍ مِنْ دَهْرِنَا ما لم يَكُنْ يُتَسَهَّلُ[2]

يقول ابن زيدون : إن الأمير راض لنا الدهر الجموح ، حتى لان ، وسهل قياده ، ولا تخفى علاقة بيته ببيت البحتري ، واشتراكهما في المعنى .

ويقول ابن زيدون في قصيدته إلى الزهراء :

يَومٌ كأيَّامِ لَذاتٍ لنا انْصرَمتْ ، بتْنَا لها ـ حِيْنَ نَامَ الدَّهْرُ ـ سُرَّاقَا[3]

فهذا المعنى من قول البحتري في مدح محمد بن علي القُمّي :

ليَالٍ سَرَقْناها من الدَّهْرِ بَعْدَمَا أضَاءَ بإصْباحٍ من الشَّيْبِ مَفْرِقُ[4]

يقول ابن زيدون : يوم لنا كأيام مضت ، رحنا فيها نسرق اللذات في غفلة من رقابة الدهر ، أما البحتري ، فيقول : كنا نسرق لذاتنا ، بعد أن تقدم بنا العمر ، وعلا عارض الرأس الشيب . ويلتقي البيتان في الألفاظ (سرقنا ، سراقا ـ نام الدهر ـ أضاء الدهر بتنا ، ليالٍ)

وقول ابن زيدون :

طاعةُ أمـرِك فـــــرضٌ أرا هُ من كُلِّ مُفْتَرَضٍ أوكدَا [5]

هو الشَّرْعُ أصْبحَ دِيْنَ الضّمِير فَلَو قد عَصَاكَ لَقَد ألحَدا

بعث ابن زيدون إلى المعتمد بن عباد ، بقصيدة في هيئة مطارحة بينه وبين المعتمد بن عباد ـ بعد أن بعث الأخير إليه بقصيدة مثلها رويَّاً ، وقافيةً ـ جاعلاً من طاعته فرضاً ، ومعصيته إلحاداً وهو أمر في غاية المبالغة في إظهار ولائه له ، وهذا معنى قول البحتري في مدح المتوكل :

طاعَتُهُ فَرْضٌ ، وعِصْيانُهُ من أعظم الكُفْرِ وأعلى الشِّقاقْ[6]

---

[1]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 464 ، راض الفارس جواده : ذلّله وسهّل قياده .
[2]ـ ديوان البحتري ، المجلد الثالث ، ص 1756 .
[3]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 140 .
[4]ـ ديوان البحتري ،3 / 1493 ، المفرق : وسط الرأس وهو من الشعر موضع افتراقه .
[5]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 216 .
[6]ـ ديوان البحتري ، 3 / 1514 .

وكقوله أيضاً :

فَقُمْتَ مَقاماً يعْلَمُ اللهُ أنَّهُ مَقَامُ إمامٍ تَرْكُ طاعتِهِ كُفْرُ[1]

من المعروف إن ابن زيدون ، وكذلك شعراء العصر العباسي ، كـ أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، في مدائحهم يصفون كرم الممدوح وسخاءه ، بالبحر والمطر وغيرهما ، غير أن ابن زيدون قد يبالغ في وصف كرم ممدوحه عندما يصف تدفق المطر بالبخل أمام كرم الممدوح ، وهو ما يعرف بالتشبيه المقلوب ، يقول في مدح صديقه الأمير أبي الوليد بن جهور :

أيُّها البحرُ الذي مهما تقِسْ بالنّدى يُمْنَاهُ فالبحرُ وَشَلْ[2]

فالشاعر يبالغ في سخاء ممدوحه ، مستصغراً البحر أمام عطاء ممدوحه ، فيقول له : لقد بلغت الغاية في السخاء ، فالبحر ضحل صغير إذا قسناه إلى فيضك الغزير ، وهذه المبالغة في وصف كرم الممدوح نجدها في شعر البحتري في وصفه للمعتز بالله يقول البحتري :

لمْ أرَ كالمُعْتَزّ في حلمِـــهِ الـــوافي وفي نائِلِهِ الغَمْـــرِ[3]

يُسْتَصْغَرُ البَحْرُ إذا استُمْطِرَتْ يدٌ لهُ تُرِبِي على البحـــرِ

ويقول أيضاً :

إذا قُرِنَ البحْرُ الخِضَمُّ بأنعُمِ الـــخَلِيفَةِ كادَ البَحرُ فِيْهِنّ يَغْرَقُ[4]

يقول البحتري في البيتين الأولين : إذا استمطرت يد المعتز بالعطايا ، فهي تربي على البحر ، فيكون البحر صغيراً أمام جود الأمير .

وقول ابن زيدون :

وربّ ظلامِ ليلٍ جنّ فوقي فَنُبْتِ عن الصباح إلى الصباح[5]

يقول ابن زيدون : إن كنت أقاسي الآن من هجرك ما أقاسيه ، فكم ليالٍ طويتها معك في أنس ونعيم ، أضاءت لنا الظلام حتى الصباح ، و لعله نظر فيه إلى قول البحتري :

---

[1]- ديوان البحتري ، 2 / 993 .
[2]- المصدر نفسه ، ص 341 ، الندى : الكرم ، وشل ماء قليل ينحدر من صخرة أو جبل .
[3]- ديوان البحتري ، شرح وتحقيق حسن كامل الصيرفي ، 2 / 1010 .
[4]- المصدر نفسه ، 3 / 1535 ، الخضم : البحر الواسع لكثرة مائه وخيره .
[5]- ديوان ابن زيدون ورسائله ص 430 ، جن الليل : ستر وأظلم .

رُحْنَ واللَّيْلُ قد قامَ رُواقـاً فأقَمْنَ الصَّباحَ فيه عَمُودا[1]

وقول ابن زيدون :

لَيَالِي ما انْفكَّ يُهْدِي السُّرُورَ حبيبٌ سَرَى ، ورقِيبٌ غفَلْ[2]

من قول البحتري :

حبيبٌ سَرى في خفْيةٍ و على ذُعرٍ يَجُوبُ الدُّجَى حتى التَقَيْنَا على قدْرِ[3]

تَشَكَّكْتُ فيهِ من سُرُور ، وخلْتُهُ خَيَالاً أَتَى في النَّومِ من طيفه يسْرِي

فابن زيدون يتذكر تلك الليالي الحافلات بالأنس واللذات عندما كان يسري إليه الحبيب في غفلة الرقيب ، أما البحتري فيقول : إن الحبيب أتاني في دجى الليل ففاجأني حتى خلته خيالاً أتاني في النوم . ومن الأبيات التي أخذ ابن زيدون معناها من البحتري ، مطلع رائيته في تهنئة المعتمد بعودته من السفر ، يقول ابن زيدون :

اقْدِمْ كما قَدِمَ الرَّبيعُ الباكِرُ واطْلَعْ كما طَلَعَ الصَّباحُ الزَّاهرُ[4]

وقد نظر فيه إلى بيت البحتري :

ومَوَاهِبٍ في الخَابِطينَ كَأنَّما يطْلُعْنَ من خَلَلِ الرَّبيعِ البَاكِرُ[5]

يقول ابن زيدون : أيها الأمير أقدم علينا كما يقدم الربيع الباكر ، وكالصباح المشرق ، الذي يجلي الظلام ، أما البحتري فقد جعل مواهب ممدوحه بينة كالربيع الباكر ، وقد تفنن ابن زيدون في بيته حيث جعل كل كلمة في الشطر ، تقابل أختها في العجز على هذا النحو (أقدم ، اطلع ـ كما ، كما ـ قدم ، طلع ، الربيع ، الصباح ـ الباكر ، الزاهر) ، ويقول ابن زيدون :

سَرَى يُنافِحُهُ نَيْلُوفَرٌ عَبِقٌ وسَنانُ نَبَّهَ مِنْهُ الصُّبْحُ أَحْدَاقا[6]

هو من قول البحتري :

---

[1]ـ ديوان البحتري ، 1 / 591

[2]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 419 .

[3]ـ ديوان البحتري ، 2 / 1052 .

[4]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 506 .

[5]ـ ديوان البحتري ، 2 / 1018 .

[6]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 140 ، النيلوفر : زهر كبير ينبت في المياه الراكدة تنطبق أوراقه بالليل وتتفتح بالنهار . .

وقد نبَّهَ النَّيْروزُ في غَلسِ الدُّجى أوائلَ وَرْدٍ كُنَّ بالأمْسِ نُوَّما [1]

يقول ابن زيدون : انتشرت رائحة النيلوفر ، وعبقت مزاحمة الورد ، وكان النيلوفر ناعساً إلى أن أقبل الصباح ففتح أعينه ، أما البحتري : فجعل النيروز في ظلمة آخر الليل ينبه ورداً لا زال نائماً ، لم تتفتح أزهاره بعد .

وقول ابن زيدون :

ونعمْنا بِلفتِّ جسْمٍ بِجسْمٍ ـ للتَّصافِي ـ وقَرْعِ ثغْرٍ بثَغْرِ [2]

قريب من قول البحتري :

ولم أنسَ ليْلَتَنَا في العِنا قِ لفَّ الصَّبا بقضِيبٍ قضِيبا [3]

ولابن زيدون رائية في رثاء المعتضد ، وتهنئة ابنه المعتمد بولاية الحكم ، يختمها بقوله :

قَدِ اسْتَوفتِ النَّعْماءُ فيْكَ تمامَها عَلَيْنا ؛ فَمِنَّا الحَمْدُ للهِ والشُّكْرُ [4]

وهذا البيت معنى قول البحتري في ختام قصيدته في مدح المتوكل على الله عند سيره إلى دمشق ويهنئه بالفطر ، يقول الشاعر :

عَلَى اللهِ إتْمامُ المُنى فيكَ كُلِّها لنا ، وعَلينا الحَمْدُ للهِ والشُّكْرُ [5]

لقد أشاد الشاعران بإتمام فضائل ممدوحيهما ، فاستحقا الحمد والشكر .

ومن الأبيات التي أخذ ابن زيدون معناها من البحتري قوله :

فَلَيْتَ ذَاكَ السَّوادَ الجَوْنَ مُتَّصِلٌ لوِ اسْتعَارَ سَوَادَ القَلْبِ والبصرِ [6]

يقول ابن زيدون : ليت ذلك السواد متصل ، ولو أمده بسواد قلبه ، وسواد عينه ، وهو كقول قول البحتري :

---

[1]- ديوان البحتري ، 4 / 2090 ، النيروز : أكبر أعياد الفرس ، ومعناه اليوم الجديد، وهو أول يوم من السنة الشمسية الإيرانية ، ويوافق اليوم الحادي والعشرين من شهر مارس ،.الغلس : ظلمة آخر الليل ، وورد في بعض الروايات " غسق الدجى " .

[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 121 .

[3]- ديوان البحتري ، 1 / 150 .

[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 576 .

[5]ديوان البحتري ، 2 / 994 .

[6]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 251 ، الجون : الأبيض أو الأسود وهو من الأضداد .

ورَمَتْ سَوَادَ القلبِ حِينَ رَنَتْ عَلَى عَجَلٍ فأصْمَتْهُ بِطَرْفٍ أَصْيَدِ [1]

وقول ابن زيدون :

وَجَنَّةِ عَدْنٍ تَطَّبيكَ وكَوثَرٍ بِمَرأى يَزِيدُ العُمْرَ ـ طيباً ـ ويَنْسَأُ[2]

من قول البحتري :

" جَنَّةُ عَدْنٍ " مَتَى حَلَلْتَ بها شَهِدْتَ أنَّ " القاطُولَ " " كَوْثَرُها "[3]

يقول ابن زيدون : لممدوح جنة عدن بكوثرها تدعوه ، ويطول له العمر ، ويؤخر . أما البحتري : فيصف جنة الخلافة ببغداد وما جاورها ، ويجعل نهر القاطول كوثراً لتلك الجنة ، فابن زيدون يدعو لممدوحه بالجنة في الآخرة ، والبحتري يصف جنة ممدوحه في الدنيا .

ولابن زيدون قصيدة غزلية قالها في ولادة ، مطلعها :

إني ذكرتُكِ بالزَّهْراءِ مُشتاقــاً والأفْقُ طلْقٌ ومرأى الأرضِ قد راقا[4]

وللنّسيمِ اعتلالٌ في أصائِلِـــــهِ كأنَّـــــهُ رقَّ لي ، فاعتـل إشفـــاقا

والروضُ عن مائِهِ الفِضّيّ مبتسِمٌ كما شقَقْتَ ـ عن اللبَّـــات ـ أطواقــا

يمزج ابن زيدون في هذه القصيدة بين جمال ولادة ، وبين جمال الطبيعة حيث المكان المليء بالهواء الطلق ، والماء العذب الجاري ، ويبدو واضحاً ربط الشاعر جمال الطبيعة بعواطفه التي يذكيها الحنين ، وهذا الربط الجميل بين الطبيعة والمحبوبة و حنينه إليها وإلى أماكنها ، يذكرنا بحب البحتري للطبيعة " في شعر الحنين ، وذلك من خلال وصف كل مكان محبب إلى نفسه ، سواء أكان ذلك المكان موطنه الأول الشام ، أم حيث تسكن (علوة) بجوار حلب "[5] ، يقول البحتري في مطلع قصيدته التي مدح فيها المتوكل ، معبراً عن حنينه إلى دمشق وشوقه إلى طبيعتها الجميلة وهوائها العذب إبان إقامته بالعراق :

إنَّ دِمشقاً أصبحت جنةً مخضرةَ الرَّوضِ عَذَاةَ البِرَاقْ[6]

والدهرُ طَلْقٌ بين أفْيَائِها والعَيْشُ فيها ذُو حواشٍ رِقــاقْ

---

[1]ـ ديوان البحتري ، 1 / 545 ، أصمت : أصابته فقتلته في مكانه .
[2]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 135 ، تطبيك : تدعوك ، ينسأ : يؤخر .
[3]ـ ديوان البحتري ، 2 / 1076 ، القاطول : نهر كأنه مقطوع من دجلة كان في موضع سامراء قبل أن تعمر .
[4]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 139 .
[5] ـ الماء في شعر البحتري وابن زيدون ، " دراسة موازنة " رسالة ماجستير ، جامعة النجاح ـ فلسطين ، 2009 ، ص 84 .
[6]ـ ديوان البحتري ، 3 / 1514 ، 1515 ، العذاة : الأرض الطيبة التربة . البراق : واحدتها برقة وهي الأرض الغليظة المختلطة بحجارة ورمل .

وكيف لا تُؤثِرُها بالهوى وصَيْفُها مثلُ شِتَاءِ العِــرَاقْ ؟!

فالشاعر يتذكر ويتشوق إلى دمشق وإلى طبيعتها الجميلة وهو في العراق ، حيث يشتد حر الصيف ، مما جعل خياله يسبح في الآفاق بعيداً ، فيعود إلى زمن انقضى وهو زمن ربيع الشام فيتداعى إليه أنضر ما في الكون من معالم تنبض بالحياة وتشف بالصفاء ، وقد اتفق الشاعران ، في الحنين إلى أماكن الحبيبة ، فمزجا بين الغزل ووصف الطبيعة .

و يتلاقى ابن زيدون في نونيته الشهيرة :

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طِيبِ لُقيانا تجافينا[1]

ألاّ ـ وقَدْ حَانَ صُبحُ البَيْنِ ـ صبّحنا حينٌ فقامَ بِنَا للحينِ دَاعِيــــنا

من مُبلغ المُلبِسِينا بانـــــتِزاحِهِمُ حزناً مع الدَّهْرِ لا يَبلى ويُبلينا

أنّ الزمانَ الذي ما زال يضحِكنا أنساً بقربهم قد عاد يبكيــــنا؟

مع البحتري في قصيدته التي يقول فيها :

كَمْ لَيْلَةٍ فِيْــكِ بِتُّ أَسْهَــرُها ولَوْعَةٍ في هَوَاكِ أُضْمِرُهَــا [2]

وحُرْقَةٍ والدُّمــــوعُ تُطْفِئُــــها ثُمَّ يَعُودُ الجَوى فَيُسْعِرُهَــا

يا "عَلْوُ" عَلَّ الزَّمَــانِ يُعْقِبُنَـا أيَّامَ وَصْلٍ نَظَلُّ نَشْكُرهَــا

بَيْضَاءُ رُوْدُ الشَّبَابِ قد غُمِسَتْ في خَجَلٍ دائبٍ يُعَصْفِرُهَــا

مَجْدُولَةٌ هَزَّهَا الصِّبَـا فَشَفَى قَلْبَك مَسْمُوعُهَا ومَنْظَرُهــــا

في معاني الهجر ، وطول الفراق ، وألَمِ البين ، وتقلب الأحوال ، والحنين إلى أيام الوصال ، فابن زيدون في نونيته " أضحى التنائي : يتغزل بمحبوبته ولادة التي هجرته وتركته ، فقال تلك القصيدة الغزلية حاناً إلى أيام الوصال ، واللقاء في زمن مضى ، بعد أن تحول هذا اللقاء ، وهذا والوصال إلى تنائي وتجافي ، وكذلك كان البحتري في هذه القصيدة ، يتغزل بمحبوبته (علوة الحلبية) بعد أن فارقها إلى العراق ، ولقد صور كثيراً من عواطف الحب في هذه القصيدة ، حاناً إلى أيامٍ كانت حافلة باللقاء والوصال ، وقد غدت الآن أيام هجر وجفاء ، تجرع فيها مرارة البين والفراق .

[1]- ديوانه ورسائله تحقيق علي عبدالعظيم ، صـــ 141 .
[2]- ديوان البحتري ، 2 / 1074 ، الرود : الشابة الحسناء .

ثالثاً : أثر معاني المتنبي في شعر ابن زيدون:

يعد القرن الخامس الهجري القرن الذي شغلت فيه البيئات الأدبية في المغرب والأندلس بالمتنبي ، ومن بينهم ابن زيدون ، الذي اتفق مع المتنبي في الاعتداد بالنفس ، وطلب الجاه والشهرة ، وكذلك تنقلاته بين بلاطات الملوك والأمراء مادحاً لهم ؛ ولأجل ذلك قلّده في كثير من معاني شعره وطرائقه ، فكان ابن زيدون " ريّان من شعر المتنبي يستشهد به في نثره ، ويقتبس منه في شعره "[1] وقد تتبع ابن بسام الشعراء الذين تأثروا بمعاني المتنبي مشيراً إلى معاني ابن زيدون التي أخذها من المتنبي ، ومنها قوله :

ثَوَى صَافِناً في مربطِ الهُونِ يَشْتَكِي بِتَصْهَالِهِ مَا نَالَهُ مِنْ أذَى الشَّكْلِ[2]

وقد أخذ ابن زيدون هذا البيت من قول المتنبي :

وإن تكُنْ مُحكماتُ الشّكلِ تمنعُني ظهورَ جَرْيٍ فلي فيهنّ تَصهالُ[3]

يقول ابن زيدون : إنني مثل الجواد المربوط ، وقد شدت قوائمه بالأغلال ، فشكا ذلك الألم بصهيله ، ويقول المتنبي : أمدحك حتى تنتصر على كافور ، فإن الجواد إذا شكل على الحركة ، صهل شوقاً إليها . وقول ابن زيدون :

وأنّ الجوادَ الفائِتَ الشّأوِ صافنٌ تخوّنه شكلٌ وأزرى به رَبْطُ[4]

من قول المتنبي :

وما في طبِّهِ أنّي جَوادٌ أضَرّ بجسمهِ طُولُ الجمَامِ[5]

المعنى مشترك بين الشاعرين ، يريد ابن زيدون : إن الجواد السبَّاق قد كبلته القيود ، فعجز عن الجري ، ومراد المتنبي من بيته : أن الذي ضر بجسمه ليس في طب الطبيب ، وإنما طول القعود عن السفر ، فهو كالفرس الذي أنهكه طول القيام ، وقول ابن زيدون :

---

[1]- ابن شريفة ، محمد ، أبو تمام و أبو الطيب في أدب المغاربة ، 143 .

[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، صـ 267 ، الصافن : القائم على ثلاث قوائم وقد قام الرابعة على طرف حافر ، الهون الذل ، شكل الدابة : شدَّ قوائمها بالحبل .

[3]- ديوان المتنبي ، شرح أبي البقاء العكبري ،الجزء الثالث ، تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، ص278 ، احكم شكاله : عجز عن الجري .

[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، صـ 287 ، صافنٌ : قائمٌ على ثلاث قوائم ، ولامس بحوف الرابعة على الأرض ، تخوّنه : ذمه وعابه ،الشكل : القيد .

[5]- ديوان المتنبي ، 4 / 148 ، الجمام : أن يترك الفرس فلا يركب .

هَرِمْتُ ومَا لِلشيبِ وَخْطٌ بِمَفْرِقِي ولَكنّ لشَيْبِ الهَمِّ في كَبِدِي وخْطُ[1]

من قول المتنبي في مدح سعيد بن عبد الله المنبجي :

إلاّ يَشب فلقد شابَت لهُ كَبِدٌ شيباً إذا خضّبَتْهُ سَلْوةٌ نَصَلا[2]

المعنى المشترك بين البيتين ، (شاب الفؤاد قبل شيب الرأس) يقول ابن زيدون : لقد ضعفت ولحق الشيب قلبي ، وإن لم يلحق برأسي . ويقول المتنبي : شاب فؤاده من حرارة الشوق .

وقول ابن زيدون :

سِرّان في خاطر الظلماءِ يكْتمنا حتى يكاد لسان الصّبح يفشينا[3]

كقول المتنبي :

أزُورُهُم وسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لي وأنْثَنِي وبِياضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي "[4]

لم يزد المتنبي في معنى بيته على أن يقول أن الليل يسترني ، والصبح يفضحني في زيارتي لمحبوبتي ، ولكن ابن زيدون لم " يقنع من الظلام بأن يكون ساتر اً ، حتى يكون إنساناً يكتم في خاطره هذين السرين الحبيبين : هو وولادة ، ولا يقنع من الصباح بأن يكون فاضحاً ، حتى يكون إنساناً يفشي لسانه هذين السرين "[5] ، فقد عمد ابن زيدون إلى المبالغة والتشخيص ، عندما اختار الخاطر للظلماء ، واللسان للصبح ، وكان بإمكانه أن يقول : " سران في الظلماء تكتمنا حتى يكاد الصبح يفشينا ، ألا تشعر حينئذ بالفراغ الذي كانت تشغله كلمة (خاطر) ، وأنها بالذات أدل على خفاء السر ، كما أن (اللسان) أدل على افتضاحه ؟ ولا تنس شدة ارتباط يكتمنا بخاطر ، ويفشينا باللسان . وهكذا يكون الجمال في الاستعارة المكنية "[6].وقول ابن زيدون :

لو شاء حملي نسيمُ الصّبح ـ حين سرى ـ وافاكم بفتىً أضناه ما لاقى [7]

من قول المتنبي :

---

[1]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، 289 .
[2]ـ ديوان المتنبي 3/ 164 ، النصول : ذهاب الخضاب . السلوة : ذهاب المحبة .
[3]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص146 .
[4]ـ ديوان المتنبي 1 / 161 .
[5]ـحسن ، حسن جاد ، ابن زيدون عصره ـ حياته ـ أدبه ، ص 189 .
[6]ـ المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .
[7]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 140 .

كَفى بِجِسْمِي نحُولاً أنّنِي رَجلٌ لوْلَا مُخَاطَبَتِي إيّاكَ لمْ تَرَنِي [1]

يصف المتنبي جسمه الذي أنهكه النحول بسبب هجران الحبيب ، حتى لا يستدل برؤيته إلاَّ بصوته ، بينما ابن زيدون راح يفتن افتناناً بعدما أضناه الشوق لحبيبه حتى أن نسيم الصبح ـ وليس الريح ـ يستطيع حمله إلى حبيبه ليرى ما أصابه من نحول وتعب ، بسبب غيبته الطويلة .

وقول ابن زيدون :

يا مَنْ تألَّفَ ليلُهُ ونهارُهُ فالحسنُ بينهُما مضِيءٌ مُظلِمُ [2]

من المتنبي :

الحُزْنُ يُقْلِقُ والتّجَمُّلُ يِرْدَعُ والدَّمْعُ بينَهُمَا عَصِيٌّ طيّعُ [3]

يقول ابن زيدون : يا مَنْ اجتمع عنده الليل والنهار ، فالجمال بينهما مضيء للعيون ، ومظلم للغير ، و يقول المتنبي : الحزن لأجل هذه المصيبة ، يقلقني ، والصبر يمنعني عن الجزع والتهالك ، والدمع عاصٍ للتحمل ، مطيع للقلق ، واتفق الشاعران في توظيف الطباق في آخر البيت ، فالطباق عند ابن زيدون (مضِيءٌ مُظلِم) ، وعند المتنبي (عَصِيٌّ طيّعُ) ، بالإضافة إلى هذا التقابل الذي نراه في الشطر الثاني من كل بيت ، (فحرف العطف يقابل حرف العطف ، والمبتدأ الحسنُ يقابل المبتدأ الدمعُ ، وكلمة بينهما تقابل بينهما ، والخبر مضيءٌ مظلم يقابل الخبر عصيٌّ طيع) .

ومن الأبيات التي أخذ ابن زيدون معناها من المتنبي ، قوله :

مِنَ الورَى ،إن يفُوقُوهُمْ فلا عجبٌ لذلك الشّهْرُ من أيّامِهِ الجُمَعُ [4]

فهو كقول المتنبي :

فإنْ تَفُقِ الأنَامَ وأنتَ مِنْهُمْ فإنّ المِسْكَ بعْضُ دَمِ الغَزَال [5]

---

[1]- ديوان المتنبي 4 / 186 .
[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص181 .
[3]- ديوان المتنبي 2 / 268 .
[4]- ديون ابن زيدون ورسائله ،ص 298 .
[5]- ديوان المتنبي 3 /20 .

يقول ابن زيدون : لقد فاق الممدوح البشر ، وإن كان منهم ، كما تفوق أيام الجمع باقي أيام الأسبوع ، ويقول المتنبي : إن فضلت الناس وأنت من جملتهم ، فقد يفضل بعض الشيء الكل ، كالمسك وهو بعض دم الغزال وهو أفضل منه ، فالاتفاق في البيتين بعض الشيء يفضل كله .

وقول ابن زيدون :

تِهْ أحْتَمِلْ ، وَاستطِلْ أصْبِرْ ، وعَزَّ وأهُنْ ، وولِّ أُقبِلْ أسْمعْ ، ومُرْ أُطِعْ[1]

أخذه من قول المتنبي :

أقِلْ أنِلْ أقْطِعْ أحمل عَلّ سَلّ أعِدْ زِدْ هَشَّ بَشّ تفضّلْ أُدْنِ سُرّ صِلِ[2]

يشترك البيتان في تكرار أفعال الأمر ، وقول ابن زيدون :

وما ولعي بالرَّاحِ إلاَّ توهُمٌ لِظَلْمٍ به كالرَّاح ، لو يترشَّفُ[3]

من قول المتنبي :

وما شرَقي بالماء إلاّ تذكُّراً لماءٍ بِهِ أهْلُ الحَبيبِ نزُولُ [4]

يبدو واضحاً أخذ ابن زيدون معنى بيت المتنبي ، فبيت ابن زيدون يقابل بيت المتنبي من حيث تقسيماته ، فكل كلمة من بيته تقابلها أختها في بيت المتنبي ، فالمتنبي " يشرق بالماء لتذكره الماء الذي نزل به الأحباب ، ولكن ابن زيدون لا يولع بالراح هذا الولوع إلاَّ لأنه يتمثل فيها ظلم الحبيب ...لا مذكرة به فقط "[5] . وقول ابن زيدون :

هذا الصّباحُ على سُراكِ رقيبا فصَلِي بفرعِكِ لِيلكِ الغربيبا [6]

من قول المتنبي :

كَشَفَتْ ثَلاثَ ذَوائبٍ من شعرِها في ليلةٍ فأرَتْ لياليَ أرْبَعا "[7]

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص170، ته : تكبر . استطل : ترفع . ولِّ : ابتعد .
[2]- ديوان المتنبي ، 3 /85 ، أمر الشاعر سيف الدولة بأربعة عشر أمراً في بيت واحد وهي : أقل : من الإقالة . أنل : من الإنالة . أقطع : من الإقطاع . احمل : من قولهم حملته على فرس . علّ : من العلو والرفعة . وسلّ : من السلوّ . وأعد : من الإعادة . وزد : من الزيادة . هشّ : من قوله هششت إلى كذا وهو التهلل نحو الشيء . وبش : من البشاشة وهي الطلاقة . تفضل : من الإفضال . أدن : من الدنو . سرّ : من السرور صل : من الصلة وهي العطية .
[3]- ديون ابن زيدون ورسائله ، ص 485 ، الظَّلْمُ : ماء الأسنان .
[4]- ديوان المتنبي 3 / 97 ، الشرق : الاختناق بالماء أو بالريق أو بالنفس .
[5]حسن ، حسن جاد ، ابن زيدون عصره ـ حياته ـ أدبه ، ص192 .
[6]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 324 ، السرى : السير ليلاً ، الفرع : الشعر ، الغربيب : الشديد السواد .
[7]- ديوان المتنبي 2 / 260 .

فابن زيدون ، يقول : كاد الصباح يفضح سراك بالليل فصلي الليل ، بسواد شعرك ، فهو يشبه سواد شعرها بظلام الليل ، وهو كقول المتنبي ، الذي جعل ذوائبها الثلاث ، أربعاً مع ظلمة الليل الكالحة ، فالمتنبي بالغ في التشبيه ، عندما جعل ، الليل جزءًا من شعرها .

وقول ابن زيدون :

رأى أنّهُ أضحى هِزَبْراً مُصمِّماً فلم يَعْدُ أنْ أمسى ظليماً مشرّدا[1]

هذا البيت منقول عن قول أبي الطيب :

فَأَتَيْتَ مُعْتَزِماً ولا أسَدُ ومَضَيْتَ مُنْهَزِماً ولا وعِلُ[2]

جرت حروب طاحنة بين المعتضد بن عباد والمظفر بن الأفطس انتهت بانتصار المعتضد ، فسجل ابن زيدون هذا الانتصار ، فيقول إن العدو أقبل كالأسد المقدام زاعماً النصر حليفه فلم يلبث أن فر مشرداً كالنعام ، وهو كقول المتنبي حينما وصف جيوش العدو التي أقبلت على الحرب راغبة فيه كالأسد ، ولكنها انهزمت خائبة الآمال كالوعل الفار من العراك ، بسبب براعة جيوش عضد الدولة في القتال . وقول ابن زيدون :

ألاَ كُلُّ رَجْوٍ ـ في سِواكَ ـ عُلالةٌ وَ كُلُّ مدِيحٍ ـ لم يكنْ فِيكَ ـ باطِلُ[3]

من قول المتنبي :

وإنَّ مَدِيحَ النَّاسِ حَقٌّ وبَاطِلٌ وَمَدْحُكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابُ[4]

يقول ابن زيدون لممدوحه : إن المديح في سواك باطل ، ومدحك حق ، فاقتصر الشاعر الاخلاص في المدح على ممدوحه ، أما المتنبي يقول : إن الناس يمدحون بالحق والباطل ، ومدحك حق ليس فيه كذب . وقول ابن زيدون :

لَسْنا نُسمِّيكِ إجْلالاً وتكْرِمةً وَقَدْرُكِ المُعْتلي عن ذاكِ يُغْنينا[5]

أخذه من قول المتنبي :

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص473 ، الهزبر : الأسد القوي . المصمم : الماضي في عزمه إلى غايته . الظليم : ذكر النعام .
[2]- ديوان المتنبي 3 /308 ، الوعل : التيس البري .
[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 397 ، الرجو والرجاة : الرجاء ، علالة : ما يتعلل الإنسان ويتشاغل به عن أمر داهم .
[4]- ديوان المتنبي ،1/ 200 .
[5]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 145 .

أُجِلُّ قَدْرَكِ أن تُسمَى مُؤَبَّنَة وَمَنْ يَصِفْكِ فَقَدْ سمَّاكِ لِلْعَرَبِ[1]

يقول ابن زيدون : إن قدركِ العالي ، يغنيني على أن نسميك الحبيبة ، وهو من معنى بيت المتنبي - وإن كان المتنبي قد أجاد في المبالغة في الوصف - فيرى أن قدرها أعظم من أن تسمى باسمها ، فإذا وصف محاسنها التي ليست في غيرها ، عرفت عند كل الناس .

وقول ابن زيدون :

فَرَشَفْتُ الرُّضابَ أعذَبَ رَشْفٍ وَهَصَرْتُ القَضِيبَ أَلْطَفَ هَصْرٍ[2]

قريب من قول المتنبي :

تَشْتَكي الأرضُ غَيْبَتهُ إليهِ وتَرْشُفُ ماءَهُ رَشْفَ الرُّضَابِ[3]

لقد استوحى ابن زيدون قوله : " رشفت الرضاب " ، من قول المتنبي : " رشف الرضاب " والرشف أن تستقي ما في الإناء حتى لا تدع فيه شيئاً ، يقول المتنبي : أن الأرض من عطشها تشكو إلى السحاب غيبته عنها ، وتمصّ ماءه كما يمص الحبيب ريق المحبوب ، أما ابن زيدون فهو يصف ما جناه من محبوبته في تلك الليلة التي قضياها معاً ، من ارتشافٍ لريق المحبوبة ، وتأمل لقامتها .

وقول ابن زيدون :

لاَ أكْؤُسُ الرَّاحِ تُبْدِي مِنْ شَمَائِلِنَا سِيمَا ارْتِياحٍ ، وَلاَ الأَوْتَارُ تُلْهِينَا[4]

من قول المتنبي :

أصَخْرَةُ أنَا ؟ مالي لا تُغَيِّرُنِي هذي المُدَامُ ولاَ هَذي الأَغَارِيدُ ! [5]

التأثر في البيتين واضح ، يقول ابن زيدون : إن الخمر لا تؤثر في طباعنا ، والأوتار الشجية لا تلهينا عنك ، والمتنبي يقول : هل أنا صخرة صلبة ؟ لا أتأثر بشراب الخمر ، ولا بسماع الأغاني .

وقول ابن زيدون :

---

[1]- ديوان المتنبي ، 1 / 86 ، المؤبنة : من التأبين ، وهو مدح الميت .
[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 121 .
[3]- ديوان المتنبي ، 1 / 135 .
[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 147 ، الراح : الخمرة . شمائلنا : طباعنا . سيما ارتياح : علامات ارتياح .
[5]- ديوان المتنبي ، 2 / 40 ، المُدام : الخمرة . الأغاريد : صوت الغناء . الغَرَد : التطريب بالصوت والغناء .

رَأيْتُ الشَّمْسَ تطْلُعُ مِنْ نِقابٍ ، وَغُصْنَ البَانِ يَرْفُلُ في وِشاحِ[1]

من قول المتنبي في مدح بدر بن عمار :

طاعِنُ الفُرسانِ في الأحْداقِ شَزْراً وَعَجاجُ الحَرْبِ للشَّمْسِ نِقابُ [2]

يصف ابن زيدون وجه حبيبته المرتدية نقاباً بأنه كالشمس الطالعة في جماله ، وقامتها كالغصن المتمايل ، أما المتنبي : يريد أن ممدوحه حاذق بالطعن في الأحداق إذا أظلم المكان ، وصار الغبار نقاباً للشمس ، فهو عارف بمواقع الطعن ، ورغم اختلاف مواطن التشبيه في البيتين ، إلاّ أنَّ ابن زيدون يستخدم في تشبيهاته ما يستخدمه المتنبي من مظاهر الطبيعة ، كالشمس والبدر والكواكب وغيرها ، سواءً أكان ذلك في تشبيه الممدوح ، أو الحبيبة .

ومن المعاني التي يتلاقى فيها ابن زيدون مع المتنبي التغزل بالمرأة البدوية التي " تحول دونها الحوائل ، وتحيا في منعة وحراسة ، وتنتمي إلى قبيلة محافظة مهيبة الجانب ، وقد أعدت عدتها للحرب والقتال ، كما يغار فرسانها على حسنائهم حتى من الخيالات والأحلام الطائفة ، ولذا فقد تأهبوا للنضال من أجلها استجابةً للهواجس والظنون "[3] ، يقول ابن زيدون في ثنايا إحدى مدائحه لأبي الوليد بن جهور :

عَرُوبٌ ألاحَتْ مِنْ أعاريبِ حِلَّـــــةٍ تجاوبُ فيها بالصَّـهيلِ عِـرَابُ[4]

غيَارَى مِنَ الطَّيفِ المُعَاودِ في الكَرَى مُشِيحُونَ من رَجْمِ الظُّنُون غِضابُ

وكان المتنبي من الشعراء العباسيين الذين يتغزلون بالبدوية دون الحضرية ، ولعل ابن زيدون نظر في أبياته السابقة إلى قول المتنبي :

من الجآذرُ في زِيِّ الأعـــاريبِ حُمْرُ الحُلى والمطايا والجلابيبِ[5]

ما أوجُهُ الحَضَرِ المستحسناتُ به كأوجُهِ البدويَّـــاتِ الرعـابيبِ

ومن الأبيات التي تأثر فيها ابن زيدون بالمتنبي في وصف الطبيعة ، قوله مهنئاً المعتمد بولاية الحكم :

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 149 .

[2]- ديوان المتنبي 1 / 134 ، الشَّزر من الطعن : ما أدبر عن الصدر .

[3]- نجا ، أشرف محمود حنفي ، قصيدة المديح في الأندلس عصر الطوائف " دراسة فنية " ، رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ، الإسكندرية ، 1994 ، 87 .

[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 368 ، العَروب : المتحببة لزوجها المطيعة له . ألاحت : ظهرت . الأعاريب : البدو من الأعراب .

[5]- ديوان المتنبي ، 1 / 159 ، 168، الجآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقر الوحشية . والأعاريب : جمع عرب . الرعابيب : جمع رعبوبة وهي المرأة الممتلئة البيضاء .

فإنَّك شمسٌ ـ في سماءِ رياسةٍ ـ تطلّعَ منهُم حَوْلَهَا أَنْجُمٌ زُهْرُ[1]

حيث وصف ابن زيدون ممدوحه بالشمس في كبد السماء ، والملوك من حوله كأنّهم أنجم ، فإذا نظرنا إلى هذا المعنى الذي منحه ابن زيدون لممدوحه ، نجده قد استعاره من المعاني التقليدية التي طرقها الشعراء العبّاسيون ، ومن ذلك ، قول المتنبي في مدح سيف الدولة :

وقدْ كانَ يُدْنِي مَجْلِسِي مِنْ سمَائِهِ أُحادِثُ فيها بَدْرَها والكَواكِبا[2]

حيث جعل الشاعر مجلسه كالسماء لعلو مكانته وقدره ، وجعل من حوله كالكواكب ، وجعل ممدوحه كالبدر بينهم .

هذه بعض معاني الأبيات التي أخذها ابن زيدون من أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، ومن خلال تتبعنا لهذه المعاني نلاحظ أن معاني ابن زيدون التي تأثر فيها بأبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، جاءت بنسب متفاوتة ، فكان البحتري ، هو الأكثر تأثيراً في معاني ابن زيدون ، ثم المتنبي ، ثم أبي تمام ، ومن خلال تتبعنا إلى هذه الأبيات تبيّن لنا أيضاً أنّ ابن زيدون لم يتأثر ببعض معاني أبياتهم فقط ؛ وإنما عارض بعض قصائدهم ، فرأيناه يأخذ من قصائدهم الغرض ، والوزن ، والقافية وحركة الروي ، وينظم قصائده ناظراً إلى هذه الأشياء ، ولذلك سوف أفرد لها مبحثاً مستقلاً تحت مسمى معارضة ابن زيدون لقصائد أبي تمام والبحتري والمتنبي ، بادئاً بتعريف المعارضة في اللغة ، والاصطلاح ، ومتتبعاً لجذورها في الشعر العربي .

[1]ـ المصدر السابق ، ص 574 .
[2]ـ ديوان المتنبي ، 1 / ص 70 .

المبحث الثاني ، معارضة ابن زيدون لقصائد أبي تمام والبحتري والمتنبي:

من الظواهر التي تسترعي نظر الباحث في الشعر الأندلسي ظاهرة المعارضة للشعراء المشارقة ، ولعل ذلك راجع إلى إعجاب الشعراء الأندلسيين بالشعراء المشارقة ، حيث بقي الشعراء الأندلسيون ينظرون إلي النتاج المشرقي نظرة إعجاب وإكبار .

ولابدً لنا ـ ونحن نتحدث عن المعارضة ـ من إلمامة سريعة بمفهوم المعارضة في اللغة ، و الاصطلاح ، ولابدّ لنا أيضاً أن نشير في عجالة لتاريخ المعارضات الشعرية .

جاء في لسان العرب لابن منظور تحت مادة " عرض" عدة معانٍ تتلخص في قوله : " عارض الشيء بالشيء معارضة : قابله ، وعارضتُ كتابِي بكتابِهِ : أي قابلته ، وفلانٌ يعارضني : أي يباريني ، وعارض في السير : سار حياله وحاذاه ، وعارضته بمثل ما صنع : أي أتيت إليه بمثل ما أتى وفعلت مثل ما فعل ، ويقال : عارض فلان فلاناً ، إذا أخذ في طريق وأخذ في طريق آخر فالتقيا "[1] .

وهذا التبيين يكاد تطابقه معظم معاجم اللغة الأخرى ، إذ إنها تتفق معه على ما جاء به ، ومما تقدم نخلص إلى أن المعنى اللغوي للمعارضة يعني المباراة والمحاذاة للشيء بشيء يشبهه ، وذلك لدواعي أهمها الإعجاب والاقتدار والتحدي والمباهاة ، وهذا القول مرتبط ارتباطاً يكاد يكون كلياً بالمعنى الاصطلاحي للمعارضة .

المعارضة اصطلاحاً : عرّفت المعارضة اصطلاحاً بتعريفات عدّة ، ولعل من أشهرها تعريف الأستاذ أحمد الشايب ، وهو قوله : " المعارضة في الشعر أن يقول شاعر قصيدة في موضوع ما من أي بحر وقافية ، فيأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة بجانبها الفني وصياغتها الممتازة ، فيقول قصيدة من بحر الأولى وقافيتها ، وفي موضوعها ، أو مع انحراف عنه يسير أو كثير ، حريصاً على أن يتعلق بالأول في درجته الفنية أو يفوقه ... فيأتي بمعانٍ أو صور بإزاء الأولى تبلغها في الجمال الفني أو تسمو عليها بالعمق أو حسن التعليل ، أو جمال التمثيل ، أو فتح آفاق جديدة في باب المعارضة ".[2]

---

[1]ـ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : " عرض " تحقيق عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، الجزء الرابع ، دار المعارف ـ القاهرة ، د / ت ، ص 2885 ، 2886 .

[2]ـ الشايب ، أحمد ، تاريخ النقائض في الشعر العربي ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة 1998 ص 7 .

وعرفها الأستاذ محمد الهادي الطرابلسي بقوله : " المعارضة ضرب من ضروب النظم يختص به الأدب العربي ، نشأ منذ عصور الحضارة العربية الأولى ، وكان له رواد يقل عددهم من عصر إلى عصر آخر أو يكثر ، بحسب ظروف المنافسة المعنوية أو المادية التي تحف بالشعراء وبحسب طبيعتها تكون المعارضة من باب الموافقة أو المناقضة " .[1]

ويسجل لنا التراث العربي كثيراً من أشكال المعارضة التي تتمثل في المواجهة بين شاعرين حاضرين زماناً ومكاناً ، عبر نصين شعريين شفهيين يتلقاهما المتلقي في لحظة إنتاج النصين . ومن هذه المواجهة ما روته كتب الأدب من أن امرأ القيس ، وعلقمة الفحل اختلفا في الشعر، وادّعى كل منهما أنه الأشعر ، فاحتكما إلى أم جندب – زوج امرئ القيس ـ أيهما أشعر فقالت لهما : " قولا شعراً تصفان فيه فرسيكما على روي واحد ، وقافية واحدة ، فقال امرؤ القيس قصيدته التي أولها :

خَليلَيَّ مُرا بي على أُمِّ جُنْدَبِ نُقَضِّ لُباناتِ الفُؤاد المُعذَّب

إلى أن قال : فللساقِ أُلهُوبٌ ، وللسّوْطِ دِرّةٌ وللزَّجْرِ منهُ وقْعُ أخرَجَ مِنْعَبِ

ثم أنشد علقمة بن عبدة التميمي قصيدته التي أولها :

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقاً كل هذا التجنب

إلى أن وصل إلى قوله : فأدركهن ثانياً من عنانه يمر كمر الرائح المتحلّب

فقالت لامرئ القيس بعد أن سمعت منهما : علقمة أشعر منك ، قال : وكيف ذلك ؟ قالت : لأنك أجهدت فرسك بسوطك وضربته بساقك ، أما علقمة ، فقد أدرك طريدته وهو ثانٍ من عنان فرسه ، لم يضربه بسوط ، ولا مراه بساق ولا زجره ، قال امرؤ القيس : ما هو بأشعر مني ، ولكنك له واقعة ، فطلقها وخلفه عليها علقمة فسمى بذلك الفحل ".[2]

وإن كانت هذه المناظرة تعد من أوليات النقد الأدبي إلا أنها تمثل نوعاً من أنواع المعارضة الشعرية ، فكلا الشاعرين أجهد نفسه وأتعب فكره في أنه الأشعر والأقدر ، ولم يكن هدف اللاحق الإعجاب بنص السابق ، وإنما كان هدفهما أن يظهر كل منهما أنه الأقدر والأجود في

---

[1]- الطرابلسي ، محمد الهادي ، خصائص الأسلوب في الشوقيات ، منشورات الجامعة التونسية ، طبع بالمطابع الرسمية لجمهورية تونس ، 1981 ، ص239 .

[2]، ابن قتيبة ،(أبي محمد عبد الله بن مسلم) ، الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ـ القاهرة ، 1966 ، 107. وينظر امرؤ القيس ، الديوان ، اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة الثانية ، 2004 ، 74 - 77 . وينظر، الفحل ، علقمة بن عبدة ، الديوان ، شرح الأعلم الشنتمري ، قدم له ووضع هوامسه وفهارسه حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، 1993 ، ص 52 - 62 .

قول الشعر ، وبغض النظر عن صحة الرواية وهدفها إلا أن قصيدة علقمة تعد معارضة تامة لقصيدة امرئ القيس ، فكلا القصيدتين من البحر الطويل ، والقافية البائية المكسورة ، ونفس الغرض وهو الغزل والوصف ، وقد ضمّن علقمة قصيدته بعض الأبيات من قصيدة امرئ القيس.

أما عصر صدر الإسلام ، فكان الشعراء فيه يذودون عن الإسلام ، والدفاع عن الدعوة الإسلامية ، فلما كان شعراء الكفر يهاجمون الإسلام بأشعار حماسية ، فتصدى لهم شعراء المسلمين بمعارضات رادعة لهم .[1]

وفي العصر الأموي ، ظهرت فكرة النقائض الشعرية – بغض النظر عن هدفها القائم على فكرة الهدم والبناء ، ونفي الآخر – لتشكل حلقة أخرى من حلقات المواجهة والمعارضة ، وكان من رواد هذا الفن المثلث الشعري في ذلك العصر وهم " جرير ، والفرزدق ، والأخطل " حيث " يقول أحدهم قصيدة – وغالبا ما يكون الفخر أو الهجاء – فيهبُّ الآخر للرد على الشاعر والأخذ بالثأر فينظم قصيدة على نمط القصيدة الأولي وزناً وقافية غالباً ، يبطل فيها معاني الشاعر الأول وكل أفكاره .[2]

وما إن وصلنا إلى العصر الأندلسي حتى اتضحت فكرة المعارضة وغدت ظاهرة عامة بين الشعراء سواء بين الأندلسيين أنفسهم أو بينهم وبين المشارقة التي ظهرت نتيجة التأثر والإعجاب أو المباهاة ، والمباراة ، فقد كان الأندلسيون ينظرون إلى المشرق على أنه الأساس والمنبع ، فالمشارقة كانوا مهد الثقافة الإسلامية ، وبلادهم منبع اللغة العربية ، فكل شيء يظهر في المشرق أولاً ، ويأخذ منه المشارقة ما يشاؤون ، ثم يفد بعد ذلك على الأندلس ، وكان الأندلسيون يحسون بنوع من التخلف عن المشارقة ، ويحاولون دائماً أن يعوضوا ذلك بتأكيد تفوقهم برغم بعدهم عنهم ، كما نراهم يتعصبون للأدب التقليدي تعصباً صورياً ، ويتسابقون على مذاهبه واتجاهاته ، ويحاولون أن يقلدوها .[3]

وكان لإعجاب الأندلسيين بالمشارقة أن قلدوهم في " جميع جوانب الحياة ".[4] وهذا التقليد يعتبر ضرباً من ضروب المعارضة والتحدي ، فمن ناحية التأليف : ألف الأندلسيون الكثير من الكتب معارضة لكتب المشارقة ككتاب العقد الفريد الذي عارض به صاحبه كتاب

---

[1]- ينظر ، ضيف ، شوقي ، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) ، دار المعارف ، الطبعة العشرون ، سنة 2002 ، ص 50 .
[2]- ابراهيم ، مصطفي عبدالرحيم ، في النقد الأدبي عند العرب ، دار المعارف القاهرة ، 1998 ، ص 103 .
[3]- ينظر - هيكل ،أحمد ،الأدب الأندلسي من الفتح إلي سقوط الخلافة ، ص53 .
[4]- ضيف شوقي ، الفن ومذاهبه ص412 .

عيون الأخبار ، وجاء كتاب الحدائق لأبي فرج الجياني معارضة لكتاب الزهرة للأصفهاني ، وكتاب الذخيرة لابن بسام جاء معارضة لكتاب اليتيمة للثعالبي وغيرها .[1]

وإذا كان الشعر المشرقي والشعر الأندلسي ، يمثل – من الناحية الزمنية – السابق واللاحق أو المتقدم والمتأخر ، فإن المعارضة تكون أكثر وضوحاً وظهوراً .

وإذ كانت الأندلس أيضا تعيش في كنف الحضارة العباسية في المشرق فمن الطبيعي أن يتأثر شعراؤها بشعراء المشرق ، ويكون عندهم أبو تمام المغرب وبحتري المغرب ومتنبي المغرب ، وأن تعارض بعض قصائدهم ، وفي كتاب الذخيرة لابن بسام معارضات كثيرة للشعراء الأندلسيين الذين بهرتهم روائع الشعر المشرقي ، وخاصة شعراء العصر العباسي كأبي تمام والبحتري والمتنبي وأن دواوين هؤلاء الثلاثة هي " أكثر الدواوين الشعرية رواجاً في الأندلس "[2] في عهد ابن زيدون . ويقول البستاني : " ولم يترك أهل الأندلس باباً من أبواب الشعر المعروفة إلا قرعوه ونوعوا أغراضه وفنونه ، فمنه ما ترسموا به أهل المشرق فواطؤوهم في معانيهم وشاركوهم في أساليبهم وعارضوهم في مشهورات قصائدهم "[3].

ويرى ابن شريفة أن العناية بشعر هؤلاء ، وحفظها وتدريسها ، ونقدها أدت في آخر الأمر إلى تأثيرها في الحركة الأدبية والشعرية في الأندلس ، ويتمثل هذا التأثير في المعارضة التي أصبحت ظاهرة عامة في شعرهم .[4] ومن خلال تتبعنا لمعارضة الأندلسيين لقصائد المشارقة رأينا أن القصائد المشهورة هي محط أنظار المعارضين لأنها قصائد جديرة بالإعجاب .

---

[1]- المرجع نفسة صـ 415 .

[2]- عمايرة ، د . حنان إسماعيل أحمد ، الأثر المشرقي في شعر ابن خفاجة الأندلسي ، مجلة جامعة دمشق – المجلد 27 ، العدد الاول + الثاني 2011 – ص 238 .

[3]- البستاني ، بطرس ، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ،دار الثقافة - بيروت ، الطبعة السادسة ، 1968، 40 .

[4]- ينظر أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة ص56 .

أولاً ، معارضة ابن زيدون لقصائد أبي تمام :

عارض ابن زيدون مجموعة من قصائد أبي تمام وأخذ كثيراً من معانيه ، ولعل نظرة منا في كتاب الذخيرة لابن بسام ، أو جولة منّا في ديوان ابن زيدون تشفُّ عما نود قوله ، من أن ابن زيدون كان يقتبس من أشعار المشارقة ، ويعارض بعض قصائدهم ، ومن تلك القصائد التي عارضها ابن زيدون قصيدته في رثاء محمد بن حُميد الطوسي الطائي ، مطلعها :

كذا فليجلَّ الخَطبُ وليفْدحِ الأمْرُ فليسَ لعِيْن لم يَفضْ ماؤُها عُذرُ[1]

تُوفِّيتِ الآمالُ بعد مُحمّد وأصبحَ في شُغل عن السّفر السّفرُ

حيث عارضها ابن زيدون بقصيدة رائية في رثاء والدة أبي الوليد بن جهور ، ومطلعها :

هُوَ الدَّهْرُ !! فاصْبِرْ لِلَّذِي أحْدَثَ الدَّهْرُ فَمِنْ شِيَمِ الأَبْرَارِ – في مِثْلِهَا – الصَّبْرُ[2]

ستصْبِرُ صبْر اليأسِ أو صبْرَ حِسْبةٍ فلا ترضَ بالصبرِ الذي معه الوزرُ

القصيدتان من البحر الطويل ، وقد اشتركت القصيدتان في القافية الرائية ، والروي المضموم ، وكلتاهما في نفس الموضوع وهو الرثاء ، وإذا كان اتفاق القصيدتين ، في (الغرض ، والبحر ، والروي ، وحركته) فإننا نعدها معارضة تامة ؛ لاشتراكهما في هذه الأساسيات الأربع ، وقد بلغت قصيدة أبي تمام ثلاثين بيتاً ، بينما بلغ عدد أبيات قصيدة ابن زيدون ثلاثة وأربعين بيتاً .

بناء المعنى : لاشك أن الرثاء من أصدق الأغراض الشعرية ؛ لأنه يصور مرارة الفقد ، وحسرة الفراق ، وإذا كان المديح يستدعي المبالغة في كثير من الأحيان ؛ لكونه وسيلة لاستجلاب المنافع ، فإن الرثاء لا تحصل فيه هذه الوسيلة ، وإنما تذكر فيه محاسن الفقيد ، والناظر إلى هاتين القصيدتين يرى اختلافاً بيناً بينهما ، من حيث القوة والضعف ، فانظر إلى مرثية أبي تمام التي قالها في رثاء القائد الشجاع محمد الطوسي الذي استشهد في ميدان المعركة ، ولعل أول ما يلفت الانتباه في هذه المرثية الحزينة هو ذلك الافتتاح الرائع التي تبدو فيه ملامح الفاجعة التي حطت ، والمصيبة التي حلت ، فلفظة (كذا) توحي بالتسليم لأمر الله وقضائه في مقتل هذا القائد الشجاع ، لأن الخطب جلل ، والأمر فادح ، ولذلك لا يجد الشاعر عذراً لأي عين لم يفض دمعها على مقتل هذا القائد العظيم ثم يعلن نعيه لجميع الآمال التي رحلت بعد هذه الفاجعة ، وحلت بالشاعر في مقتل هذا الشاب الذي وصفه بأنه (فَتَى كانَ عَذْبَ الرُّوحِ) ، فظل أبو تمام يرثي فقيده إلى آخر القصيدة مظهراً عاطفته الصادقة الحزينة الجياشة، حتى يحس القارئ بأنه في ساحات

[1]- ديوان أبي تمام ، 218/2 .
[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 539 .

الوغى يشاهد المعركة عياناً ويشارك فيها ثم يصدمه مقتل قائده المغوار ، فإبداع أبي تمام في وصف هذا الفقيد ورثائه جعلت هذا القصيدة من أجود مراثي الأدب العربي [1]. أما قصيدة ابن زيدون فإنها تختفي فيها لوعة الحزن وألم الفاجعة لا سيما في هذا المطلع الذي يقول فيه أن الصبر الجميل من شيم الأبرار ، ففقيد الشاعر والدة ممدوحه ولذلك نجد في ثنايا القصيدة ومضات في المديح ، أما الرثاء فيدور حول التذكير بالصبر ، حيث تدور أغلب أبيات القصيدة حول الصبر والثواب التي يشير إليها في مطلع قصيدته ، فيقول أن الذي يفقد ليس هو الميت وإنما الذي يفقد هو الأجر والثواب حينما نجزع على الفقيد ؛ لأن الموت مصير كل إنسان ، ولذلك نجد بداية أبيات القصيدة في التذكير بالآخرة والثواب ، ثم ينتقل الشاعر إلى مدح ابن جهور، فيقول :

بَـــني "جَهْوَرٍ" أنْتُمْ سَمَاءُ رِيَاسَةٍ مَنَاقِبُكُمْ – في أُفْقِهَا – أنْجُمٌ زُهْرُ [2]

وهذا ما يؤكده الدكتور وهب رومية بقوله : " إن ابن زيدون لا يصلح للمراثي ولا يطيق الصبر عليها ، وما له بها ؟ أن الرثاء يقتضي الإحساس بالفجيعة ولوعة الحزن "[3] ، ثم يضيف قائلاً : " إنه سجين وعيه ومصالحه الضيقة ، وهما يضربان في وجهة أخرى غير وجهة الرثاء وما يقتضيه ، ولعل عنصر الرثاء الوحيد الذي يتردد صداه في دنيا هذا الشاعر هو التأبين لما بينه وبين المدح من أسباب "[4] ، ونلاحظ أن تكرار كلمة الدهر ، والصبر ، والموت تشير إلى إحساس الشاعر بالعجز[5] ، وكأن ثمة سؤالاً غامضاً يدور في فكر كل إنسان عن الكون يعرفه الجميع وحاولوا تفسيره ، فكان الجواب عليه " هو الدهر "[6] الذي قرن بالصبر ، ولما ابتدأ ابن زيدون قصيدته بهذا الجواب ، أضحى ـ في كثير من المواضع ـ متسائلاً ومجيباً عن هذا التساؤل بنفسه في أسلوب شرطي مستخدماً فيه (إذا ، إن) كأداتين للشرط ، رابطا فيهما بين الماضي والحاضر ، ماضي الفقيد وحاضر الممدوح ، ومن أمثلة ذلك قوله :

إذا آسف الثكل اللبيب فشفَّه / إذا الموت أضحى قصَّر / إذا عثرت جرد السوابح في القنا بليل عجاج ليس يصدعه فجر / فإن أنثت فالنفس أنثى / إذا استعبرت في تربها ابتسم الزهر / إن ضاق ذرع بحادث تبلج من الوجه / إن يبطش فمنكم يمينه / إن تضحك الدنيا فأنتم لها ثغر / إذا ما ذكرتم ...تضوعت الأخبار .

---

[1] ـ http://www.alfaseeh.com/ ، شبكة الفصيح ، منتدى اللغة العربية ،تحليل قصيدة أبي تمام يرثي فيها محمد بن حميد ، ص4 .
[2] ـ ديوان ابن زيدون ، ص547 ، المناقب : المفاخر .
[3] ـ رومية ، وهب ، شعر ابن زيدون قراءة جديدة ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، 2014 ، ص 85 .
[4] ـ المرجع السابق ، ص 86 .
[5] ينظر ـ رومية ، وهب ، 90 .
[6] ـ ينظر المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

مواطن التأثر في الأبيات : تأثر ابن زيدون ببعض أبيات أبي تمام ، فقوله :

هُوَ َالضَّيْمُ !! لَوْغَيْرُ القَضَاءِ يَرُومُهُ شَآهُ المَرَامُ الصَّعْبُ والمَسْلَكُ الوَعْرُ[1]

من قول أبي تمام :

وقد كانَ فَوْتُ المَوتِ سَهْلاً فردَّهُ إليه الحِفاظُ المرُّ والخُلُقُ الوَعْر[2]

الفكرة في البيتين واحدة ، وإن اختلفت في معناها ، فابن زيدون في رثائه لوالدة ابن جهور ، يقول : إن القضاء قد سبق موتها ، ولو لم يكن الموت قضاءً وقدراً ، لردها عن هدفه المطلب الصعب ، والمسلك الوعر ، بينما يقول أبو تمام في رثائه ، لمحمد بن حميد الطائي : إن هذا القائد الشجاع باستطاعته الهروب من الموت ، وهو مطلب كل نفس ، وعلى الرغم من أن فوت الموت ، كان سهلاً ، إلاَّ أنه آثر الحفاظ المر ، والخلق والوعر إيماناً بقضيته .

وقد تأثر ابن زيدون في قوله :

تَوَلَّتْ !! فأبْقَتْ – مِنْ مُجَابِ دُعَائِها ـ نَفَائِسَ ذُخْرٍ مَا يُقَاسُ بِهِ ذُخْرُ

بقول أبي تمام :

ومَا كانَ إلا مالَ مَنْ قلَّ مَالُهُ وذُخْراً لِمَنْ أمسَى وليسَ له ذُخْرُ[3]

يقول ابن زيدون : لقد طواها الموت ، ولكن دعواتها الصالحة المجابة ظلت باقية ، وهو من أثمن الذخائر ، أما أبو تمام فيصف قائده بالكرم ، والسخاء ، وأن هذا الكرم والسخاء والشجاعة ذخرٌ لأهل الفقيد وقبيلته . وأخذ ابن زيدون قوله :

بَــني "جَهْوَرٍ" أنْتُمْ سَمَاءُ رِيَاسَةٍ مَنَاقِبُكُمْ– في أُفْقِهَا – أنْجُمٌ زُهْرُ

من قول أبي تمام :

كــأنَّ بَنِي نَبْهَانَ يومَ وفَاتِـــه نُجـومُ سَماءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِها البَدْرُ[4]

المعنى متفق بين البيتين ، وإن اختلف الغرض ، فابن زيدون انتقل إلى مدح آل جهور ، قائلاً : يا بني جهور : لقد علوتم حتى أصبحتم في رياستكم ، سماء تشرق فيها مفاخركم ، كالأنجم

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 542 ، شآه : سبقه .
[2]- ديوان أبي تمام ، 2 / 218 .
[3]- ديوان أبي تمام ، 2 / 218 .
[4]- ديوان أبي تمام ، 2 / 219 .

الزهر ، ولكن أبا تمام ، يرثي ذلك القائد الشجاع يقول : كأنَّ بني نبهان يوم وفاته ، نجوم زاهرة مضيئة في السماء ، ولكنها لما سقط من بينها البدر التام ذهب ضوؤها ، واختفى بريقها .

وقول ابن زيدون :

هُوَ الدَّهْرُ !! فاصْبِرْ لِلَّذِي أحْدَثَ الدَّهْرُ فَمِنْ شِيَمِ الأَبْرَارِ – في مِثْلِهَا – الصَّبْر[1]

من قول أبي تمام :

لَئِنْ أُبْغِضَ الدَّهْرُ الخَؤُونُ لِفَقْدِهِ لَعَهْدِي بِهِ مِمَّنْ يُحَبُّ له الدَّهْرُ

لَئِنْ غَدرَتْ في الـرَّوْعِ أيَّامُه به لَمَا زَالتِ الأيَّامُ شِيمتُها الغَدْرُ[2]

يقول ابن زيدون : صبراً لما أصابكم به الدهر ، فإن الصبر الجميل من شيم الأحرار ، بينما أبو تمام ، كان يحب الدهر لوجود صاحبه ، ولكنه الآن يبغض هذا الدهر الذي أفقده هذا الصاحب ، وهذه شيم الأيام وعاداتها ، لا تصفو لأحد . وقول ابن زيدون :

عَلَيْهَا سَلَامُ اللهِ تَتْرَى تَحِيَّةً يُنَسِّمُهَا الغُفْرَانَ رَيْحَانُهَا النَّصْرُ[3]

من قول أبي تمام :

علـيك ســـــلام الله وقفاً فإنني رَأيْتُ الكريمَ الحُرَّ ليسَ له عُمْرُ[4]

يقول ابن زيدون : عليها سلام متتابع من الله ، وتحية لها مشفوعة بالغفران ، لما قدمته من صالح الأعمال ، وما عطرت به حياتها من أطيب الآثار . أما أبو تمام فيخاطب أميره الذي ثوى، قائلاً عليك سلام الله ، فإنَّ الكريم الحر قصير العمر.

وقول ابن زيدون :

هنيئاً ، لبطنِ الأرضِ ، أنْسٌ مجدَّدٌ بثاويةٍ حلَّته ، فاستوحش الظهرُ

بطاهرةِ الأثوابِ ، فاتنةِ الضحى مُسبَّحَةِ الآناء ، مِحْرابُها الخِدْرُ

قريب من قول أبي تمام :

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، 539 .
[2]- ديوان أبي تمام ، 2 / 220 .
[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، 544 ، تترى : أصلها وترى يقال : جاءوا تترى بمعنى متواترين أي متتابعين .
[4]- ديوان أبي تمام ، 2 / 220 .

مضَى طاهِرَ الأثْوابِ لم تبقَ روضةٌ غداةَ ثوى إلاَّ اشتَهتْ أنها قبْرُ[1]

يقول ابن زيدون : هنيئاً لباطن الأرض بأنسها الجديد الذي ثوى وحلَّ ضيفاً عندها ، وقد أصبح ظهر الأرض موحشا ، كما أن تلك المرأة طاهرة الأثواب والنفس ، تسبح كل الأوقات وخدرها محرابها . ويقول أبو تمام قضى طاهر الأثواب ولم تبقَ روضة يوم وفاته ، إلا اشتهت أنها هي القبر ، لهذا الشهيد الطاهر . ومن خلال تتبعنا لمعاني الأبيات ، والمقارنة بينها نرى هناك اختلافاً بينها في الغرض ، فيغلب على أبيات ابن زيدون مدح ابن جهور ، ويذكره بالصبر ، مشيراً لفضائل والدته الراحلة ، أما أبو تمام فتتضح في قصيدته العاطفة المتقدة ، وفجيعته في مقتل ذلك القائد الشجاع .

ولابن زيدون قصيدة أخرى في رثاء أبي الحزم بن جهور ، تشبه قصيدته السابقة في (الغرض ، والبحر ، والروي ، وحركته) ، نظر في بعض أبياتها إلى قصيدة أبي تمام السابقة ، يقول ابن زيدون في مطلعها :

ألم تر أنَّ الشمسَ قدْ ضمّها القبرُ وأَنْ قدْ كَفانَا – فقدَها – القمَرُ البَدْرُ[2]

فمن الأبيات التي تأثر فيها ابن زيدون بأبي تمام : قول ابن زيدون :

فَتَى يَجْمَعُ المَجْدَ المُفَرَّق همُّهُ وَيُنْظَمُ – في أخلاقِهِ – السُّؤدَدُ النَّثْرُ[3]

من قول أبي تمام :

فَتَى كانَ عَذْبَ الرّوحِ لا مِنْ غَضَاضَةٍ ولكنَّ كِبْراً أنْ يُقَالَ به كبرُ[4]

نلاحظ أن صفات الفتوة بين البيتين واحدة ، تمثلت في الأخلاق ، وعذوبة الروح ، غير أن فتى أبي تمام قد ثوى فهو فقيد ، وفتى ابن زيدون قد تستلم الحكم وهو ممدوحه بعد أن ثوى أبوه ابن جهور ، وقد نظر ابن زيدون في قوله :

عَزَاءً – فَدَتْكَ النَّفْسُ- عَنْهُ ، فإنْ ثَوَى فَإنَّكَ لَا الفَانِي ، وَلا َالضرِعُ الغُمْرُ[5]

إلى بيتين من أبيات أبي تمام ، وهما :

---

[1] - ديوان أبي تمام ، 2 / 220 .
[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، 523 .
[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، 525 .
[4]- ديوان أبي تمام ، 219/2 .
[5]- ديوان ابن زيدون ورسائله ،ص528 ، الفاني : الشيخ الكبير الضعيف ، الضرع : الذليل المستكين ، الغمر : الذي لم يجرب الأمور .

يعَزُّوْنَ عَنْ ثاوٍ تُعَزَّى بهِ العُلى ويَبكِي عليهِ الجُودُ والبأْسُ والشِّعْرُ[1]

ثَوَى في الثَّرَى مَنْ كانَ يَحيا به الثَّرَى ويَغْمُرُ صَرْفَ الدَّهْرِ نائِلُهُ الغَمْرُ[2]

ولابن زيدون قصيدة بائية في مدح وعتاب أبي الحزم بن جهور ، مطلعها :

هذَا الصَّبَاحُ عَلَى سُرَاك رَقِيباً فَصِلِي بِفَرْعِكِ لَيْلَكِ الغِرْبِيبـــــا[3]

ولديكِ ـ أمثالَ النُّجُومِ ـ قلائـدٌ أَلِفَتْ سمـــــــاءكِ لَبَّةً وتريْبَـــــا

عارض فيه قصيدة لأبي تمام في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف [الثغري] ومطلعها:

مِنْ سَجايَا الطُّلُولِ ألاَّ تُجــيبَا فصَوابُ مِن مُقْلَةٍ أنْ تَصُوبا[4]

فاسألَنْها واجْعَل بُكاكَ جَوابــاً تَجِدِ الشَّوْقَ سائِلاً ومُجِيــباً

لا شك أن غرض المديح قد استأثر اهتمام ابن زيدون الذي عاش مدة طويلة في بلاط الأمراء ، فكان الموقف يتطلب منه أن يطرق هذا الغرض الشعري ، وأن يتخذ من مدائح العباسيين أنموذجاً يحتذيه ؛ لينال الحظوة والجاه عند ممدوحيه ، وبذلك أضحت المعارضة الشعرية لمدائح العباسيين ظاهرة واضحة في شعره

هيكل القصيدتين : تتكون قصيدة أبي تمام من خمسة وخمسين بيتاً ، أما قصيدة ابن زيدون فتتكون من ثمانية وثلاثين بيتاً ، والمتتبع للقصيدتين ، يرى أثر المعارضة واضحة جلية إلا أنها تعد معارضة ناقصة ، حيث اتفقت القصيدتان في الغرض وهو(المدح)، واتفقتا في القافية البائية ، والروي المفتوح ، واختلفتا في الوزن ، فقصيدة أبي تمام من البحر الخفيف ، و قصيدة ابن زيدون من الكامل ، ولدى المقارنة بين القصيدتين من حيث الشكل والمضمون تبين للباحث أن القصيدتين اتفقتا في أشياء واختلفتا في أشياء أخرى نوضحها فيما يلي :

أوجه الاتفاق ، والتباين بين القصيدتين : اتفقت القصيدتان في الغرض والقافية وحركة الروي ، وفي بناء القصيدة من حيث المقدمة ، وطريقة الانتقال والتخلص إلى الغرض الأصلي للقصيدة ، فابتدأ ابن زيدون قصيدته بمقدمة غزلية في نحو ستة عشر بيتاً ، يتحدث فيها عن محبوبته التي هجرته ، وغدت كأنها حبيب ، وعدو له في آن واحد ، فهي محبوبته ولكنها عذبته بالهجران

---

[1]- ديوان أبي تمام ،219/2 .

[2]- المصدر نفسه ص 220 .

[3]- ديوان ابن زيدون ، ص324 ، السرى : السير ليلاً ، الفرع : الشعر التام ، الغربيب الشديد السواد ، اللّبّة : النحر أو موضع القلادة في الصدر ، التريب : مكان القلادة جمعها ترائب .

[4]- ديوان أبي تمام 1 / 92 ، تصوب : من صاب السحاب إذا جاء بالمطر .

والصدود ، ثم يتخلص من هذه المقدمة الغزلية الحزينة قائلاً : " مالي وللأيام ؟ لج مع الصبا ؟ ، أي مالي ولهذا الحب الذي أتعبني فلم نجنِ منه سوى الهوان والشيب الذي ألم برأسي وبلحيتي ، وبعد هذه المقدمة ينتقل إلى غرضه المقصود وهو المديح في نقلة رائعة مستحسنة ، مستخدما العطف بالواو ولام الابتداء ، وأن المخففة ذاكراً اسم ممدوحه على عادة بعض الشعراء ، قائلاً :

وَلَئِنْ عَجِبْتُ لأنْ أُضَامَ "وَجْهَورٌ" نِعْمَ النَّصِيُر لقد رَأيْتُ عجِيبَا[1]

فهو بهذه المقدمة الغزلية والشكوى من الشيب والانتقال إلى الممدوح متأثر بأبي تمام ، حيث بدأ أبو تمام قصيدته بمقدمة طللية وقف فيها على أطلال المحبوبة يسأل تلك الأطلال ويدرك بأنها لا تجيب على سؤاله ، فالشاعر يسأل ويجيب نفسه ؛ لأن هذا الطلل يمثل جزءًا من تجربته ثم ينتقل إلى الشكوى من الشيب ، ومن تلك الشكوى ينتقل الشاعر إلى المديح ذاكراً ، اسم ممدوحه ، فيقول :

كُلّ يومٍ تُبْدِي صُرُوفُ اللَّيالِي خُلُقاً من أبِي سَعِيدٍ رَغيبَا[2]

فينتقل كل منهما إلى مدح أميره ، فيصف أبو تمام أبا سعيد بصفات الشجاعة والإقدام ، وأنه سيف صليل على أعدائه ، ونلاحظ أن أبا تمام قد خص مديحه لهذا الأمير فلم يحد على هذا الممدوح ، أما ابن زيدون فتارة يمدح أبا جهور ، وتارة أخرى يمدح آل جهور فتظهر في القصيدة ضمائر المفرد والجمع ، وأن الغالب على صفات ابن زيدون لممدوحه هي صفات التقوى ، والإحسان ، والتوبة ، والعفة .

وقد كان ابن زيدون في أغلب مدائحه وبخاصة في مدح ابن جهور يشكو من الوشاة ، فنراه دائماً يبرئ نفسه مما نسب إليه من فتن ، كقوله في هذه القصيدة :

كانَ الوُشَاةُ وَقَدْ مُنيتُ بإفْكِهِمْ أسْبَاطَ يَعْقُوبٍ وكنتُ الذّيبَا

وإذا المُنى بِقَبُولِكَ الغَضِّ الجنى هُزَّتْ ذَوَائِبُها فلَا تَثْرِيبَا

ولعل ما تميز به ابن زيدون هنا بروز الأنا في قصيدته ، فإذا غلب على أبي تمام تسمية ممدوحه بأسماء السيوف والنبال في مقارعة الأعداء ، فإن ابن زيدون تستهويه الأنا المتضخمة فكأنه يريد مواجهة هؤلاء الوشاة والحاسدين الذين أرادوا أن يوقعوا بينه وبين ممدوحيه ، يقول ابن زيدون :

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ص 326 .
[2]- ديوان أبي تمام 1 / 93 .

أنَا السَّيفُ الصَّدِئ الذي مَهما تشأْ تُعِدِ الصّقَالِ إلَيْهِ والتّذْرِيبَا

كَمْ ضَاقَ بِي مِنْ مَذْهَبٍ في مَطْلَبٍ فَثَنِيْتَهُ فُسُحَ المَجَالِ رَحِيبَا

فيقول : أنا السيفُ ، ويقول : كم ضاق بي من مذهب فثنيته ، وهذا النهج نجده في كثير من مدائح ابن زيدون ، وبخاصة في مدائحه في أبي الحزم ، وهي قصائد يكثر فيها من حديثه عن الوشاة ، فيكثر فيها الحديث عن شجاعته ، ؛ ليثبت أمام قوى الوشاة الحاسدة .

وفي خاتمة القصيدتين ، نجد أن ابن زيدون يختم قصيدته مثلما ختم أبو تمام قصيدته من دعاء لممدوحه بطول العمر ، فقال :

وأراد فيك مرادك القدر الذي لا تستطيع لحكمه تعقيبا

أما أبو تمام فختم قصيدته بقوله :

وبقاءً حتى يفوت أبو يعـ ـقوب في سنه أبا يعقوبا[1]

ومن مواطن التباين بين القصيدتين : ظهور بعض صور الموت والحرب وأدوات القتال عند أبي تمام ، ولا ضير في أن يكون شعره كذلك ، فهو شاعر مصور ومسجل للأحداث التي تقع بين ممدوحه وأعدائه ، فنراه يتكلف في إظهار قوة ممدوحه وحسن تدبيره للمعارك ؛ لينال عطاء ممدوحه ، ولذلك قوي شعره ، أما ابن زيدون فلم يبلغ شعره شأو أبي تمام ولا داناه حيث إنه لم يكن من شعراء التكسب ؛ لثرائه ، كما أن شعره في أبي الحزم يظهر فيه النفاق والمجاملة ؛ ليتقي شره ، ويسلم من سجنه ، ولذلك لا نراه يمدح أبا الحزم حتى يصير إلى مدح نفسه لتظهر أناه فتتماسك وتقوى أمام الوشاة ، ومن صور القوة التي ذكرها أبو تمام في قصيدته :

طَاعِنًا مَنْحَرَ الشَّمالِ مُتِيحًا لِبِلادِ العدُوّ مَوتاً جَنُوباً[2]

سَبَراتٍ إذا الحُروبُ أُبِيخَتْ هَاجَ صِنَّبْرُهَا فَكَانَتْ حُروبا

فَضَرَبْتَ الشِّتَاءَ في أخْدَعَيْهِ ضرْبةً غَادَرتْهُ عَوْداً رَكُوبا

وصَلِيلاً مِنَ السُّيُوفِ مُرنّا وشِهاباً مِنَ الحريقِ ذَنُوبا

---

[1] ـ ديوان أبي تمام ، 1 / 100 .
[2] ـ المصدر نفسه ، ص 96 ، 97 .

الاتفاق والاختلاف في بعض الأساليب :

الجناس : من الأساليب اللافتة للنظر، التي استعان بها ابن زيدون استجابة لنداء المعارضة أسلوب الجناس القائم على رد الصدر على العجز ، وهذا الأسلوب حقق للقصيدة نسقاً بديعياً أنيقاً ، ويمكن أن نصور هذه الظاهرة على هذا النحو: يقول أبو تمام مجانساً : فصَوابُ تَصُوبا / خَضَبَتْ خَضِيبَا / للشيبِ شيباً / الخطوب خطوبا / وصَلِيبُ الَّصَّليباً / لَعِبَ ولعُوبا / النَّسيبِ نسيباً / فدرُوبِ دروبا / إرْباً أريباً / الحروب حروباً ، وعند ابن زيدون : الخضِيبُ – خَضِيبَا / عَجِبْتُ عجِيبَا / الخُطُوبِ خَطِيبَا / عذبت التعذيباً / عجبت عجيباً / الضروب ضروبا / مُنْجِباً ونجيباً / التجارب تجريباً / العقيبِ عقِيباً .

الطباق : اتفقت القصيدتان في بعض صور الطباق ، ومثاله عند أبي تمام : سائلاً ـ مجيباً / القريب ـ بعيدا / الليل ـ النهار / الشمال ـ الجنوب / غادرته ـ عودا . وعند ابن زيدون : معادياً ـ موالياً / معاقباً ـ مثيباً / متعذر ـ سهل / سائلاً ـ مجيبا / يبلى ـ يستجد .

ويُلاحَظ أن ابن زيدون تارة يمدح ابن جهور ، وتارة أخرى يمدح آل جهور ، فعندما يمدح ابن جهور ، يقول : وَلَئِنْ عَجِبْتُ لأنْ أُضَامَ "وَجْهَورٌ" / مُتَمَرِّسٌ بالدَّهْرِ ، يَقْعُدُ صَرْفُهُ / ملك أطاع الله منه موفق/ يأتي رضاه موالياً ومعادياً / تأبى ضرائبه / بسام ثغر / من لا تعدى النائبات لجاره . وحين يمدح آل جهور يقول : إن الجهاورة الملوك تبوءوا / يغشى التجارب كلهم / همم تنافسها النجوم .

مواطن التأثر في الأبيات : ومن أبيات أبي تمام التي تأثر بها ابن زيدون قوله :

فاسألَنْها واجْعَل بُكاكَ جَواباً تَجِدِ الشَّوْقَ سائِلاً ومُجِيبا[1]

يقول أبو تمام : لا تنتظر جواباً من تلك الطلول التي تسألها ، وإذا سألها وجعل البكاء جوابها فقد ألهب الشوق في حالتي سؤاله وجوابه ، وهي فلسفة حسنة ، ومذهب من مذاهب أبي تمام القائم على خلط الجناس بالطباق ، وقد ضمن ابن زيدون طباق أبي تمام الذي في آخر البيت قائلاً:

مَلأَ النَّوَاظِرَ صَامِتاً ولَرُبَّمَا مَلأَ المَسَامِعَ "سائلاً ومجيباً"[2]

[1]- ديوان أبي تمام 1 / 92 .
[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص328 .

يقول ابن زيدون : إن أميره يملأ ناظريه بهيبته ، إذا كان صامتاً ، وببلاغته إذا تحدث سائلاً أو مجيباً ، وهي صورة تعتريها البساطة والرتابة ، وتنم بولع ابن زيدون وشغفه بتكرار الطباق حيث طابق بين صامتاً ، والمسامع ، وبين سائلاً ومجيباً . وكذلك قول أبي تمام :

وكِعاَباً كأنَّمَا ألبَسَتْهَا غَفَلاتُ الشَّبَابِ بُرْداً قَشِيْباَ[1]

وذلك في قول ابن زيدون :

وتَهَنَّإ الأعْيَادَ عَادَةَ لاَبِسٍ يُبلِي الدَّرِيسَ فَيَسْتَجِدُّ قَشِيبَاً[2]

الاتفاق في الأبيات ، يكمن في استخدام الملابس الجديدة ، يقول أبو تمام : عهدنا تلك الطلول ، تقطنها كعابٌ من النساء ، يرتدين الملابس الجديدة ، أما ابن زيدون : فإنه يهنئ ممدوحه بأعياد متوالية ، فإذا ودع عيدا استقبل عيداً ، كما يخلع اللابس الملابس البالية ويلبس الجديدة . وكذلك قول أبي تمام :

طابَ فيهِ المَدِيحُ والتَذَّ حَتَى فاقَ وصْفَ الدِّيَارِ والتَّشْبِيبَا[3]

وذلك في قول ابن زيدون :

ومَحَاسِنٌ تَنْدَى رَقائِقُ ذِكْرِهَا فَتَكَادُ تُوهِمُكَ المَدِيحَ نَسِيبَا[4]

يقول أبو تمام : أطيب الشعر ما كان تشبيباً ، وقد صار مديحي لأبي سعيد الثغري أطيب وألذَّ من التشبيب ، وهو وصف أخذه ابن زيدون وخلعه على ممدوحيه (آل جهور) ، مُعدِّداً فضائلهم قائلاً : لهم عليّ محاسن عظيمة يرق ذكرها إلى حد تتوهم فيه أن المديح قد تحول إلى نسيب وغزل . ومن أبيات أبي تمام التي تأثر بها ابن زيدون أيضاً قوله :

خَضَبَتْ خَدَّهَا إلى لُؤلُؤ العِقْـ ـدِ دما أنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيبَا[5]

وذلك في قول ابن زيدون :

ولَطَالمَـــا أبْدَيْتِ إذ حَيَّيْتِنَا كَفًّا ـ هي الكَفُّ الخضِيبُ ـ خَضِيبَا[6]

---

[1]- ديوان أبي تمام 1 / 92 .
[2]- ديوانه ابن زيدون ورسائله ، ص 331 ، الدريس : الخلق البالي ، القشيب : الجديد .
[3]- ديوان أبي تمام1 / 94 .
[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص329 .
[5]- ديوان أبي تمام 1 / 93 ، خضبت : بالدمع الذي فيه الدم . الشواة : جلدة الرأس ، ويقال للجلد كله شواة لأنه يلو الجسد .
[6]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص324 ، الكف الخضيب : نجم .

ما بالُ خدِّكِ لايزالُ مُضَرّجــاً بِـدَمٍ، ولَحْظُـــــكِ لَايَزالُ مُرِيبَا[1]

الفكرة العامة المشتركة بين الأبيات ، هي : (تخضيب الخد بالدمع ممزوجاً بالدم) ، يقول أبو تمام : إنها خضبت خدها دمعاً ممزوجاً بالدم ، عند رؤيتها للشيب في رأسها ، ويقول ابن زيدون : لايزال خدكِ مضرجاً بدم العشاقِ ، ولايزال لحظكِ يدعو إلى الريبة في فتكه بالقلوب .

كما تأثر ابن زيدون بقول أبي تمام :

فإذَا مَا الأيّامُ أصْبَحْنَ خُرْساً كُظّماً في الفَخَار قامَ خَطِيبَا[2]

وذلك في قوله :

مُتَمَرِّسٌ بالدَّهْرِ ، يَقْعُدُ صَرْفُهُ إنْ قَامَ في نادِي الخُطُوبِ خَطِيبَا[3]

يقول أبو تمام : إن الأمير مجاهرٌ بالحق ، معلنُ به ، حين يخرس عنه غيره ، فأخذ ابن زيدون هذا المعنى ، فجعل أميره محنكاً خبيراً ، يردُّ ببأسه صروف الدهر ونوائبه ، وهو خطيب مفَوَّهٌ إذا قام خطيباً . وقول ابن زيدون :

وَزَها جَنَابُ الشَّكرِ حيْنَ مَطَرْتَهُ بسحائبِ النُّعْمَى ، فَرُدَّ خَصِيبا

من قول أبي تمام :

مُمْطِراً لي بالجاه والمَالِ لا ألّــ ــقَاكَ إلاَّ مُسْتوهِباً أو وهُوباً

باسِطاً بالنَّدى سحائِبَ كَفٍ بِنَداها أَمْسى حبِيبٌ حَبيباً

يقول ابن زيدون : سأقابلك بالشكر الجزيل ، على ما أمطرت سحائب جودك علي ، ويقول أبو تمام : لقد بذلت لي المال ، ووهبتني الجاه ، فأحبني الناس ، لأني كنت أعطيهم من عطاياك .

وعارض ابن زيدون قصيدة أبي تمام التي مدح بها عياشاً وعاتبه ، ومطلعها :

وثَناياكِ إنَّهـــا إغريـــــضُ ولآلٍ تــومٌ وبَرْقٌ ومِيـــضُ[4]

وأقاحٍ مُنـــــــوَّرٌ في بِطـــاحٍ هزَّهُ في الصّباحِ رَوْضٌ أريضُ

---

[1]- المصدر نفسه ، ص325 .
[2]- ديوان أبي تمام1 / 99 ، كظم : سكت .
[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ،ص 327 ، تمرس بالشيء : احتك به أو درسه وخبره .
[4]- ديوان أبي تمام 1 / 381 ، الإغريض : الطلع وقيل البرد . التؤم : اللؤلؤ . البِطاح : جمع أبطح وبطحاء وهو بطن الوادي إذا كان فيه رمل . والأريض : المكان الجيد للنبات .

وذلك في قصيدة ابن زيدون التي شكر ومدح فيها المعتضد لأنه أباح له أن يتنزه هو وحريمه في إحدى جناته . ومطلعها :

غَمَرَتْنِي لَكَ الأيَادِي البِيْضُ : نَشَبٌ وَافِرٌ ، وَجَاهٌ عَرِيـــضُ[1]

كُلَّ يومٍ يَجِدُّ مِنكَ اهْتِبَــالٌ عَهْدُ شُكْرِي عليه غَضٌّ غَرِيضُ

هيكل القصيدتين :القصيدتان من البحر الخفيف ، وفي غرض المدح ، واشتركتا في الروي وحركته وهو الضاد المضموم، وباشتراكهما في هذه الأمور الأربعة فهي من المعارضات التامة ، وقد بلغ عدد أبيات قصيدة أبي تمام ثمانية وعشرين بيتاً ، بينما بلغ عدد أبيات قصيدة ابن زيدون سبعة وعشرين بيتاً .

بناء المضمون : بدأ أبو تمام بمقدمة غزلية في نحو ثلاثة أبيات يمزج فيها الغزل بوصف الطبيعة ، على عادته في كثير من مطالعه الغزلية ، فشبه أبو تمام ثنايا محبوبته في لمعانها وبياضها بلمعان البرق ، و حركة عيونها بالأقحوان المنور الذي تحركه وتهزه نسائم الصباح ، ثم ينتقل إلى الشكوى من الأحداث التي أصابته حتى أصبح متردداً في خوض غمارها ، كما ينتقل إلى مدح شعره ، دون أن يضفي على ممدوحه أياً من الصفات التي يحبها الممدوح ، و دون أن يشير إليه اللهم في بيتين ، يقول فيهما : إن حياة هذا الشعر مرتبطة بإحيائك الجود ، فإذا غاب الجود انتهى هذا الشعر . أما ابن زيدون فقد بدأ قصيدته بالمديح ممزوجاً بوصف الطبيعة دون أن يمهد لقصيدته بالغزل ؛ ولعل إحسان المعتضد إليه عندما أباح له أن يتنزه هو وحرمه في حدائقه وبساتينه ، دفعه إلى أن يذكر فضائل الممدوح فأنساه ذلك أن يتغزل فاكتفى بوصف تلك الطبيعة الرائعة ، ولا تخفى علينا أول عبارة في القصيدة وهي قوله " غمرتني لك الأيادي البيض " التي توحي بأن الممدوح غمر الشاعر بكل ضروب العطاء والنعيم فانهال الشاعر يصف تلك النعم والهبات التي وهبت له من قبل ممدوحه ، وقد وصف الشاعر تلك الحدائق بجنة عدن كثيرة الثمار والأنهار ، وأن نسيمها يشفي النفوس العليلة ، فكانت هذه المظاهرة الجميلة بديلة له عن الغزل والحب (ولا سيما وأن الممدوح من آل عباد) الذين أخلص لهم ، وصدقت عاطفته تجاههم ، وبالغ في وصفهم ومدحهم ، بمدائح معبرة عن صدق وإخلاص ثم يختم قصيدته بختام رائع يستحسنه النقاد ويرغبه الملوك والأمراء ، وهو الدعاء لهم بالديمومة والبقاء ، وهو ما لا نجده في قصيدة أبي تمام ، يقول ابن زيدون :

[1]- ديوان زيدون ورسائله ، ص 239 ،الأيادي : الأنعام ، اهتبال : اغتنام .

دُم مُوفًّى وَلِيُّكَ ، الدَّهْرُ مَحْبُو رٌ مَساعِيكَ والعدوُّ مَهِيضُ

فاعْتِرافُ المُلوكِ أنَّك مَولا هُم حديثٌ ، ما بينهم مُسْتَفِيضُ

الأسلوب : اختلفت القصيدتان في بعض الأساليب ، حيث تميز ابن زيدون بمبالغته في وصف الممدوح وكثرت نداءاته له ، يقول ابن زيدون : " ملك ذاد عن حمى الدين / يا معز الهدى / يا محلي يفاع حال ، ولعل سبب تكرار هذه النداءات هو أن المعتضد أحله مكانة عالية تجاوزت النجوم ، وأن أقل هذه النعم يرضى بها كل طالب جاهٍ وسلطة ، يقول :

إنْ أَنَلْ أَيْسَرَ الرَّغَائِبِ فِيهِ يَرْضَ فَوْزَ القِدَاحِ مِنِّي مُفِيضُ[1]

كما تميز ابن زيدون بالموسيقى الداخلية المتمثلة في حسن التقسيم الذي يعطي القصيدة نغماً وجرساً موسيقياً رائعاً تستحسنه الأسماع ، ومن أمثلته : بَشَرٌ نَاصِعٌ ، وَخَدٌّ أَسِيلٌ / وَمُحَيًّا طَلْقٌ ، وَطَرْفٌ غَضِيضُ / نَشَبٌ وَافِرٌ ، وَجَاهٌ عَرِيضُ / دُم مُوفًّى ، وَلِيُّكَ الدَّهْرَ ، مَحْبُورٌ مساعيك / مُجتنىً مُدَّنٍ ، وظِلٌّ بَرُودٌ .

أما أبو تمام ، فقد بالغ في الإكثار من الجناس والطباق بخلاف ابن زيدون الذي لم يلتفت إلى هذه المحسنات ، ولعل سبب غض أبي تمام طرفه عن المبالغة في وصف الممدوح انشغاله بهذه المحسنات ، وإليك هذا الجناس الذي أورده في القصيدة : للحضيض ـ حضيض / فضضنا ـ مفضوض ـ خاتم ـ خاتم / يجلن ـ جالت / عريض ـ عروض / مات ـ مات / الجود ـ الجود / حياة ـ أحياؤك / الطويل ـ الطويل / عريضاً ـ عريض / الإحسان ـ الإحسان / بعينك ـ لعيني / روض ـ أريض / استفيضت ـ تفيض / البحور ـ بحوراً / القريض ـ القريض .

أما الطباق فمن أمثلته : سود ـ بيض / التصريح ـ التعريض / المرفوع ـ المخفوض / الإحسان ـ بغيض / الطويل ـ العريض / مبسوط ـ مقبوض / عثرت ـ نهوض / صحة ـ مريض .

التأثر بين أبيات القصيدتين : نظر ابن زيدون إلى بعض أبيات أبي تمام ، فمن ذلك قوله :

جَاوَرَتْ حَمَّةً مُشَيَّدَةَ المَبْنَى لِبَرْقِ الرُّخَامِ فِيهِ وَمِيضُ[2]

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله 241 ، أفاض القداح : ضرب بها .
[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، 239 .

يشبه ابن زيدون ، لمعان الرخام بلمعان البرق ، وقد نظر في هذا المعنى ، إلى قول أبي تمام الذي شبه فيه لمعان ثنايا محبوبته بلمعان البرق ، فأبو تمام يمزج بين وصف المحبوبة ، ووصف الطبيعة ، وهذا نهج انتهجه في كثير من قصائده ، فيقول :

وثَنَايَاكِ إنَّها إغْرِيضُ ولآلٍ تُومٌ وبَرْقٌ وَمِيضُ [1]

ويقول ابن زيدون :

بَشَرٌ نَاصِعٌ ، وَخَدٌّ أَسِيلٌ وَمُحَيًّا طَلْقٌ ، وَطَرْفٌ غَضِيضُ[2]

والمعنى : أنها ذات بشرة ناصعة البياض ، وخد أملس ناعم ، ووجه طلق ، وعين فاترة ، فقوله : (طرف غضيض) ، يشير إلى قول أبي تمام :

أَتْأَرَتْنِي الأيَّامُ بالنَّظَرِ الشَّزْ رِ وكَانَتْ وطرْفُها لي غَضِيضُ[3]

وقول ابن زيدون :

إنْ أَنَلْ أَيْسَرَ الرَّغَائِبِ فِيهِ يَرْضَ فَوْزَ القِدَاحِ مِنِّي مُفِيضُ[4]

من قول أبي تمام :

سُعُمٌ حَثَّ رَكْبَهُنَّ أَمانٍ فيك تَتْرَى حَثَّ القِدَاحِ المُفيضُ[5]

يشترك البيتان ، في لفظة (القداح مفيض) ، يقول ابن زيدون : إن أنل أقل ما أرغب منه ، يرضى به الفائز بضرب قداح الميسر، وقد وظف ابن زيدون هذه اللفظة ، من بيت أبي تمام السابق ، وهو قوله (حَثَّ القِدَاحِ المُفيضُ) .

وهو وقول ابن زيدون :

كُلَّ يومٍ يَجِدُّ مِنكَ اهْتِبَالٌ عَهْدُ شُكْرِي عليه غَضٌّ غَرِيضُ[6]

من قول أبي تمام :

---

[1]- ديوان أبي تمام ، 1 / 381 .
[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله 240 .
[3]- ديوان أبي تمام 1 / 381 .
[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله 241 ، أفاض القداح : ضرب بها .
[5]- ديوان أبي تمام 1 / 383 ، السعم : جمع سعوم وهو ضرب من السير . تترى : بعضها في إثر بعض . المفيض : الذي يجيل القداح في الربابة .
[6]- ديوانه ابن زيدون ورسائله ، ص239 .

كُلَّ يَومٍ يُقَضّيهِ نَوْعٌ وعَرُوضٌ يَتْلُوهُ فيكَ عَرُوضُ[1]

لا تخفى أواصر القربى بين البيتين ، فبالإضافة للاتفاق في أول ما جاء في البيتين (كُلَّ يومٍ يَجِدُّ) في البيت الأول ، و (كُلَّ يَومٍ يُقَضِّيهِ) في البيت الثاني ، اتفق البيتان في المعنى ، يقول ابن زيدون : تتكرر أنعامك عليَّ كل يوم ، فيتجدد شكري وثنائي عليك ، بتجدد النعم والفضائل ، وهو من بيت أبي تمام ، الذي تتوالى فيه قصائده ثناءً وشكراً للممدوح ، بسبب فضائله المتكررة على الشاعر ، وقد ربط كل من الشاعرين ، الجود من الممدوح ، بالثناء والمدح من الشاعر ، ولذا يقول أبو تمام بعد بيته السابق : (وحياة القريض إحياؤك الجود) ، ويقول ابن زيدون : كل يوم يجد منك اهتبال ، عليه شكر مني . وقول ابن زيدون :

غَمَرَتْنِي لَكَ الأيَادِي البِيْضُ : نَشَبٌ وَافِرٌ ، وَجَاهٌ عَرِيضُ[2]

من قول أبي تمام :

كُنْ طَويلَ النَّدى عَريضاً فقد ساد ثَنَائي فيك الطَّويلُ العَرِيضُ[3]

يتفق البيتان في الفكرة ، ويختلفان في المقصود ، فابن زيدون : غمره ممدوحه بما أراد من إحسان ، ونعيم ، وخير كثير ، وقدر كبير ، فاستحق الممدوح هذا الثناء ، بينما أبو تمام لم يحصل له ذلك المعروف ، لأنه أثنى على الممدوح قبلاً ، والدليل قوله : كن طويل الندى ، فقد ساد فيك ثنائي الطويل العريض . وقول ابن زيدون :

مَرْمَرٌ أوْقَدَ الْفِرِنْدَ عَلَيْهِ سَلْسَلٌ بَحْرُهُ الزُّلَالُ يَفِيضُ[4]

يشير إلى قول أبي تمام :

إنَّما صَادَت البُحُور بُحُوراً إنَّها كُلَّما استُفِيضَتْ تَفِيضُ[5]

يشير ابن زيدون إلى ألفاظ أبي تمام ، أما المعنى فيختلف ، حيث يصف ابن زيدون ، حوضاً مصقولاً فيه ماء زلال ، له بريق ولألاء مثل لمعان الحسام ، أما أبو تمام ، يتحدث عن بحور الشعر . وقول ابن زيدون :

يَا مُحلِّي يَفَاعَ حالٍ ، مَكَانُ النَّـ ـجْمِ ، مهما يُقَسْ إليهِ ، حَضِيضُ

[1]- ديوان أبي تمام 1 / 383 ، نوع : أي من الشعر .
[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 239 ، النشب : مالٍ وعقار .
[3]- ديوان أبي تمام ، 1 / 383 .
[4]ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 240 ، الفرند : صفحة السيف أو وشيه أو جوهره .
[5]- ديوان أبي تمام ، 1 / 383 .

يشير إلى قول أبي تمام :

هِمَّةٌ تَنْطحُ النُّجُومَ وجَدٌّ آلِفٌ للحَضِيضِ فهْو حضيضُ

يقول ابن زيدون : يا منزلي مكانة عالية ، إذا قيس إليها مكان النجم يبدو حضيضاً ، بينما يرجو أبو تمام همةً عالية كعلو النجوم .

ولابن زيدون قصيدة دالية في مدح أبي الحزم بن جهور ، ومطلعها :

أجَلَ ، إنَّ ليْلَى حَيثُ أحياؤُها الأَسْدُ مَهَاةٌ حَمَتْها ـ في مَرَاتِعها ـ أُسْـــدُ[1]

يَمَانِيَّةٌ تَـدْنُو ، وَيَنْـــــأى مَزَارُها فَسِيَّانِ مِنْهَا في الهَوَى القُرْبُ والبُعْدُ

إذا نحْنُ زُرْناها تَـــمَرَّدَ "مـــارِدٌ" وَعَزَّ ـ فَلَمْ نَظْفَرْ بِهِ ـ " الأَبْلَقُ الفَرْدُ "

تَحُول رِماحُ الخَطِّ دُون اعتِيَـــادِها وَخَيْلٌ تَمَطَّى نحْوَ غَايَـــاتِها جُـــرْد

نظمها معارضاً بها قصيدة لأبي تمام في مدح أبي الحسين محمد بن الهيثم بن شبانة ، ومطلعها :

تَجَرَّعْ أَسًى قَدْ أَقْفَرَ الجَرَعُ الفــرْدُ وَدَعْ حِسْيَ عَيْنٍ يَحْتَلِبْ مَاءَها الوَجْدُ[2]

إذا انصَرَفَ المَحْزُونُ قدْ فَلَّ صَبْـرَه سُـــــؤالُ المَغَاني فالبُكـــاءُ لَـهُ رِدُّ

بَدَتْ للنَّوى أشْيَاءُ قـدْ خِـلْتُ أَنَّـها سَيَبْدَؤُنِي رَيْـبُ الزَّمَـــانِ إذا تَبْـــدُو

نوىً كانْقِضَاضِ النَّجْمِ كانتْ نتِيجَةً من الهزلِ يَوماً إنَّ هَزْلَ الهَوى جِـــدُّ

فلا تَحْسَبَا هِنْداً لَهَا الغَدرُ وَحْـدَهَـا سَجِيَّـةَ نَفْـسٍ كُـــلُّ غَانِيَةٍ هِنْـــــدُ

هيكل المعارضة : تقع قصيدة ابن زيدون في أربعة وسبعين بيتاً ، وهي على بحر الطويل ، وقافية الدال مضمومة الروي في حين تقع قصيدة أبي تمام في خمسين بيتاً ، على بحر الطويل ، وقافية الدال مضمومة الروي أيضاً ، فهي من المعارضات التامة ، ويلاحظ أن القصيدتين تنقسمان إلى ثلاثة أقسام أو أجزاء ، جزء للغزل ثم المديح ثم بروز الأنا لدى كلا الشاعرين ومدح قصيدتيهما ، فهيكل قصيدة ابن زيدون على هذا النحو :

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 351 ، الأسْدُ : قبيلة باليمن ، المهاة : البقرة الوحشية ، مارد : حصن بدومة الجندل ، الأبلق : حصن بتيماء للسموأل بن عاديا ، قصدتهما الزبا ملكة تدمر فعجزت عن فتحهما فقيل : "تمرد مارد "، الخط : موضع باليمامة تنسب إليه الرماح الخطية لأنها تحمل من الهند فتقوَّم فيه ، الخيل الجرد : التي قصر شعرها ..

[2]- ديوان أبي تمام 1 / 275 ، الجرع والجرعاء : ما سهل من الأرض . الأسى : الحزن . أقفر : خلا . رِدُّ : مُعين .

قسم الغزل : يتغزل ابن زيدون في هذا المطلع التقليدي بحسناء ، تنتمي لقبيلة أسد اليمنية ، يحيط بها الرجال من قومها ، كالأسود ، فيصعب عليه الوصول إليها ؛ لأنها تحيا في خباء محصن منيع لا يسهل اقتحامه ، دونه رجال على خيولهم الجرد يحملون الرماح الخطية ، كما يتميز أفراد عشيرتها بالعزة والإباء وقوة العزيمة ، وشدة الغيرة ، وإذا اقترب منها أحد فان القبيلة بالكامل تهب وتدافع عنها فهي شريفة ومخدومة وإنها لا تكثر الخروج ، واذا خرجت مع القبيلة تكون في الهودج وسط قباب أفراد القبيلة يحمونها من أمامها ومن خلفها وعن يمينها وعن شمالها . وإذا كان ابن زيدون الذي عرف بحبه لولادة بنت المستكفي والتي لم يرضَ عنها بديلا ، فلماذا ذكر ليلى في أول القصيدة وهنداً في آخر القصيدة ـ وإن كان مثلاً ـ ولم يقل ولادة ؟

وللإجابة عن هذا السؤال الذي فيه ليلى محمية بفضل الممدوح حامي حمى الدين الساهر على راحة أفراد المدينة ، فلعل المقصود بليلى مدينة قرطبة ؛ التي لا يستطيع أن يقتحمها أحد وأن ابن زيدون يحاول التقرب من الحاكم للحصول على منصب رفيع ، لأن مديحه لآل جهور كان المقصود منه مسالمتهم وتحقيق مآربه الشخصية ، ولذلك يرى الباحث أن أغلب قصائده في آل جهور تغلب عليها نغمة الاستنجاد لكي لا يعاد إلى سجنه ، ولعل الذي يعزز ما ذكر قول جودت الركابي : أن مدائح ابن زيدون في المعتضد والمعتمد ترتقي " إلى ذروة كمالها الفني ، وتعبر عن صادق عواطفه نحو هذين الملكين اللذين أحسنا رعايته ، وبوآه أرفع المناصب "[1] ، فبالعودة لغزل ابن زيدون في هذه المقدمة والتي رمز فيها لقرطبة بليلى ، نقول أن ابن زيدون الذي عرف بحبه لولادة طوال عمره ، لم يذكر اسمها ـ في شعره ـ سوى مرة أو مرتين ، فمن باب أولى ألاَّ يذكر سواها !! ؟ . وبغض النظر من أن ليلى رمزاً أو حقيقةً ، فمما لا ريب فيه إنه يتغزل بغادة حسناء قريبة منه بعيد الوصول إليها ؛ بسبب الموانع وقد ظل يتغزل بتلك الفتاة في مقدمة طويلة تجاوزت ستة عشر بيتاً ، كثرت فيها المتناقضات ؛ لقربها وبعدها في الوقت نفسه ، حيث تدنو وينأى مزارها فسيان عنده القرب والبعد ، والمرير والمرد ، والإلف والتنائي .

القسم الثاني من القصيدة يبدؤه بقوله :

ولولا السراة الصيد من آل جهور ... لأعوز من يعدى عليه متى يعدو

فيتحدث بعدها عن آل جهور ويمدحهم بصفاتهم الجميلة ، من كرم ، وشجاعة ، وبأس ، وطاعة فيقول :

---

[1] ـ في الأدب الأندلسي ، ص 196 .

له عزمـــة مطويـــة في سكينة كما لان متن السيف واخشوشن الحد

إلـــــى الله اواب ولله خـــائف وبـــالله معتـــد وفـــي الله مشتـــد

أولئك أن نمنا سرى في صلاحنا سجاح علينا كحـــلُ أجفانِهم سُهـــد

فهو يمدح آل جهور ويصفهم بكرام الاخلاق والقوة والمنعة والشرف والسيادة وإنهم يحمون حمى الدين ويعطون المحتاج ويعفون عند المقدرة ولا يسمحون لأجسادهم النوم خوفاً على الرعية .

أما القسم الثالث فظهرت فيه (الأنا) لدى ابن زيدون ، يقول :

أنا السَّيفُ لا ينبو مع الهز غربه إذا ما نبا السيف الذي تطبع الهند

يميـــزه ممـــن سواه وفـــاؤه واخلاصـــه اذ كل غانية هنـــد

يصف الشاعر نفسه بأنه الناصح الأمين للخليفة ، وأنه السيف الذي كلما استعمله ازداد حدة ومضاء . والناظر لهذه التقسيمات الثلاثة في هيكل قصيدة ابن زيدون يجده قد احتذى فيها حذو حبيب في تقسيمه لقصيدته ، حيث بدأ قصيدته بمقدمة غزلية تحدث فيها عن ألم البين ، ومرارة الفراق في بحر اثني عشر بيتاً ثم انتقل إلى المديح واصفاً ممدوحه بالكرم والشجاعة وأنه حسن الخلق حليم مع أوليائه شديد على أعدائه ، ثم تبرز لديه الأنا في آخر قصيدته بذكره لاسمه وإنه بغيض لأعداء ممدوحه مستخدماً طباقاً رائعاً ، يقول :

حَبيبٌ بَغِيضٌ عِندَ رامِيكَ عَنْ قِلىً وسَيْفٌ على شَانِيكَ ليْسَ لَهُ غِمْدُ[1]

وفي آخر القصيدة ينتقل إلى مدح قصيدته في سبعة أبيات على عادته في مدح قصائده .

مواطن الاتفاق بين القصيدتين : فبالإضافة لتشابه القصيدتين في الغرض والوزن والروي وحركته تشابهت القصيدتان في البناء والهيكلية ، والعناية بالانتقال والإشادة باسم الممدوح في بيت الانتقال ، يقول أبو تمام متخلصاً :

مُحَمَّدُ يا بْنَ الهَيْثم انْقَلَبت بِنَا نَوَى خَطَأ في عَقْبِها لَوْعَةٌ عَمْدُ[2]

[1] ـ ديوان أبي تمام ، 1 / 279 .
[2] ـ المصدر نفسه ، 276 .

فقد نادى أبو تمام ممدوحه دون أن يستخدم أداة النداء ؛ لقربه وملازمته إياه ، وهذا الانتقال مما يستحسنه النقاد كونه مشتملاً على نداء ومصرحاً فيه باسم الممدوح ، وقد تأثر ابن زيدون بهذا الانتقال فاستخدم اللام وإن المخففة مضمناً بيته هذه الحكمة الرائعة ، يقول ابن زيدون :

لئن قِيلَ : " في الجِدِّ نجاحٌ لطالبٍ " لقلَّ غَنَاءُ الجِدِّ مَا لمْ يَكُنْ جَدُّ

في حين أن الانتقال الفعلي إلى الممدوح لدى ابن زيدون ، قوله مشيداً باسم ممدوحه :

وَلَوْلاَ السَّرَاةُ الصِّيدُ من آلِ جَهْورٍ لأَعْوزَ مَنْ يُعْدى عليه مَتَى يعدُو

بناء بعض الأساليب : اتفقت القصيدتان في **المبالغة** في وصف الممدوح ، فنجد أبا تمام يصفه بأنه : سحاب متى يسحب / ملك من أيكة الجود / رقيق حواشي الحلم / ذو سورة تفري الفري / داني الجدا تأتي عطاياه من علٍ / أوفاهم برقاً / أصدقهم رعداً / كريمٌ / فتى لا يرى بدّاً من البأس والندى . أما ابن زيدون فتارة يبالغ في وصف ابن جهور كقوله : أليس أبو الحزم / أغر تمهد نابه / هو الأثر المحمود / مليك يسوس الملك / سجيته الحسنى / شيمته الرضا / سيرته المثلى / مذهبه القصد / همام إذا زان / زعيم لأبناء السيادة / بعيد منال الحال / ممر لمن عاداه / هو الملك المشفوع / إلى الله أواب / ولله خائف / وبالله معتمد / في الله مشتد / غنيٌ / عزيزٌ . وتارة يمدح آل جهور فيقول : ملوك لبسنا الدهر / هم النفر البيض / كرام يمد الراغبون أكفهم / تولى فلولا أن تلاه محمد .

مدح القصيدة : بعد أن أتم ابن زيدون ثناءه على ممدوحه ظهرت لديه الأنا فوصف نفسه بأنه السيف الفاتك ، وأنه لا يسعى للمال إلى غير ذلك مدح قصيدته وهو أسلوب تمامي تماماً ، فقال :

أَتَتْكَ القَوَافِي شاهِدَاتٍ بِمَا صَفَا مِنَ الغَيْبِ ، فاقْبَلْها فَمَا غَرّكَ الشّهْدُ

ليَحظى وَليُّ سِرُّهُ وفْقُ جَهْـرِهِ فظَـاهِرُهُ شُكْـرٌ ، وَبَـاطِنُهُ وُدّ

لقد ترسم ابن زيدون خطى أستاذه في هذه القصيدة حيث مدح أبو تمام قصيدته ـ بعد أن أتم ثناءه على ممدوحه ـ في سبعة أبيات ، يقول :

نَظَمْتُ له عِقداً مِنَ الشِّعْرِ تَنْضُبُ الـ ـبِحَارُ وما دَانَاه مِنْ حَلْيَها عِقْـدُ[1]

تَسيـرُ مَسِيـرَ الشَّمْـسِ مُـطَّرَفَاتُها وما السَّيْرُ منها لا العَنيقُ ولا الوَخْدُ

[1] ـ ديوان أبي تمام ، 1 / 280 ، 281 .

تَـرُوحُ وتَغدُو ، بل يُـرَاحُ ويُغْتَـدَى بِها وهْيَ حَيْرَى لا تَرُوحُ ولا تَغدُو

تُقطِّــعُ آفــاقَ البِـــلادِ ســـوابِقاً وما ابتَلَّ منها لا عِـــذَارٌ ولا خَــدُّ

غَـــرائِبُ ما تَنفَـــكُّ فيهَا لُبَــانَةٌ لِمُرْتَجِزٍ يَحْــدُو ومُرْتَجِلٍ يَشـــدُو

إذَا حَضرَتْ سَـــاحَ المُلوكِ تُقبِّلَتْ عَقائِـلُ منْها غَيْرُ مَلْـــمُوسَةٍ مُلْــدُ

أُهينَ لهَا ما في البُـدُورِ وأُكْرِمَتْ لدَيْــهِمْ قَـوافِيها كَما يُكْــرَمُ الوَفْـدُ

يقول ابن زيدون وافتك قصائدي في الثناء عليك شاهدة لك بما أكنه في قلبي من حب وولاء فاقبل شهادتها فهي أعدل الشهود ، وأن محبتي لك ظاهرة وباطنة ، ظاهرة بما قلته لك في هذه القصائد ، وباطنه ما أكنه لك في قلبي . أما أبو تمام فإنه يفخر بشعره كعادته في أغلب قصائده حيث يقول : ينضب البحر ولا لؤلؤه يداني شعري في حسنه ، وأن قصائدي يراح ويغتدى بها وهي باقية تحار العقول في فهمها ، وأنها تقطع آفاق البلاد ، وفي ساحات الملوك فتقبل قبول الكرائم من النساء إذا زفت إلى أهلها .

مواطن التأثر بين أبيات القصيدتين : تأثر ابن زيدون ببعض أبيات أبي تمام ، منها :

يُمَيِّزُه ُمِمَنْ سِوَاهُ وَفَاؤُهُ وَإِخْلَاصُهُ إذْ كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدُ[1]

حيث إن ابن زيدون نظر في هذا المعني إلى قول أبي تمام :

فلا تَحْسَبَا هِنْداً لَهَا الغَدرُ وَحْدَهَا سَجِيَّةَ نَفْسٍ كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدُ[2]

يقول ابن زيدون : لا تغتر بالمظاهر، ولا تعتقد أن الجميع متساوون في فساد الضمائر ، فإني امتاز عن الجميع بالإخلاص والوفاء ، وقد اتفق ابن زيدون مع أبي تمام في تضمين هذا المثل : " كل غانيةٍ هِنْدُ "[3] ، وهو مثل يضرب للتساوي في الشر .

ويقول ابن زيدون :

أَبَاحَ حِمَى الخَمْرِ الخَبِيثَةِ ، حائطاً حِمَى الدّينِ مِنْ أنْ يُسْتَبَاحَ لَهُ حَـدُّ[4]

فَطَوّقَ بِاسْتِنْصَالِهَا المِصْرَ مِـــنَّةً يَكَادُ يُؤَدِّي شُكْرَهَا الحَجَرُ الصَّلْدُ

[1]- ديوان ابن زيدون 366 .
[2]- ديوان أبي تمام ، 1 / 275 .
[3] ـ الميداني ، مجمع الأمثال ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1972 ، 2 / 162 .
[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، 362 .

فقوله : " الحَجَرُ الصَّلْد " تضمين لقول أبي تمام :

وَمَا خَلْفَ أَجْفَانِي شُؤونٌ بَخِيلَةٌ ولا بَيْنَ أَضْلَاعِي لَهَا حَجَرٌ صَلْدُ[1]

المعنى يختلف بين الشاعرين ، يقول ابن زيدون : اقتحم الأمير حصن الخمر فاستأصلها ، وهدمها حفاظاً على حرمة الدين ، فاستحق بذلك أن يشكره كل شيء ، حتى الحجر الصلد . ويقول أبو تمام : شؤوني ليست ببخيلة على عيني بالدمع ، ولا بين أضلاعي حجر صلد ، وإنما هو قلب يألم ويحزن . ولما كانت قصيدة ابن زيدون معارضة لقصيدة أبي تمام ، فلعل ابن زيدون أعجبته عبارة (حجر صلد) ، فوظفها في معنى مغاير ؛ خدمةً لغرضه الذي أراده .

وقول ابن زيدون :

تَوَلَّى ، فَلَوْلَا أنْ تَلَاهُ " مُحَمَّدٌ " لأَوْطَأَ خَدَّ الحُرِّ أَخْمَصَهُ الْعَبْدُ[2]

من قول أبي تمام :

وكَمْ تَحْتَ أَرْوَاقِ الصَّبَابَةِ مِنْ فَتىً مِنَ القَوْمِ حُرٍّ دَمْعُهُ للهَوى عَبْدُ[3]

الاتفاق بين البيتين هو المطابقة بين لفظتي (الحر ، والعبد) ، والمعنى مختلف ، يقول ابن زيدون قضى أبو الحزم ولولا ابنه محمد ، ولي الأمر من بعده ، لفسدت أحوال الرعية ، فداس العبيد بأقدامهم وجوه الأحرار . ويقول أبو تمام : وكم فتى من القوم حرٍّ ، أصبح دمعه عبداً ؛ لشدة الصبابة . وقول ابن زيدون :

هُوَ الدَّهْرُ مَهْمَا أحْسَنَ الفِعْلَ مَرّةً فَعَنْ خَطَإٍ ، لكِنْ إسَاءَتُهُ عَمْدُ[4]

من قول أبي تمام :

مُحَمَّدُ يا بْنَ الهَيْثَم انقَلَبتْ بـِنَا نَوَى خَطَأٌ في عَقْبِها لَوْعَةٌ عَمْــدُ[5]

إسَاءَةَ دَهْرٍ أَذْكَرَتْ حُسْنَ فِعْلِهِ إليَّ ولوْلا الشَّرْيُ لم يُعْرَفِ الشُّهْدُ

---

[1]- ديوان أبي تمام 1 / 276 ، الشؤون : مخارج الدموع .
[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ،ص358 ، الأخمص : ما لم يمس الأرض من باطن القدم .
[3]- ديوان أبي تمام 1 / 276 ، أرواق : جمع رواق يعني ظِلالها .
[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، 356 .
[5]- ديوان أبي تمام ، 1 / 276 ، الشرى : الحنظل .

يقول ابن زيدون : الدهر إذا أحسن فإحسانه عن خطأ ، وأما الإساءة فهو يتعمدها . ويقول أبو تمام : صرفتنا فرقة في غير حينها ، فلحقت عقبها لوعة في حينها ، وأن إساءة الدهر ذكرته بإحسانه ، لأن الأشياء تعرف بأضدادها . وقول ابن زيدون :

تَهَلَّلَ فَانْهَلَّتْ سَمَاءُ يَمِينِهِ عَطَايَا ، ثَرَى الآمَالِ ـ مِنْ صَوبِها ـ جَعْدُ[1]

من قول أبي تمام :

سَحَابٌ مَتى يَسْحَبْ على النَّبْتِ ذَيْلَهُ فَلا رَجلٌ يَنْبُو علَيْهِ ولا جَعْدُ[2]

يقول ابن زيدون : تهلل وجه الأمير ، ففاضت يمينه بالعطايا ، حتى أصبح الأمل منه خصيب التربة ، يانع الثمار . ويقول أبو تمام : لا سهل يمتنع من إخراج النبات إذا سقاه هذا السحاب .

وقول ابن زيدون :

مُلُوكٌ لَبِسْنَا الدَّهْرَ في جَنَبَاتِهِمْ رَقِيقَ الحَواشِي مِثْلَمَا فُوِّفَ البُرْدُ[3]

من قول أبي تمام :

لَدى مِلِكٍ من أيْكةِ الجودِ لمْ يزلْ على كَبِدِ المعروفِ من فِعْلِهِ بَرْدُ

رَقِيقِ حَواشِي الحِلْمِ لَوْ أنَّ حِلْمَهُ بكفَّيكَ ما مَارَيْتَ في أنَّهُ بُرْدُ[4]

الاتفاق بين البيتين يتمثل في لفظة (رقيق الحواشي) ، والقافية (البرد) ، يقول ابن زيدون : عشنا في ظل هؤلاء الملوك ، فصفت لنا الحياة ، وطاب العيش ، ولبست الدنيا أرق وأثمن الأبراد . ويقول أبو تمام : إن الأمير جواد سخي يرتدي أثمن الثياب .

وقول ابن زيدون :

لَهُ عَزْمَةٌ مَطْوِيَّةٌ في سَكِينةٍ كَمَا لاَنَ مَتْنُ السَّيْفِ وَاخْشَوْشَنَ الحَدُّ[5]

من قول أبي تمام :

وذُو سَوْرَةٍ تَفْرِي الفَريَّ شَبَاتُها ولا يَقطَعُ الصَّمصَامُ لَيْسَ لَهُ حَدُّ[6]

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 359 ، الصوب : المطر ، جعد : ند .
[2]- ديوان أبي تمام 1 / 278 .
[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، 356 ، برد مفوَّف : ثوب رقيق أو فيه خطوط بيض ، الحواش : الذيول أو الأطراف .
[4]- ديوان أبي تمام 1 / 278 .
[5]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 360 .
[6]- ديوان أبي تمام ، 1 / 278 .

يقول ابن زيدون : للأمير عزمات قوية مهيبة ، ولكنها محجوبة بهدوئه ووداعته ، فهو كالسيف البتار تلين صفحته ، ويقطع حده . أما أبو تمام ، فيقول : هو مع حسن خلقه ، وحلمه مع أوليائه ، له شدة على أعدائه ، فهو كالسيف لا يقطع إلاَّ بحده .

وقول ابن زيدون :

أَمِثْلِيَ غُفْلٌ خَامِلُ الذِّكْرِ ضَائِعٌ ضَيَاعَ الحُسَامِ العَضْبِ أَصْدَأَهُ الغِمْدُ[1]

من قول أبي تمام :

حَبِيبٌ بَغِيضٌ عِنْدَ رَاميكَ عَنْ قِلىً وسَيْفٌ على شَانِيك لَيْسَ لَهُ غِمْدُ[2]

يتفق البيتان في ألفاظ (السيف ، والغمد) ، يقول ابن زيدون : أمثلي على سمو نفسه ، ونباهة شأنه ، وحدة ذكائه ، يترك مهملاً منبوذاً ضائعاً ، كما يضيع الحسام الصدئ إذا طال لبثه في القراب . أما أبو تمام فيقول : أنا بغيض إلى أعدائك لأني أغصهم بمدحك ، فيكون المدح عليهم كالسيف القاطع . وقول ابن زيدون :

هِيَ الرِّجْسُ ، إنْ يُذْهِبْهُ عَنْهُ فَمُحْسِنٌ شَهِيْرُ الأَيَادِي مَا لِآلائِهِ جَحْدُ[3]

من قول أبي تمام :

وكم لك عِنْدِي مِنْ يَدٍ مُسْتَهِلَّةٍ عليَّ ولا كُفْرَانَ عِنْدِي ولا جَحْدُ[4]

يقول ابن زيدون : الخمر رجس وآثام ، والأمير جدير بالقضاء عليها ، فإنه سخر جاهه في خدمة الدين ، فلا يستطيع الجاحدون انكار فضله . ويقول أبو تمام : كم لك عليَّ من أفضال لا أكفرها ولا أجحدها . وقول ابن زيدون :

مَسَاعٍ أَجَدَّتْ زِينَةَ الأَرْضِ ، فَالْحَصَى لآلِئُ نَثْرٌ ، والثَّرَى عَنْبَرٌ وَرْدُ[5]

من قول أبي تمام :

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 364 ، غفل : مهمل أو متروك لا ميزة له ، الخامل : الساقط الذي لا نباهة له ، العضب : الحاد القاطع .

[2]- ديوان أبي تمام ، 1 / 279 ، حبيب : يعني نفسه .

[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص362 .

[4]- ديوان أبي تمام ، 1 / 280 .

[5]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص363 ، العنبر الورد : الزعفران .

يَدٌ يُسْتَذَلُّ الدَّهْرُ في نَفَحَاتِها ويَخْضَرُّ مِنْ مَعْرُوفِها الأُفقُ الوَرْدُ[1]

يقول ابن زيدون : إن آثاره المحمودة ، زينت الأرض ، فأصبح حصاها كاللآلئ المنثورة ، وأثرها كالعنبر المورد . ويقول أبو تمام : إن للأمير فضائل يستدل الدهر من نفحاتها ، ويخضر من معروفها الأفق المورد . وقول ابن زيدون :

رَأَى نَقْصَ مَا يَجْبِيهِ مِنْهَا زِيَادَةً إذِ العِوَضُ المَرْضِيُّ إلاَّ يَرُحْ يَغْدُو[2]

من قول أبي تمام :

تَرُوحُ وتَغدُو ، بل يُرَاحُ ويُغْتَدَى بِها وهْيَ حَيْرَى لا تَرُوحُ ولا تَغدُو[3]

الاتفاق في البيتين في لفظتي (يَرُحْ ، يَغْدُو) ، أما معنى البيت فيختلف ، يقول ابن زيدون : إن الأمير رأى النقص في الضريبة التي كانت تجبى على الخمر ، هي زيادة له في الأجر والثواب عند الله ، فإذا نقصت الجباية في الدنيا ، ستزيد الحسنات في الآخرة ، فما ينقص في الروحات ، يزيد في الغدوات . أما أبو تمام : فيتحدث عن قصائده ، فهي في كل بلد توجد وتعرف ، وهي لا تسير بل يسار إليها ، لأنها لا تروح ، ولا تغدو .

مواطن الاختلاف في القصيدتين :

الموروث الأدبي : أكثر ابن زيدون من الأمثال والحكم في قصيدته ، من ذلك قوله : في الجد نجاح لطالب / في كل وادٍ نوائبه سعد / فلم يك للمصدور من نفثها بد / كل غانية هند ، بينما ضمن أبو تمام قصيدته مثلاً واحداً وهو قوله : " كل غانية هند " .

المحسنات البديعية : الجناس : ورد الجناس بشكل عام في قصيدة ابن زيدون بكثرة مقارنة بقصيدة أبي تمام ، وسنمثل هنا للجناس القائم على رد الأعجاز على الصدور عند ابن زيدون ، وهو ما اصطلح عليه عند البلاغيين بالترديد ، ومن ذلك قول ابن زيدون : أسد ـ أسد / مراده ـ المرد / يوعد ـ الوعد / الجد ـ جد / يكدي ـ الكد / يعدو ـ يعدو / خالد ـ الخلد / سدوا ـ سدوا ، ولم يرد من الترديد شيءٌ في قصيدة أبي تمام ، وإنما ردده ابن زيدون في قصيدته لما يحدثه من جرس موسيقي رائعٍ تطرب له الأسماع ، وترتاح له النفوس ، ؛ لأن ابن زيدون شاعر غنائي قبل أن يكون فيلسوفاً أو غواصاً على المعاني البعيدة كأبي تمام .

---

[1]- ديوان أبي تمام ،1 / 280 .
[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 362 .
[3]- ديوان أبي تمام ،1 / 281 .

الطباق : عرف ابن زيدون بشاعر الموسيقى ، وقد اقتدى في هذه الموسيقى بالبحتري ، ومن هذه الموسيقى التي اهتم بها ابن زيدون الطباق ، ولما كان ابن زيدون شاعراً مهتماً باللفظ بخلاف أبي تمام ، أكثر من الطباق في أغلب قصائده ، فعندما ذكر ابن زيدون في مقدمته الغزلية بأن محبوبته قريبة منه بعيد الوصول إليها بسبب الموانع التي تحول بينهما ، انعكست هذه المتناقضات على نفسيته ، وسيطرت على ذوقه وبالتالي انعكست على قصيدته فبالغ في المطابقة ، كقوله : تدنو ـ ينأي / القرب ـ البعد / نسيئة ـ نقد / الشمال ـ الجنوب / أحسن ـ أساء / خطأ ـ عمد / نمنا ـ سروا / الحر ـ العبد / عاداه ـ أولياءه / يخفى ـ يبدو / نقص ـ زيادة / يروح ـ يغدو / ذل ـ صعبه / سره ـ جهره / ظاهره ـ باطنه .

ولم يقتصر ابن زيدون في معارضته لقصيدة أبي تمام السابقة ، وإنما استوحى بعض أبياته من أبيات لقصيدة أخرى لأبي تمام في مدح أبي المغيث الرافقي ، ومطلعها :

شَهِدْتُ لَقَدْ أقْوَتْ مَغَانِيكُمُ بَعْدي ومَحّتْ كما مَحّتْ وشَائِعُ مِنْ بُرْدِ[1]

فهي كقصيدته الأولى غرضاً ووزناً وقافية إلا أن رويها مكسور ، وقد أخذ ابن زيدون بعض أبياتها فمن ذلك قوله :

لَشَمَّرَ حَتَّى انْجَابَ عَارِضُ فِتْنَةٍ تَأَلَّقَ مِنْهَا البَرْقُ واصْطَخَبَ الرَّعْدُ[2]

فهو قريب من قول أبي تمام :

دَلُوحَانِ تَفْتَرُّ المكارمُ عَنْهُما كما الغَيْثُ مفْترٌ عَنِ البَرْقِ والرعْدِ[3]

المعنى المشترك بين البيتين : كثرة العطاء ، وأمن الرعية ، والألفاظ المشتركة (العارض ، أو الغيث ، البرق ، الرعد) ، يقول ابن زيدون : شمر الأمير عن ساعديه ، في مقاومة الفتن ، والثورات ، حتى صفا الجو للرعية ، بعد الاضطراب . ويقول أبو تمام : الأمير يداه مثقلتان بالعطايا ، كالغيث الضاحك بدأ بالبرق والرعد ، وقول ابن زيدون :

بَعِيدُ مَنَالِ الحَالِ دَانِي جَنَى النَّدَى إذَا ذُكِرَتْ أخْلَاقُهُ خَجِلَ الوَرْدُ[4]

من قول أبي تمام :

---

[1]- ديوان أبي تمام ، 1 / 287 ، الوشائع : الطرائق او خيوط الثوب ،ويقال توشعت الغنم في المرعى : أخذت فيه يمنة ويسرة . محَّ : اخلق . شهدت حلفت . أخلق : أبلى .

[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 358 ، انجاب : زال ، العارض : السحاب المعترض الأفق .

[3]- ديوان أبي تمام 1 / ص 289 ، دلوحان : يعني يديه ، وأصل الدَّلح : أن يمشي الرجل وهو مثقل ، ثم استعير ذلك في الغمامة ، فقيل : غمامة دلوح : إذا كانت مثقلة بالماء بطيئة السير .

[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 359 ، الحال : الصفة ، الجنى : الثمر الغض .

ومِن ْزَمَنٍ ألْبَسْتَنِيْهِ كأنَّهُ إذَا ذُكِرَتْ أيَّامُهُ زَمَنُ الوَرْدِ[1]

يتفق البيتان ، في ألفاظ الشطر الثاني فجعل ابن زيدون كل لفظة تقابل لفظة لأبي تمام ، فابن زيدون ، يقول : ـ في مدح الأمير ـ لا يستطيع أحد أن يرتفع إلى صفاته ، فهو سامي الشمائل ، قريب السخاء يخجل منه الورد . أما أبو تمام : فيحن إلى زمن كان ينعم فيه ، عند ممدوحه .

وقول ابن زيدون :

هُوَ الدَّهْرُ مَهْمَا أحْسَنَ الفِعْلَ مَرّةً فَعَنْ خطأ ، لكِنْ إسَاءَتُهُ عَمْدُ[2]

من قول أبي تمام :

فإنْ يَكُ جُرْمٌ عَنَّ أوتكُ هَفْوَةٌ عَلى خَطَأٌ مِنِّي فَعُذْرِي على عَمْدِ[3]

الاتفاق بين البيتين : يكمن في المطابقة بين (الخطأ ، والعمد) ، يقول ابن زيدون : الدهر متعمد الإساءة ، وإما إحسانه فصدفة . أما أبو تمام ، فيقول : إن أرتكب جرماً أو هفوة ، فإني أعتذر عما صدر مني عمداً .

كما تأثر ابن زيدن في قصيدته الدالية السابقة ، بقصيدة للمتنبي في مدح الحسين بن علي الهمداني ، ومطلعها :

لَقَدْ حازنِي وَجْدُ بِمَنْ حازَهُ بُعْدُ فيَا لَيْتنِي بُعْدٌ ويالَيْتَهُ وَجْدُ[4]

وهي قصيدة يبلغ عدد أبياتها سبعة وثلاثين بيتاً ، وقد اتفقت القصيدتان في الغرض ، والوزن ، والقافيةً ، وفي حركة الروي ، فكلتاهما في غرض المدح ، ومن بحر الطويل ، والقافية الدالية ، والروي المضموم ، ومن الأبيات التي تأثر فيها ابن زيدون بأبيات قصيدة المتنبي ، قوله :

تَحُولُ رِماحُ الخطِّ دُونَ اعْتِيادِها وخيْلٌ تمطَّى نَحْوَ غاياتِها جُرْدُ[5]

من قول المتنبي :

كأنَّ عطيَّاتِ الحُسينِ عَساكِرٌ فَفِيها العِبِدَّى والمُطَهَّمَةُ الجُرْدُ[6]

---

[1]- ديوان أبي تمام ، 1 / 290 .
[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 356 .
[3]- ديوان أبي تمام ، 1 / 291 .
[4]- ديوان المتنبي ، 2 / 3 .
[5]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 352 .
[6]- ديوان المتنبي ، 2 / 8 ، العبدى : جمع عبد . المطهمة : الخيل الحسان . الجرد : القليلة الشعر .

يقول ابن زيدون : دون تلك المرأة ، رماح ، وفرسان على خيول أصيلة ، تحول دون الوصول إليها . أما المتنبي ، فيذكر ما ناله من ممدوحه ، فيقول : عطياته كالعساكر ، تجمع كل شيء ، ففيها الخيل المطهمة الجرد ، والعبيد . فالعبارة المشتركة بين البيتين (الخيل الجرد) .

وقول ابن زيدون :

تَهَادى فَيُضْنِيها الوِشاحُ غَرِيْرةٌ تأْوَّهُ مَهْمَا نَاسَ في جِيْدها العِقْدُ[1]

من قول المتنبي :

وأصْبحَ شِعْري منهُما في مكانِهِ وفي عُنُقِ الحَسْناءِ يُسْتَحْسنُ العِقْدُ[2]

يصف ابن زيدون تلك المرأة ، التي تتهادى في مشيتها فيؤلمها الوشاح ، وبها غرور كبرياء ، تتأوه كيفما تحرك العقد في جيدها . ويقول المتنبي : أصبح شعري في مكانه ، أي في المكان الذي ينبغي أن يكون فيه ، لأن الأمير أهل للمدح ، فتستحسن فيه هذه المدائح ، كما يستحسن العقد في جيد الحسناء . فالاتفاق بين البيتين : عبارة (في جيدها عقد) .

وقول ابن زيدون:

هُمُ النَّفَرُ البيضُ الَّذينَ وُجُوهُمُ تَرُوقُ فَتَشْتَفِي بها الأعْيُنُ الرُّمدُ[3]

من قول المتنبي :

مَدَحْتُ أباهُ قَبْلَهُ فَشَفَى يَدِي مِن العُدمِ مَنْ تُشْتَفى بهِ الأعْيُنُ الرُّمدُ[4]

يقول ابن زيدون : هم الأسياد الكرام ، الذين تبدو وجوههم صافية ، تشفي العيون التي أصابها الرمد . يقول المتنبي : مدحت أباه قبله فشفى يدي بالعطايا ، كأنما شُفي من بعينه الرمد . وقد يقصد أن الممدوح في جماله وحسنه ، يشفي العيون الرمد . فالعبارة المشتركة بين البيتين : (فَتَشْتَفِي بها الأعْيُنُ الرُّمدُ) . وقول ابن زيدون :

يُوكَلُ بِالتَّدْبيرِ خَاطِرَ فِكْرَةٍ إنِ اقْتَدَحَتْ في خاطِرٍ أثْقَبَ الزَّنْدُ[5]

من قول المتنبي :

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 354 ، الوشاح : وسام من نسيج محلى بالجواهر تشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها ، ناسَ : تحرك واضطرب .

[2] - ديوان المتنبي ، 2 / 10 .

[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ،ص 357 .

[4]- ديوان المتنبي ، 2 / 8 ، العُدم : الفقر . الرُّمد : جمع رمِدة ، ورمد الرجل هاجت عينه .

[5]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 360 ، مُمِرٌّ : مُرٌّ من أمرّ الشيء : صار مراً ، شِيبَ : مُزج .

ورُمْحِي لأنْتَ الرُّمْحُ لا ما تَبُلَّهُ نَجيعا ولولا القَدْحُ لم يُثْقِبِ الزَّنْدُ[1]

يقول ابن زيدون : إن الأمير يعالج أفكاره بالتأني والتريث ، وإذا طلبت برزت كالشرر المضيء المتطاير من الزند . ويقول المتنبي : لولا جودة طبع الأمير لم يعمل الرمح شيئاً ، كما أنه لولا القدح ، لم تضيء النار ، فالاشتراك بين البيتين : تضمين ، عبارة (القدح يثقب الزند) .

ولابن زيدون قصيدة لامية في مدح ابن جهور ، التي مطلعها :

مَرَادُهُمُ حَيْثُ السِّلَاحُ خَمَائِـــلُ ومَوْرِدُهُمْ حَيْثُ الدِّمَاءُ مَنَاهِلُ[2]

وَدُونَ المُنَى فِيْهِمْ جِيَادٌ صَوَافِنٌ وَمَأْثُورَةٌ بِيضٌ وسُمْرٌ عَوَامِلُ

عارض فيها قصيدة لأبي تمام في مدح محمد بن عبد الملك الزيات ، مطلعها :

مَتَى أنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةِ الحَيّ ذَاهِلُ وَقَلْبُكَ مِنها مُدّةَ الدَّهْرِ آهِـلُ ![3]

وقد اتفقت القصيدتان في الغرض " وهو المديح " وكذلك الوزن والقافية ، فكلتا القصيدتين من البحر الطويل ، والقافية اللامية ، والروي المضموم ، فهي معارضة معنى ومبنى ، فهي إذن معارضة تامة ، وقد قال ابن زيدون قصيدته في مدح ابن جهور مصبغاً عليه صفات الكرم والشجاعة والمروءة ، وهي الصفات التي أضفاها أبو تمام على ممدوحه ، وتعد القصيدتان من القصائد الطوال ، حيث بلغ عدد أبيات قصيدة ابن زيدون اثنين وخمسين بيتاً ، بينما بلغت قصيدة أبي تمام ستين بيتاً .

هيكل القصيدتين : بدأ ابن زيدون قصيدته بمقدمة غزلية يصف صاحبته التي تتمنع وهي راغبة ، و كعادته يصف المرأة البدوية التي تحميها عشيرتها بقوة السلاح وأنواع العتاد والجياد ، فيصعب الوصول إليها ؛ لحصانتها ، ورغم هذه القوة الضارية وهذه الحصون المنيعة فهي تتسلل وتصل إليه في خفة ورشاقة ؛ وفاءً له ، ثمَّ يكثر من وصفها خلال هذه المقدمة الغزلية الطويلة تربو عن سبعة عشر بيتاً يصف من خلالها كل ما وقعت عليه عيناه في تلك المرأة .

ويتخلص الشاعر بعد هذه المقدمة التي بلغت سبعة عشر بيتاً إلى غرضه الذي من أجله قيلت القصيدة ـ وهو المديح ـ بانتقال رائع وسهل ، مستخدماً أداة التشبيه " كأن " مصرحاً في البيت

---

[1]- ديوان المتنبي ، 2 / 6 .

[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 387 ، مرادهم : مكان طلب النجعة ، الخمائل الأشجار الكثيفة ، المورد : مكان ورود الماء ، مناهل : مشارب .

[3] - ديوان أبي تمام ، 2 / 53 .

باسم ممدوحه الذي يصفه بأنه منقضٌ له من هذه العاطفة التي قد تجره إلى الهلاك بين الأعداء في حين تغمره نعم الأمير التي تغنيه عن كل عاطفة مشبوهة ، يقول الشاعر متخلصاً إلى المديح :

ضَلَالاً تَمَادَى الحُبُّ في المَعْشَرِ العِدَا وَلَجَّ الهَوَى في حَيْثُ تُخْشَى الغَوَائِلُ

كأنْ ليسَ في نُعْمى الهُمامِ " **مُحَمَّدٍ** " مُسَلّ ، وَفِي مَثْنى أيادِيهِ شَاغِلُ

وبعد هذا الانتقال الرائع ظل يمدحه إلى آخر القصيدة مصبغاً عليه كل الصفات الحميدة التي يحبها الملوك من كرم ، وشجاعة ، وطاعة ، ورفعة ، وسمو ، وأنه أفضل الملوك حتى أن الشاعر في آخر قصيدته يصرح متواضعاً بأن الشعر ليس غريزة طبيعية فيه ، وإنما جره إلى هذا الشعر تلك الفضائل التي رآها في ممدوحه ، يلخص ذلك قوله :

ومَا الشِّعْرُ مِمّا أدَّعِيهِ فَضِيلَةً تَزِينُ ، ولكِنْ أنْطَقتنِي الفَوَاضِلُ

ومن خلال تتبعنا لمضمون قصيدة ابن زيدون نلمح تشابهاً واضحاً بينها وبين قصيدة أبي تمام ، ولاشك في أن مقدمة ابن زيدون السابقة لا تختلف عن مقدمة أبي تمام ، إلا أن أبا تمام بدأ قصيدته بمقدمة طللية في نحو عشرة أبيات وقف فيها على آثار حبيبته الدارسة والتي خلت من ساكنيها ، واصفاً تلك الحبيبة ـ التي لم يسمها ـ بأنها محصنة بين أهلها ، مشبهاً عيونها بعيون البقر الوحشي على عادة الشاعر الجاهلي في وصفه للمرأة ، ثم ينتقل إلى المديح منادياً ممدوحه دون أن يستخدم حرف النداء ؛ تودداً إليه ولقربه منه مصرحاً باسمه متحدثاً عن علمه ، وفصاحته ، وذكائه ، وحكمته ، وعدله ، مشيراً إلى شجاعته وفتكه بأعدائه ، فيتخلص قائلاً :

هوىً كانَ خلْساً إنَّ مِنْ أحْسنِ الهَوَى هوىً جُلْتَ في أفْنانِه ، وَهْوَ خامِلُ[1]

أبَا جَعْفَـرٍ إنَّ الجَهَـالةَ أُمُّهـا وَلُودُ وأُمُّ العِلْـمِ جَـدَّاءُ حائـلُ

وقد ختم أبو تمام قصيدته بالثناء على تلك القصيدة كعادته في كثير من مدائحه ، قائلاً :

منحتُكَها تَشْفِي الجَوَى ، وهْوَ لاعِجٌ وتَبْعثُ أشجان الفَتَى وهو ذَاهِلُ[2]

تَرُدُّ قَوَافيها إذَا هِيَ أُرسلَتْ هوامِلُ مَجْدِ القَوْمِ وهْيَ هَوامِلُ

فكَيْفَ إذا حَلَّيْتَها بحُلِيّها تَكُونُ وهَذا حُسنُها وَهْيَ عَاطِلُ ؟

---

[1] ـ ديوان أبي تمام ، 2 / 55 .
[2] ـ المصدر نفسه ، ص 61 .

أما ابن زيدون فقد ختم قصيدته بختام يستحسنه النقاد في خواتيم قصائدهم كالدعاء للممدوح بطول العمر ودوام النعمة ، فيقول :

بَقِيتَ كَمَا تَبْقَى مَعالِيك ! إنَّهَا خَوَالِدُ ، حِينَ العَيْشُ كالظّلِّ زَائِلُ

فَمَا نَسْتَزِيْدُ الله بَعْدَ نِهَايـــةٍ لنَفْسِكَ غَيْرَ الخُلْدِ إذْ أنْتَ كَامِلُ

الأسلوب : من الأساليب اللافتة للنظر التي استعان بها ابن زيدون استجابة لنداء المعارضة **أسلوب الجناس القائم على رد العجز على الصدر** ، وهذا الأسلوب حقق للقصيدة نسقاً بديعياً أنيقاً ، ويمكننا أن نرصد هذه الظاهرة على هذا النحو :

يقول ابن زيدون : { طويل ـ طوائل / الغزال ـ يغازل / شمولاً ـ الشمائل / الحبال ـ الحبائل / النزال ـ نازل / المستثقل ـ المتثاقل / المحافل ـ حافل / الأعمال ـ عامل / غفل ـ غافل / خاله ـ المخائل / قل ـ قلائل } .

وفي قصيدة أبي تمام نجد هذا التركيب التجانسي : { تمثل ـ المواثل / أغفالها ـ غافل / أخملت ـ الخمائل / جمال ـ جامل / بعقلك ـ العقائل / الخلاخل ـ الخلاخل / الشمل ـ الشمائل / حملت ـ الحمائل ، فضلت ـ فاضل / شغل ـ شاغل / راسلتك ـ الرسائل / احتفلت ـ المحافل / نال ـ نائل / الحبال ـ الحبائل / مقتل ـ المقاتل / سال ـ سائل / هوامل ـ هوامل } .

ولم يكن هذا كل الجناس التي تزينت به القصيدتان ، إنما هذا ما جاء على شكل رد العجز على الصدر ، بينما يندر **الطباق** في القصيدتين .

الصيغ الصرفية : وردت صيغٌ صرفية في قصيدة ابن زيدون على وزن فعيل ، وهي صفات ألبسها شاعرنا على ممدوحه ، كقوله { أبيٌ / وفيٌ / زعيمُ / شديدٌ / مقيمٌ } ، وهي صفات لم ترد في قصيدة أبي تمام ، وهذه الصفات تدل على مبالغة ابن زيدون في وصف ممدوحيه .

التزام القافية الأسمية : اعتمد الشاعران في قصيدتيهما على قوافي الأسماء دون الأفعال أو الحروف ، حيث وردت هذه القوافي على صيغتين اثنين ، هما :

الأولى : على وزن **فاعل** إذا كانت الكلمة مفردة . **الثانية :** على وزن **مفاعل** ، و**فواعل** إذا كانت الكلمة في صيغة الجمع . فمن قوافي أبي تمام التي وردت على وزن فاعل { آهل / غافل / جامل / خامل / حائل / قاصل / فاعل / باسل / فاضل / شاغل / كامل / عامل / وابل / راجل / ناحل / عادل / باطل / نائل / جاهل / ساحل / سائل / واصل / قائل / حائل / حافل / عاطل / ذاهل }.

ومن قوافيه التي جاءت على وزني مفاعل وفواعل { مواثل / خمائل / العقائل / ذوابل / قبائل / المناقل / نواقل / الشمائل / الخمائل / مقاتل / القنابل / الرسائل / المفاضل / عواسل / المحافل / حوافل / الجحافل / العواذل / مراحل / المنازل / معاقل / هوامل / مناهل }.

ومن قوافي ابن زيدون التي وردت على وزن فاعل {خاذل / ذابل / هادل / لائل / مائل / حائل / شاغل / ناضل / طائل / عامل / ماطل / ناقل / ناصل / فاعل / نازل / راحل / حافل / عاطل / ماحل / قابل / عامل / واصل / باطل / حامل / آمل / غافل / صاقل / زائل / آفل / كامل } .

ومن قوافيه التي جاءت على وزني مفاعل وفواعل { مناهل / عوامل / خمائل / طوائل / عقائل / شمائل / خلاخل / الغوائل / المخائل / الجداول / حبائل / جحافل / قلائل / أصائل / نوافل / منازل / فواصل } .

وقد أبتدأ ابن زيدون قصيدته بما ختم به أبو تمام من القوافي ، يقول أبو تمام في ختام قصيدته :

أكابِرَنـــا عطْفاً عَلَينـا فإنَّنَا بنا ظَمَـأٌ مُرْدٍ وأنتم مناهِـــلُ[1]

بينما يقول ابن زيدون مستفتحاً قصيدته :

مَرَادُهُمُ حَيْثُ السِّلَاحُ خَمَائِـــلُ ومَوْرِدُهُمْ حَيْثُ الدِّمَاءُ مَنَاهِلُ

التراكيب النحوية في قوافي القصيدتين : تنوعت القوافي في القصيد تين ، بين الخبر وبين الفاعل أو نائبه ، فما ورد منها على هيأة خبر لمبتدأ في قصيدة أبي تمام { قلبك آهل / وهو غافل / تلك ذوابل / وهو خامل / أمها حائل / وهو كامل / وهو راحل / وهي حوافل / وهي أساحل / وهو ناحل / فهو عادل / السم قاتل / الضرع حافل / وهو ذاهل / وهي هوامل / وهي عاطل / أنتم مناهل / الخطب باطل } ، ونلاحظ أن أبا تمام قد نوع في المبتدأ بين الاسم الظاهر، والضمير المخاطب إلاَّ أن الأكثر ضمير لغائب .

وما جاء من قوافيه فاعلا أو نائب فاعل { تمثل المواثل / جالت الخلاخل / تنظم الشمائل / حملت الحمائل / قبضت العواذل / يصلها واصل / تخلف الوسائل / تسرم المنازل}.

بعد أن عرضنا التراكيب النحوية في قصيدة أبي تمام ، سنعرض للتراكيب النحوية في قصيدة ابن زيدون التي تعد معارضة تامة لقصيدة أبي تمام ، حيث إن ابن زيدون في معارضته اتخذ التراكيب النحوية ذاتها في القصيدة المعارَضة فتنوعت القافية بين الخبر والفاعل ونائبه ،

[1] ـ ديوان أبي تمام ، 2 / 261 .

فما جاء في صورة خبر من قوافي ابن زيدون { الدماء مناهل / حليك هادل / ليلك لائل / عطفك ماثل / فالدهر ماطل / تلك الحبال حبائل / أنتم فيه عامل / ذلك حائل / فكل خصيب لا محالة ناصل / وهو سلاسل / الجسم راحل / الدهر عاطل / الأفق ماحل / أنت عامل / أنا آمل / أنت غافل / أنت كامل }.

أما قوافي ابن زيدون التي وردت على هيأة فاعل أو نائب فاعل فهي { تناط الخمائل / تدير الشمائل / تخشى الغوائل / استهلت أنامل / تستطير المخائل / تصيب الجحافل / تندى الأصائل / شيعته النوافل / انطقتني الفواضل } ، نلاحظ أن أغلب القوافي التي جاءت على هيأة خبر لمبتدأ كانت لفظتها مفردة ، في حين أن ما ورد على هيأة فاعل أو نائب فاعل كانت لفظتها مجموعة .

مواطن التأثر بين أبيات القصيدتين : والناظر لأبيات ابن زيدون يرى بعض مظاهر التأثير الذي يكسو ألفاظه ومعانيه من شعر أبي تمام ، ومن ذلك قوله :

تَفَاضَل في السَّرْوِ المُلُوكُ ، فَخِلْتُهُمْ أَنَابِيبَ رُمْحٍ أَنْتُمُ فِيهِ عَامِلُ[1]

حيث نظر فيه لقول أبي تمام :

جَمَعْتَ عُرَى أعمَالِها بَعْدَ فُرْقَةٍ إليْكَ كما ضَمَّ الأنابِيبَ عَامِلُ[2]

يقول ابن زيدون : تفاضل الملوك في الشرف والسخاء ، فكانوا مثل أنابيب الرمح ، أنتم سنانه . ويقول أبو تمام : إنك جمعت شتات هذه الجيوش المتفرقة ، كما يجمع الأنابيب ، صاحب السنان ، والعبارة المشتركة بين البيتين (أنابيب عامل) .

كما نظر ابن زيدون في قوله :

أتِيٌّ ، فَمَا تِلْكَ السَّماحَةُ نُهْزَةٌ وَفِيٌّ ، فَمَا تِلْكَ الحِبَالُ حَبائِلُ[3]

إلى قول أبي تمام :

تَرَى حَبْلَهُ غرْثَانَ مِنْ كلِّ غَدْرةٍ إذَا نُصِبَتْ تَحْتَ الحِبَالِ الحَبَائِلُ[4]

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 393 .

[2]- ديوان أبي تمام ، 2 / 57 ، ضم : أي ضممت ما انتشر من أمور الملك .

[3]- ديوان ابن زيدون ص 392 . الأتي : الجدول أو السيل ، نهزة : فرصة ، الحبال : الوصال والعهد والأمانة ، الحبائل جمع حبالة : وهي الشرك الذي ينصب للصيد .

[4]- ديوان أبي تمام ، 2 / 59 ، الغرثان : الجائع الذي قد خلا جوفه من الطعام .

يقول ابن زيدون : إن هذا الكرم طبيعة أصيلة في الممدوح ، و إن ممدوحه مطبوع على الوفاء ، يفي لأوليائه وفاء الحب والعرفان وليس الكيد والاحتيال . ويقول أبو تمام : إن الأمير صاحب عهد ، وأمانة ، ووصال ، وهو بعيد عن الغدر . وقد ضمن ابن زيدون ، عبارة : (الحِبَالُ حَبائِلُ) من بيت أبي تمام . كما أخذ ابن زيدون قوله :

مَساَعٍ هي العِقْدُ انْتِظَامَ مَحَاسِنٍ تَحَلَّى بِهَا جِيدٌ مِنَ الدَّهْرِ عَاطِلُ[1]

من قول أبي تمام :

فَكَيْفَ إذَا حَلّيْتَها بِحُلِيِّهَا تَكُونُ وهذا حُسْنُهَا وهي عَاطِلُ ؟[2]

يقول ابن زيدون : مآثر الأمير أصبحت حلية يتحلى بها الزمان ، بعد أن كان عاطلاً . ويقول أبو تمام : إن هذه القصيدة ذات حسن قبل أن تحلى بالحلي .

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ،395 ، الجيد : العنق .
[2]- ديوان أبي تمام ، 2 / 61 .

ثانياً : معارضة ابن زيدون لقصائد البحتري :

اتسم شعر ابن زيدون بالرقة والعذوبة ، والصور الشعرية المبتكرة ، وجمال الأسلوب ، ورقة المشاعر والموسيقى الشعرية[1] ، لذلك لقبه الأدباء ببحتري الأندلس [2] ، وقد عزا يوسف فرحات هذا اللقب إلى سببين : " السبب الأول طول النفس إذ جاءت أكثر قصائده في المديح والغزل طويلة ، والسبب الثاني هو ولع ابن زيدون بالزخارف الشعرية ، إذ أكثر من الصنعة فجاءت أبياته كشعر البحتري غنية بالصور البيانية والمحسنات البديعية " .[3]

إذا كان ابن زيدون قد عارض الكثير من قصائد أبي تمام ، فمن باب أولى أن يعارض قصائد البحتري إذ أنهما اتفقا " في الصنعة الشعرية ، أو الفن الشعري ، فكلاهما رائع النظم ساحر الأداء ، وكلاهما شاعر فني قبل أن يكون حكيماً أو فيلسوفاً أو غواصاً على المعاني العويصة ، إنما يستمد كل منهما معانيه من وحي الخيال وجمال الطبيعة ، لا من قضايا العلم والمنطق والمذاهب الفلسفية "[4]، فضلاً عن تشابهما في التجربة العاطفية ، فإذا كان ذلك كله ، فلا غرابة من أن يبنى ابن زيدون قصائده على غرار قصائد البحتري ، ولعل من أشهر قصائده النونية الغزلية :

أضْحى التَّنائِي بديلاً من تدانِينا ونابَ عن طِيبِ لقيانا تجافينا[5]

ونظراً لشهرتها فلا تكاد تجد باحثاً أو كاتباً أو مؤلفاً يذكر ابن زيدون دون أن يقف على هذه النونية ، وقد وصفها الصفدي بأنها " سارت في البلاد وطارت في العباد ".[6]

وقال الصفدي أيضاً : " قال بعض الأدباء من لبس البياض وتختم بالعقيق ، وقرأ لأبي عمرو ، وتفقه للشافعي وروى قصيدة ابن زيدون ، فقد استكمل الظرف ".[7] ويعتقد الصفدي أن ابن زيدون عارض بها قصيدة البحتري :

يَكَادُ عَاذِلُنَا في الحُبِّ يُغْرِينَا فَمَا لَجَاجُكَ في لَوْمِ المُحِبِّينَا[8]

---

[1] - ينظر - بعيون ، سهى ، مقال بعنوان (شعر ابن زيدون) ، مجلة الرافد ، دار الثقافة والأعلام ، الشارقة ، عدد 10 ، لسنة ، 2010 ، ص 5 .

[2]- بنظر الذخيرة 1 / 379 .

[3]- ديوان ابن زيدون تحقيق يوسف فرحات دار الكتاب العربي بيروت ط 1994 ، ص 16 .

[4]حسن ، حسن جاد ، ابن زيدون عصره - حياته - أدبه ، ص 225 ، 226 .

[5]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، تحقيق علي عبدالعظيم ، ص 141 .

[6]- تمام المتون " 12 ، 13 " .

[7]- تمام المتون 13 .

[8]- المرجع نفسه والصفحة نفسها ، والقصيدة في ديوان البحتري م / 4 / 2200 .

يقول الدكتور علي الشناوي : لقد " نظر ابن زيدون إلى نونية البحتري في مدح خمارويه بن طولون فأعجبته ، فعارضها بقصيدة خالصة في الغزل ، ومن ثم تأتي المعارضة منصبة على الجزء الأول من النص النموذج ، وليس هناك أدنى شك في أن تكون معاني الغزل التي حوتها مقدمة قصيدة البحتري في أبياتها الأحد عشر مصدراً لإلهام ابن زيدون لصوغ قصيدة في ولادة مع توسع ابن زيدون وتفوقه في الغزل على صاحبه "[1] .

أسلوب القصيدتين : تميزت القصيدتان بأسلوبهما السهل الرقراق ، وألفاظهما الواضحة البعيدة عن الغموض ، والموسيقا فيهما واضحة والقافية جاءت جيدة وليست مصطنعة ، حيث تنتهي حروف القافية (بالياء ، والنون ، والألف) وقد أعطت هذه الحروف لحناً خفيفاً رقيقاً تطرب له الآذان ، ومن الأساليب التي تميز بها ابن زيدون عن البحتري : **الازدواج** الذي تتساوى فيه البنى الصرفية بين شطري البيت ، كقول ابن زيدون :

فَانْحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُــــوداً بِأنْفُسِـــــنَا وَانْبَتَّ مَا كَانَ مَوْصُولاً بِأيْدِيـنَا

أ ـ فَانْحَلَّ مَا	ب ـ كَانَ مَعْقُــودا	ج ـ بِأنْفُسِــنَا
وَانْبَتَّ مَا	كَانَ مَوْصُولا	بِأيْدِيــنَا

فالازدواج في هذا البيت على هذا الشكل (أ) يتكون من حرف العطف ، والفعل الماضي المشدد ، واسم الموصول ، ويتكون (ب) من كان ، وخبرها ، ويتكون (ج) من حرف الجر (الباء) ، والاسم المجرور موصولاً بالضمير (نا) الدالة على الفاعلين .

المقابلة : أكثر ابن زيدون من استخدام المقابلة ليبرز تلك المفارقة بين زمن الماضي والحاضر ، في أغلب أبيات القصيدة ، حيث يقابل بين زمن ماضٍ كان فيه (التداني ، والقرب ، والوصال) ، وبين زمن حاضر أضحى فيه (التنائي ، والتجافي ، والفراق) ، يقول ابن زيدون :

أضْحَى **التَّنائِي** بدِيـــلاً مِــنْ **تَدانِيـــنا** وَنَابَ عَنْ طِيبِ **لُقْيانَا تَجَافِـينَا**[2]

يقابل الشاعر بين الماضي (التداني و والوصال) وبين الحاضر (التنائي والتجافي) ؛ ليحصر الماضي بين الحاضر ، كأنه يريد أن يقول إن الزمن الحاضر طغى على الماضي .

---

[1]- المعارضات في الشعر الأندلسي ، القصيدة العباسية نموذجاً ، مكتبة الآداب القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2003 ، ص 102 .
[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص141 – 148 .

الطباق : لما كان الماضي والحاضر على طرفي نقيض في حب ابن زيدون طغى الطباق على القصيدة ، وكذلك الشأن عند البحتري ، ومن الطباق الذي ورد في قصيدة ابن زيدون : التنائي التداني / لقيانا تجافينا / يضحكنا يبكينا / انحل معقودا / تفرقنا تلاقينا / ابتلت جفت / يكتمنا يفشينا / الظلماء الصبح / يروينا يظمينا . وفي قصيدة البحتري : أيامنا لياليناً / قست لينا / يلومنا يعذرنا / يسخطنا يرضينا / قريباً استبعد / تدنو يبعدوا / تبعد قريبينا .

الترديد : لما كثرت المطابقة والمجانسة في القصيدتين غلَّب الشاعران رد الأعجاز على الصدور اسقِ يسقينا / حيَّا يحيينا / كافٍ تكافينا / نلقاكم تلقونا / عدتنا عوادينا / أرواحنا رواحينا / غنَّانا غوانينا / دان دينا / صبا يصبينا / نخفيها فتخفينا .

وفي قصيدة البحتري : نعانيه يعنَّينا / الحب المحبينا / تقاضياً تقاضينا / فيها فينا / مواتاة يواتينا / الجون جونا / مرَّان مارونا / شئنا ماشينا / تكفنا يكفينا / غابن مغبونا / بالصين الصينا / حيناً حينا / أمين مأمونا .

العطف : ورد أسلوب العطفٍ منصوبا في آخر القصيدتين ، عطف بينهما بحرف الواو ، كقول ابن زيدون : تعويذاً وتزيينا / إيضاحاً وتبيينا / زقوماً وغسلينا / غضاً ونسرينا . وورد في قصيدة البحتري : ذلاً وتوهينا / موهوماً ومظنونا / إعزازاً وتمكينا / تفخيماً وتزيينا .

التأثر ابن زيدون بأبيات االبحتري: القارئ لهاتين القصيدتين يستطيع الوقوف على بعض صور تأثر ابن زيدون بالبحتري ، فبالإضافة للوزن والقافية نجد أن ابن زيدون تأثر ببعض أبيات البحتري فمن ذلك قوله :

حَالَتْ لفقْدِكُمُ أيَّامُنا ، فَغَدَتْ سُوداً ، وكَانتْ بِكُمْ بيضاً لياليَنا[1]

حيث إن ابن زيدون تأثر فيه بقول البحتري :

تَجَرَّمتْ عِنْدَهُ أيَّامُنا حِجَجاً مَعْدُودةً وَخَلَتْ فيها لياليِنَا[2]

يشترك البيتان في المعنى المتمثل في تبدل حال الوصال إلى القطيعة ، يقول ابن زيدون : تغيرت أيامنا بعد فقدكم فأمست سوداء ، بعدما كانت معكم لياليا بيضاء .

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 143 .
[2]- ديوان البحتري 4 / 2201 ، تجرمت : انقضت . الحجج : جمع حجة وهي السنة .

ويقول البحتري : انقضت الأيام بيننا فغدت حججا معدودة ، أي سنواتٍ . واشترك البيتان ، في الابتداء بالفعل الماضي التي اتصلت به تاء التأنيث ، وقابله فعلٌ مثله في الشطر الثاني ، وهو (حالت ، وكانت ـ تجرمت وخلت) ، بالإضافة إلى المجانسة بين (أيامنا ، وليالينا) ، في كل شطر ، في كل البيتين . وقول ابن زيدون :

إذا تَأَوَّدَ آدَتْهُ رَفاهِيةً تُومُ العُقُودِ ، وأدْمَتْهُ البُرى لِينا[1]

يشبه قول البحتري :

إذا قَسَتْ غِلْظةً أكْبادُها جَعَلتْ تَزْدادُ أعْطَافُها من نعْمَةٍ لِينا[2]

يقول ابن زيدون : هذه المرأة تمشي مشية دلال ، ورفاهية ، لما تحلت به من العقود والخلاخيل ، وقد أدمتها هذه العقود والخلاخيل ؛ بسبب رقتها ونعومتها . ويقول البحتري : إن هذه المرأة قاسية القلب ، لينة الأعطاف ، لما فيه من نعيم ورغد العيش . وقد اتفق البيتان في أول لفظة وآخرها ، وهي : (إذا مع الفعل الماضي في بداية البيت ، ولفظة لينا المتمثلة في القافية) .

وقول ابن زيدون :

وإذْ هَصَرْنا فُنُون الوَصْلِ دَانِيةً قِطَافُها ، فجَنَيْنا منهُ ماشِينا[3]

يشبه قول البحتري :

نيْلٌ يُحَكَّمُ فيهِ المُجْتَدُونَ إذا شِئْنا أخَذْنا احْتِكاماً فيه ما شِينا[4]

يشترك البيتان في أخذ المراد ، يقول ابن زيدون : إذا جذبنا أغصان الثمار كانت ثمارها ، دانية قريبة ، نجني منها ما نشاء . ويقول البحتري : عطاء الأمير يحكم فيه طالبو الحاجات ، يأخذون منه ما شاءوا ، واتفق البيتان في أسلوب الشرط بـ (إذا) ، والقافية (ما شينا) .

هكذا كانت قصيدة ابن زيدون معارِضةً لقصيدة البحتري ، وقد تمثلت المعارضة في الوزن فكلتا القصيدتين من البحر البسيط ، كما اتفقت القصيدتان في القافية وحركة الروي ، " ولا يمكن لابن زيدون أن يكون أغفل الاطلاع على تجربة شعرية فذة تمثل منارة في مسيرة الشعر العربي مثل تجربة البحتري ، ولابد له كذلك من أن يكون قد أحاط بعيون قصائد البحتري "[5]

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص145 ، تأود : تمايل . آدته : أثقلته . تؤم العقود : عقود مزدوجة من اللؤلؤ . البرى : الخلاخيل .
[2]- ديوان البحتري 4 / 2201 ، الأعطاف : الجوانب .
[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 143 .
[4]- ديوان البحتري ، 4 / 2203 .
[5]- جرار ، د . صلاح ، قراءات في الشعر الأندلسي ، دار المسيرة ، الأر دن ، الطبعة الأولى ، 2007 ، ص84 .

ومنها هذه القصيدة ، وقد وقعت قصيدة البحتري في تسعة وثلاثين بيتاً ، بينما اشتملت قصيدة ابن زيدون على اثنين وخمسين بيتاً . ورغم اختلافهما في صدق العاطفة من عدمها ، إلا أنهما اتفقا أسلوباً وإيقاعاً ووزناً وقافية ، وقد أفاد ابن زيدون من مذهب البحتري في الشعر ، يقول علي محمد سلامة : " .. وأفاد شعراء الأندلس من مذهب البحتري وعلى رأسهم ابن زيدون في سهولة الأسلوب وإشراق الديباجة ، حتى لقبه النقاد ببحتري الأندلس " .[1]

كان البحتري أستاذاً من أساتذة الإيقاع الداخلي للشعر ، فهو يُعنى أشد العناية بالتوافق الصوتي بين الحروف والكلمات ، بحيث نراه كثيراً يختار كلمات الشطر – وربما كلمات البيت – من ذوات حرف معين ، واجداً فيه لمحة من القرابة الصوتية تشد كلمات البيت أو الشطر بعضها إلى بعض ، وتجعل كلاً منها تقبل على أخت لها ، فالكلمات أسرة صوتية واحدة ونصل إلى الكلمة الأخيرة في البيت وصولاً طبيعياً ، فالقوافي محكمة ، ولا يعتريها أي نبو بل هي موضوعة بكل دقة في مكانها السوي .[2] فهذا المذهب السلس من التوافق بين الكلمات والحروف هو المسلك الذي اتخذه ابن زيدون في أغلب قصائده ، فهو ينظم أغلب قصائده ، وخاصة هذه النونية على فكرة التقابل والتناظر ، والإكثار من المحسنات البيانية والبديعية ، من غير كلفة ولا مشقة .

ولم يقتصر تأثر ابن زيدون في نونيته السابقة بنونية البحتري " يكاد عاذلنا " ، بل أخذ بعض أبياتها من نونية أخرى للبحتري في رثاء الخليفة العباسي الموفق (أبي أحمد بن طلحة بن المتوكل ت /278 هـ) ، ومدح خليفته أبا العباس بن الموفق ، ومطلعها :

نَسْعَى ؛ وأَيْسَرُ هذا السَّعيِ يكْفِيْنَا لَوْلاَ تَكَلُّفُنَا ما لَيْسَ يَعْنِيْنَا[3]

فالقارئ لهذه القصيدة يجد تشابهاً بينها وبين نونية ابن زيدون ، فبالإضافة إلى التشابه في الوزن والقافية ، اشتركت القصيدتان في بعض الألفاظ والمعاني ، ففي موقف الشاعرين من الدهر ، يقول ابن زيدون :

فَهَلْ أَرَى الدَّهْرَ يَقْضِيْنَا مُسَاعَفَةً فِيْهِ ، وإنْ لَمْ يَكُنْ غِبّاً تَقَاضِيْنَا[4]

متأثراً بقول البحتري :

---

[1]- الأدب العربي في الأندلس ، تطوره ، موضوعات أشهر أعلامه ص 66 .
[2]- ضيف شوقي ، في التراث والشعر واللغة ، دار المعارف ، القاهرة ، 1987 ، ص 140 – 141 .
[3]- ديوان البحتري ، 4 / 2187 .
[4]- المصدر، ص 144 .

فَلَيْتَ مُسْلِفَنَا الأَعْمَارَ أَنْظَرَنَا مُجَامِلاً فَتأَنَّى في تَقَاضِيْنَا[1]

يقول ابن زيدون : فهل الدهر يسعفنا بأن نتقابل ولو غباً من الأيام ، ويقول البحتري : ليت الدهر يقرضنا عمراً ، ويتأنى في قضائه . كما نلمح تأثر ابن زيدون في قوله :

وإذْ هَصَرْنا فُنُون الوَصْلِ دَانِيةً قِطَافُها ، فجَنَيْنا منهُ ماشِينا[2]

فقوله : (فجَنَيْنا منهُ ماشِينا) ، مقتبس من قول البحتري :

وَلَوْ نَشَاءُ شَرَعْنَا في تَطَوُّلِهِ شُرُوعَنا فَأَخَذْنَا مِنْهُ ما شِينَا[3]

ونرى اتفاقا واضحا بين بعض قوافي القصيدتين مثل : (يكفينا ، وتقاضينا ، ودينا ، وفينا ، وأيدينا ، وماشينا ، و يعنينا) ، على قلة عدد أبيات قصيدة البحتري المؤلفة من ستة عشر بيتاً مقارنة بقصيدة ابن زيدون الواقعة في اثنين وخمسين بيتاً ، مما يعني أن قصيدة ابن زيدون تشترك مع قصيدة البحتري في أكثر من ثلث كلمات قوافي قصيدة البحتري .

كما نظم ابن زيدون قصيدة ميمية يمدح بها صاحب بطليوس المظفر سيف الدولة أبا بكر محمد بن مسلم ومطلعها :

لِبِيضِ الطُّلَى ولِسُـــودِ اللِّمَـــمْ بِعَقْلِيَ– مُذْ بِنّ عَنِّي – لَمَـمْ [4]

فَفِي نَاظِرِي ـ عَنْ رَشَادٍ ـ عَمَىً وَفِي أُذُنِي ـ عَنْ مَلَامٍ ـ صَمَمْ

قَضَتْ بِشِماسي على العَاذِلِيــن شُمُـــوسٌ مُكَلَّلَـــةٌ بالظُّلَـــمْ

فَمَا سَقِمَتْ لَحَظَـــاتُ العُيُـــو نِ إلاَّ لِتُعْـــدِيَـــنِي بالسَّقَـــم

مما سبق يرى الباحث أن ابن زيدون تأثر في كثير من معانيها بقصيدة للبحتري في مدح عبيد الله بن يحي بن خاقان ومطلعها :

نَشَدْتُك اللهَ مِن بَرْقٍ عَلَى إضَمِ لمَّا سَقَيْتَ جُنُوبَ الحَزْنِ فالعلَمِ[5]

---

[1]- ديوان البحتري ، 4 / 2188 ، أسلف : أقرض .
[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 143 .
[3]- ديوان البحتري 4 / 2189 .
[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 406 ، الطلى : الأعناق واحدتها طلية أو طلاه ، اللِّمم : جمع لِمَّة وهي الشَّعر الذي يجاوز شحمة الأذن ، بِنَّ : بعُدنَ ، اللَّمم : نوع من الجنون أو مس من الجن .
[5]- ديوان البحتري ، 3 / 1973 ، إضم : ماء بين مكة ويمامة . الحزن : ما فيه خشونة من الأرض . العلم : جبل فرد شرقي الحاجر.

هيكل المعارضة : تقع القصيدة المُعَارِضة في خمسين بيتاً ، وهي في مدح صاحب بطليوس المظفر ، وقد استهل ابن زيدون قصيدته بمقدمة غزلية رائعة في أربعة عشر بيتاً ، أما القصيدة المُعَارَضة ، فهي في مدح عبيد الله بن يحي بن خاقان ، وهي تقع في خمسة وثلاثين بيتاً ، وقد استهلها بمقدمة غزلية في تسعة أبيات ، وقد اتفقت القصيدتان في الغرض ، والقافية ، واختلفت القصيدتان في الوزن، فقصيدة ابن زيدون من البحر المتقارب ، وقصيدة البحتري من البحر البسيط ، كما اختلفت القصيدتان في حركة الروي ، حيث إن قصيدة ابن زيدون تنتهي بروي ساكن ، بينما تنتهي قصيدة البحتري بروي مكسور .

بناء المضمون : بدأ ابن زيدون قصيدته بمقدمة متغزلاً بمحبوبته ـ التي لم يسمها خيفة الوشاة والرقباء ـ واصفاً جمالها البديع ، وحين افترقت عنه كأنما مسه الجنون وأصابه العمى والصمم ، وقد لامه الصحب عن فعله ومبالغته في ذلك الحنين ، لكنه لم يعبأ لهذ اللوم قائلاً :

وَمَا ذُو التّذكّرِ مِمّنْ يُلامُ ، ولَا كَرَمُ العَهْدِ مِمّا يُذَمْ

وقد مزج وصف الطبيعة بغزله ، حينما ذكَّرته الرياح بحبيبته التي كانت كالرسول بينهما ؛ لتخفف عنه أشواقه التي مزجت دمعه بدمه كما ذكرته تلك الرياح بعهد الحبيب الذي مضى وانقضى ، وتلك الليالي الحافلة بلقاء الحبيب الذي كان يسري إليه حين تنام عيون الوشاة ، ويغفل عنه الرقباء ، وقد ظهر هذا الحنين واضحاً من خلال استخدام أفعال الماضي ، بعد قوله : " أما وزمان مضى عهده " ، حيث توالت بعد هذا البيت أفعال الماضي ، مثل : جار ، حكم ، قضى ، انقضى ، اتصل ، انصرم ، نامت ، مالت ، أجنت ، كما ورد في هذه المقدمة بعض الأماكن كقوله : ذي سلم ، وهو وادٍ بالحجاز ، البراق ، وهي قرية بحلب ، أما البحتري فقد مهد لقصيدته بمقدمة غزلية يتغزل فيها بامرأة مصرحاً باسمها تدعى (ليلى) واصفاً في تلك المقدمة عينيها وابتسامتها وعوارضها ، ذاكرا بعض مواضع سكناها ، كقوله : (إضم ، الحزن ، العلم) ، وتتفق القصيدتان في أمور منها ، طريقة الانتقال من المقدمة التقليدية إلى الغزل ، فالبيت الرابع عشر والأخير في المقدمة التقليدية لدى ابن زيدون هو :

وأَيامُنَــا مُذْهَبَــاتُ البُـــرُودِ رِقَـــاقُ الحَـــواشي صَـــوافِي الأدَمْ[1]

[1]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 409 ، مذهبات : مموّهات بالذهب ، البرود : جمع برد وهو ثوب مخطط ، الحواشي : جمع حاشية وهي الظل ، الأدم : الجلد ، الأدْم : الألفة والصلح .

ثم ينتقل إلى الممدوح ، ومشيداً بفضائله وأخلاقه ، بأسلوب جميل ولا يكاد يشعر المتلقي بهذه النقلة حتى يصير في الغزل ، ففي آخر بيت في المقدمة الغزلية تحدث عن تحسن مستوى معيشته ، فأيامه مذهبات البرود ؛ بسبب كرم المظفر الذي أحسن استقباله ، ثم تخلص قائلاً :

كَأنَّ "أبَا بَكْرٍ" الأسْلَمِيَّ أجْـــــــــــــــرَى عَلَيهاَ فِرِنْدَ الكَرَمْ [1]

وَوشَّحَ زَهْرَةَ ذاك الزَّمَانِ بِمَا حَازَ مِنْ زُهْرِ تلِكَ الشِّيَـمْ

وهو انتقال لا يختلف عن انتقال البحتري ، فآخر بيت في المقدمة التقليدية عنده ، وهو البيت التاسع ، قوله :

لَقَدْ كَتَمْتُ هَواهَا لو يُطاوِعُني شوقٌ لَجُوجٌ ودَمْعٌ غيرُ مُكْتَتَمِ[2]

اللهُ جارُ بنِي خَاقانَ إنَّهمُ الـ ـأ ثْرَوْنَ مِن كَرِم الأخْلاقِ والشَّيَمِ

فبالإضافة إلى طريقة الانتقال ، أخذ ابن زيدون معنى بيت البحتري في انتقاله وتخلصه من المقدمة إلى موضوع القصيدة . وقد ختم البحتري قصيدته بقوله لممدوحه :

وَذِمَّةٍ بك لم يُشْبِهْ تَأَكُّدَها إلاَّ وَفاؤُك للأقوامِ بالذِّمَمِ[3]

أما ابن زيدون فأحسن ختام قصيدته بدعاء لممدوحه بأن يظل الدهر بأيامه ولياليه على خدمتكم وتلبية رغائبكم ، وذلك في قوله :

وَلاَ يَزَلِ الدَّهْـــرُ أيَّـامُــهُ لَكُـــمْ حَشَـــمٌ واللَّيالي خَـــــدَمْ[4]

الترديد في القصيدتين : من الأساليب التي اتفقت فيها القصيدتان الجناس القائم على رد الأعجاز على الصدور ، فورد في قصيدة ابن زيدون : اللمم لمم / سقم ـ سقم / ساهمته سهم / نامت تنم / العزيم اعتزم / بهام البهم / لاءم التأم / بذمة الذمم / اظلموا اظَّلم / نجوم أجم / ناعماً النعم / الذمام أذم . وورد في قصيدة البحتري : كتمت مكتتم / تقدم القُدُم / يلومه تلم / الحِلمِ ـ الحُلم / ينم ـ يُنم / الظلم ـ الظلم / يهموا يهم / يعصمه العصم / تقادم القدم / ذمة بالذمم .

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، . الفرند : جوهر السيف ، الشيم الزهر : الاخلاق الوضاءة ، ص409 .
[2]- ديوان البحتري ، 3 / 1974 .
[3]- ديوان البحتري ، 3 / 1977 .
[4]ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 417 ، الحشم : حاشية الرجل أو عبيده .

الأنا : اختلفت القصيدتان في الأنا فقد ظهرت شخصية ابن زيدون واضحة في القصيدة فأشاد بذاته في كثير من الأبيات ؛ لاشتهاره بالاعتداد بالنفس ، ومن أمثلة ذلك : مذ بنَّ عني / ففي ناظري / في أذني / شماسي / لتعديني / دمعي / وإني أراح / أصبوا / وأهدني / اجهشتُ / أناديك / وإن يعدني / وإني لأصفك / وعندي . ولم نرَ لهذه الأساليب أثراً في قصيدة البحتري .

التأثر في الأبيات : ومن الأبيات التي تأثر ابن زيدون في معانيها ، بأبيات البحتري ، قوله :

وَإنّي أرَاحُ إذَا مَا الجَنُو بُ راحَتْ بِرَيَّا جَنُوبِ العَلَمْ[1]

فهو قريب في ألفاظه ومعانيه من قول البحتري :

نَشَدْتُكَ اللهَ من برقٍ على إضَمِ لمَّا سَقَيْتَ جُنُوبَ الحَزَنِ فالعلَمِ[2]

يقول ابن زيدون : أكون أكثر ارتياحاً ، عندما تهب رياح الجنوب الحافلة بأنفاس الحبيب ، من الجبل الجنوبي ، أما البحتري ، فيناشد البرق أن يسقي جنوب الحزن فالعلم ، حيث تسكن حبيبته ، وقد مزج كل من الشاعرين بين الطبيعة والغزل ، فابن زيدون جعل الرياح رسولاً بينه وبين حبيبته ، والبحتري ، يدعو بالسقي على ديار محبوبته ، واتفق البيتان في لفظتي (الجنوب ، والعلم) .

وقول ابن زيدون :

أَبُوهُ الَّذِي فَلَّ غَرْبَ الضَّلَالِ ولاءَمَ شَعْبَ الهُدَى فالتَأمْ[3]

قريب من قول البحتري :

أَقامَ يَنْشُدُ شَمْلاً غَيْرَ مُتَّفِقٍ مِنْ آلِ لَيْلَى وشَعْباً غَيْرَ مُلْتَئِمِ[4]

يقول ابن زيدون : إن أباه قطع حدة الضلال ولاءم الشعب ووحده ، ويقول البحتري إن ذلك البرق ، أقام ينشد شملاً غير متفق من آل ليلى المتصدع ، فالبيتان يدوران حول فكرة ، ملاءمة المتفرق ، وجمعه وتوحيده ، وقد اتفق البيتان في لفظة (لاءم ، شعب) .

وقول ابن زيدون :

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 407 ، أراح : ارتاح ، الجنوب : الريح التي تهب منها ، راحت : هبت ، الريَّا : الرائحة العذبة .
[2]- ديوان البحتري ، 3 / 1973 .
[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 413 ، فلّ : كسر أو ثلم ، غرب : حدّ ، لاءم : أصلح أو جمع ، التأم : انضم أو انصلح .
[4]- ديوان البحتري ، 3 / 1973 ، الشعب : الصدع .

فَمَا سَقِمَتْ لَحَظَاتُ العُيُو نِ إلاَّ لِتُعْدِيَنِي بالسَّقَمْ[1]

قريب من قول البحتري :

تُعْدِي القُلُوبَ بِعَيْنَيْهَا إذا نَظَرتْ حَتَّى تُجِدَّ لَها خَبْلاً مِن السَّقَمِ[2]

يقول ابن زيدون : فما ذبلت تلك العيون حتى أصابتني بالسقم ، ويقول البحتري : إذا نظرت بعينها فإنها تعدي القلوب ، وتصبها بالسقم . واتفق البيتان في بعض الألفاظ ، منها (السقم ، تعدي ، اللحظ ، العيون) . وقول ابن زيدون :

جَوَادٌ ذَرَاهُ مَطَافُ العُفاَةِ وَيُمْناَهُ رُكْنُ النَّدَى المُسْتَلَمْ[3]

قريب من قول البحتري :

ما إنْ يَزالُ النَّدى يُدنِي إلَيْهِ يَداً مُمْتاحةً من بعِيدِ الدَّارِ والرَّحِمِ[4]

يقول ابن زيدون : إنه كريم الجانب ، كثير العطاء ، يمناه ركن الندى الذي يستلم . وهو كقول البحتري : الذي يصف فيه سخاء الممدوح ، وبسطه ليده ، حتى بلغت فضائله إلى مَنْ هو بعيد الدار ، والرحم ، ومن الألفاظ المشتركة في البيتين (الندى ، ويمناه عند ابن زيدون ، يداً عند البحتري) .

ويقول ابن زيدون :

وَهَلْ فاَتَ شَيءٌ مِنَ المَكْرُمَاتِ جَرَى السَّيْفُ يَطْلُبُهُ والقَلَمْ[5]

قريب من قول البحتري :

سُسْتَ الخِلَافَةَ إشْرَافاً وحَيّطَةً وذُدْتَ عن حَقِّهَا بالسَّيْفِ والقَلَمِ[6]

يقول ابن زيدون : هل فاته شيء من المكرمات ؟ فإن كان كذلك ، فإنه يطلبه بالسيف والقلم ، ويقول البحتري : مكنت لخلافتك أحسن تمكين ، ودافعت عن حقها بالسيف والقلم ، وقد اشترك البيتان في لفظتي (السيف ، والقلم) .

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 407 .
[2]- ديوان البحتري ، 3 / 1974 .
[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص412 ، جوادٌ : سخي كريم .الذرى : الكنف ، يقال : أنا في ذرى فلان أي في كنفه وستره .
[4]- ديوان البحتري ، 3 ، 1974 ، الممتاحة : الممتدة .
[5]- ديوان ورسائله ، ص 412 .
[6]- ديوان البحتري ، 3 / 1976 .

وقول ابن زيدون :

وَأَرْوَعَ لا مُبْتَغِي رِفْـــــدِهِ يَخِـــــــيْبُ ولا جَارُهُ يُهْتَضَـــمْ[1]

قريب من قول البحتري :

وَلَم يَزَلْ لك مُـــذْ وُلِّيْتَ حَوْزَتها غَـوْثٌ لِلَهْفَانَ أو نَصرٌ لمُهْتَضَمِ[2]

يقول ابن زيدون : الأمير رائع المنظر ، بارع الشجاعة ، ، لا يخيب سائله ، ولا يذل جاره . ويقول البحتري : منذ أن وليت الخلافة ، كنت عوناً للمحتاج ، ولم يهضم حق جارك ، ولم يظلم . واقد اشترك البيتان في لفظة (يهتضم) . وقول ابن زيدون :

وَمُسْتَحْمَدٍ بِكَرِيمِ الفَعَا لِ ـ عَفْواً – إذا مَا اللَّئِيمُ استَذَم[3]

قريب من قول البحتري :

ماكُنْتَ فيهِمْ بِمَنْزُورِ النَّوالِ ، ولا رَثِّ الفَعَالِ ، ولا مُسْتَحْدَثِ الكَرَمِ[4]

ممدوح ابن زيدون ، كريم الاخلاق ، يستحمد الفعل الحسن ، ويقول البحتري : إن الأمير لم يكن قليل العطاء ، ولا سيء الخلق ، ولا مستحدث الكرم ، بل كان الكرم متأصل فيه منذ القدم ، والألفاظ المشتركة بين البيتين (الكرم ، الفعال ،) والمساواة بين لفظتي (مُسْتَحْمَدٍ ، مُسْتَحْدَثِ) ، في الوزن .

وقول ابن زيدون :

وَغَيْرُكَ أَخْفَرَ عَهْدَ الذِّمَامِ إذَا حُسْنُ ظَنِّي عَلَيهِ أَذَمْ[5]

قريب من قول البحتري :

وَذِمَّةٍ بك لم يُشْبِهْ تَأَكُّدَها إلاَّ وَفاؤُك للأقوامِ بالذِّمَمِ[6]

---

[1]- ديوانه ابن زيدون ورسائله ، ص 410 ، وفي رواية ، وأروع لا " مُعْتَفِي " : أي طالب المعروف . الأروع : مَنْ يُعجبك بحسنه ومنظره . الرفد : العطاء . يهتضم : يُظْلَم أو ينقص من حقه .

[2]- ديوان البحتري ، 3 / 1976، الحوزة : الناحية . المهتضم : الذي ظُلِم واغتصب حقه .

[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 413 .

[4]- ديوان البحتري ، 3 / 1977 ، المنزور : القليل . الرث : البالي .

[5]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 416 ، أخفر الذمام : نقض العهد . أذم : أخذ العهد .

[6]- ديوان البحتري ، 3 / 1977 .

يقول ابن زيدون : إذا حسن ظني في غيرك ، فإنه ينقض العهد ، ويغدر به ، فهو يشير إلى بيت البحتري السابق فقول ابن زيدون : حسن ظني ، تقابل لفظة البحتري : لم يشبه تأكدها ، والعهد في بيت ابن زيدون ، تقابل الوفاء عند البحتري ، وقول ابن زيدون : الذمام أذم : تقابل ذمة أذم عند البحتري .

كما نظم ابن زيدون قصيدة حائية في مدح المعتضد بن عباد ، مطلعها :

أَعَرْفُكِ رَاحَ في عُرْفِ الرِّيَــاحِ فَهَزَّ مِنَ الهَوَى عِطْفَ ارْتِيَاحِي؟[1]

وذِكْرُكِ ما تَعَرَّضَ أم عِــدَادٌ ؟ غَصِصْتُ عليهِ بِالعَذَبِ القَــــرَاحِ

وَهَلْ أَنَا مِنْكِ في نَشَواتِ شَوقٍ ـ هَفَتْ بِالعَقْلِ ـ أَوْ نَشَـوَاتِ رَاحِ ؟

معارضاً قصيدة للبحتري ، في مدح الفتح بن خاقان ومطلعها :

أَلَمْعُ بَرْقٍ سَرى أمْ ضَوْءُ مِصْبَاحِ أمِ ابْتِسَامَتُها بالمَنْظَرِ الضَّاحِـي؟[2]

يا بُؤْسَ نَفْسٍ عليها جِدِّ آسِـــــفَةٍ ، وَشَجْـــوَ قَلْــب إليها جِدِّ مُـــــرْتاحِ!

ويَرْجعُ اللَّيلُ مُبْيَضًّا إذا ابْتَسَمَتْ عن أبْيَضٍ خَضِلِ السِّمْطَيْنِ وَضَّاحِ

تقع قصيدة ابن زيدون في سبعة وأربعين بيتاً ، وهي على بحر الوافر ، مكسورة الروي ، أما قصيدة البحتري فهي واحد وعشرون بيتاً ، في مدح الفتح بن خاقان ، والقصيدة على بحر البسيط ، والقافية الحائية المكسورة ، وقد اتفقت القصيدتان في الغرض والقافية وحركة الروي ، واختلفتا في الوزن ، كما اتفقتا في المقدمة الاستهلالية ، وطريقة الانتقال إلى المديح ، وقد بدأ البحتري قصيدته بمقدمة غزلية يصف فيها محبوبته التي ينكرها ليس خوفاً من أحد ، فها هو يصرح قائلاً :

أُثْني عليكِ فإنّي لم أخفْ أحداً يلْحَى عليكِ ، وماذا يزْعُمُ اللَّاحي ؟

ولعل سبب تنكيرها تلهفه لذكر اسم ممدوحه ، وقد شبه بريق أسنانها بالبرق اللامع ، الذي يجعل الليل صباحاً ، وأن اهتزازها كاهتزاز الغصن اللين الطري ، وشبه خديها بالتفاح ، مازجاً غزله ـ كما نرى ـ بالطبيعة ووصف الخمر ، حانا إلى مواطن حبيبته بالشام ، ثم وصف سرعة

---

[1]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 428 ، العَرف : الريح طيبة أو خبيثة ، العُرف : موج البحر أو شعر عنق الفرس ، العطف : الجانب ، العداد : عياج الوجع بعد سنة أو من حين إلى حين أو مس من الجنون ، الماء القراح : الصافي الذي لا تشوبه شائبة ، النشوات : جمع نشوة وهي السكر ، هفا : ذهب أو مال .

[2]ـ ديوان البحتري ،1 / 442 ، الخضل : اللؤلؤ ، أو الدر الصافي .

راحلته التي تشبه دوران الترس ، وبعد أن أتم أحد عشر بيتاً انتقل إلى المديح ، بادئاً بذكر اسم ممدوحه " الفتح " ، يقول البحتري :

والعِيْسُ تَرْمِي بِأَيْدِيها على عَجَـــلِ في مَهْمَهٍ مثل ظهرِ التُّرْس رَحْراحِ

تُهْدِي إلى "الفَتح" والنُّعمَى بذاك لهُ مَدْحَا يُقَصِّرُ عنهُ كـلُّ مَـــدَّاحِ[1]

حيث يصف الفتح بن خاقان بأنه بدر يضيء الليل أو شمس تشرق بالصباح ، وأنه مهذب تشرق الدنيا لطلعته ، وأن غرته لامعة كبياض السيف الوضاح .

والناظر لمقدمة ابن زيدون في حائيته السابقة يجده قد ابتدأها بحوار مع حبيبته ، ونلاحظ أن الشاعر تراوده فكرة إخفاء الحب وعدم المجاهرة به إلاَّ أن حبه الذي أضنى جسمه فضحه ، وأفصح عن هذا الحب بألسنة فصاح ، فالشاعر ينكِّرها خيفة الواشين ، وفي ذلك يقول :

لُلْقِّيْنَا مِنَ الوَاشينَ حتَّى رَضِيْنا الرُّسْلَ أنْفَاسَ الرياحِ[2]

يقول كم قاسينا من ملاحقة الوشاة والرقباء فاكتفينا بأن نحمل أشواقنا وتحياتنا للرياح لعلها تبلِّغها للأحبة ، وبعد هذه المقدمة الغزلية التي بلغ عدد أبياتها الغزلية أحد عشر بيتاً ـ كما هو الشأن عند البحتري ـ يمزج فيها الغزل بوصف الطبيعة ووصف الخمر، ثم ينتقل إلى المديح بادئاً بذكر اسم ممدوحه ، قائلاً :

وكَيفَ أَلِجُّ لاَ يَثْنِي عنانـــي رَشادُ العزْمِ عَنْ غَيِّ الجِمَاحِ[3]

وَمِنْ سِرِّ ابْنِ "عبَّادٍ " دَلِيلٌ بهِ بَانَ الفَسَادُ مِنَ االصَّلاحِ

الأسلوب : من الأساليب التي كررها ابن زيدون في قصيدته أسلوب الاستفهام ، لا سيما سؤال المحبوبة ، والذي يبدو سمة بارزة في كثير من قصائده ، ومن أمثلته :

أَعَرْفُكِ رَاحَ في عُرْفِ الرِّيَـاحِ؟ / وذِكْرُكِ ما تَعَرَّضَ أم عِـدَادٌ ؟ وَهَلْ أَنَا مِنْكِ في نَشَواتِ شَوقٍ ؟ / كم اسقمت من قلب صحيح ؟ / متى أخفِ الغرام ؟ / فَهَلْ عَدَتِ العَفَافَ هُنَاكَ نَفْسِي ؟ / وكيف ألج ؟ ، والاستفهام هنا ليس لحيرته وعدم معرفته ، وإنما استفهام تعجبي ، ولعله

---

[1]ـ المصدر نفسه ، ص 443 ، المهمهُ : المفازة البعيدة ، الترس (من جلد الأرض) الغليظ منها . الترس المجن صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل في اليد يتلقى بها ضربة سيف . الرحراح : الواسع المنبسط .

[2]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 429 .

[3]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 430 ، ألجُّ : أديم الإلحاح ، يثني عناني : يردني ، الغي : الضلال ، الجماح أو الجموح : الاندفاع في عناد وإصرار دون ريث أو روية ، السر : الأصل أو اللب أو محض النسب .

تأثر فيه بالبحتري ، في قوله : أَلَمْعُ بَرْقٍ سَرى أمْ ضَوْءُ مِصْبَاحِ ؟ / أمِ ابْتِسَامَتُها بالمَنْظَرِ الضَّاحِـي؟/ وماذا يزْعُمُ اللَّاحي ؟

المبالغة في المدح : ظهرت في قصيدة ابن زيدون صيغ لوصف ممدوحه جاءت على وزن أفعل التفضيل منها : أغرُّ / أصمُّ الجود / أجود بالعطايا / أطعن بالمكايد / أفرس للمنابر / أبهى في البرود / أمنعهم حمى / أوسعهم ذرا / أبحر الجود / ، ومن مبالغاته أيضاً : هو الملك ، سميع النصر ، هو المبقي ملوك الأرض تدمى قلوبهم .

التأثر في الأبيات : تأثر ابن زيدون ببعض أبيات البحتري ، ومن ذلك ، قوله :

وَرُبَّ ظَلَامِ لَيْلٍ جَنَّ فَوْقِي فَنُبْتِ عَنِ الصَّبَاحِ إلى الصَّبَاحِ [1]

فقد نظر فيه الى قول البحتري:

تَكَشَّفَ اللَّيلُ مِن لَأْلاَءِ غُرَّتِهِ عن بَدْرِ دَاجِيَةٍ أو شمْسِ إِصْبَاحِ[2]

يقول ابن زيدون : لقد انتشر الظلام حتى تغطيت به ، ولكنَّ المحبوبة نابت عن الصباح ، حتى الصباح ، ويقول البحتري ، انكشف الليل من تلألؤ غرة الحبيبة ، و قول ابن زيدون :

فَحَسْبِي أنْتَ ـ مِنْ مُسْدٍ لِنُعْمَى ـ وَحَسْبُكَ بِي بِشُكْرٍ وامْتِدَاحِ [3]

قريب من قول البحتري:

تُهْدِي إلى "الفَتح" والنُّعمَى بذاك لهُ مَدْحًا يُقَصِّرُ عنهُ كلُّ مَدَّاحِ[4]

يقول ابن زيدون : يكفيني ما يصلني من نعمائك ، ويكفيك ما يأتيك من شكر ومدح ، ويقول البحتري : الفتح بن خاقان صاحب الفضل والنعمى ، فتهدى له المدائح يقصر عنها كل مداح ، فالمعنى واحد ، والألفاظ مشتركة . وقول ابن زيدون:

فَدَيْتُكَ كَمْ لِعَينِي مِنْ سُمُوٍّ ـ لَدَيْكَ ـ وكَمْ لِنَفْسِي مِنْ طِمَاحِ [5]

قريب من قول البحتري :

---

[1] المصدر نفسه ، 430 .
[2] ـ ديوان البحتري ، 1 / 443 .
[3] ـ ديوان ابن زيدون ، ص 438
[4] ـ ديوان البحتري ، 1 / 443 .
[5] ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 435 .

يَسْمُو بِكَفٍّ على العَافِينَ حَانِيَةٍ تَهْمِي ، وَطَرْفٍ إلى العَلْيَاءِ طِمَّاحِ [1]

يتطلع ابن زيدون إلى ما عند الأمير من مجد ورفعة ، ويقول البحتري : إن الأمير يجود على أصحاب الحاجات ، في حنوٍ و رقةٍ ، مع أنه يتطلع ببصره إلى المجد والعلا . ويشترك البيتان ، في لفظة (يسمو ، طماح ، وعيني في بيت ابن زيدون ، وطرف في بيت البحتري) .

كما أشار ابن زيدون في قصيدته هذه لبعض أبيات للبحتري في مدحه لأبي مسلم الكجي البصري ، والتي يقول في مطلعها :

هَيِّنٌ مَا يقــولُ فيـــــك اللاَّحِي بَعْدَ إطفــاءِ غُلَّتِي والْتِيَاحِــي[2]

فقول ابن زيدون :

فَلَو أَنَّ الثِّيَابَ نُزِعَنْ عَنِّي خَفِيْتُ خَفَاءَ خَصْرِكِ في الوِشَاحِ [3]

قريب من قول البحتري :

هَزَّ مِنْها شَرْخُ الشَّبابِ فجالتْ فوق خَصْرٍ كثيرِ جَوْلِ الوِشَاحِ[4]

يقول ابن زيدون : لقد انحلني الحب وأضناني ، فلو خلعت ثيابي لخفي جسمي الذابل ، كما يخفى خصرك النحيل تحت الوشاح . أما البحتري فيصف خصر المرأة النحيلة ، التي كشف خصرها الوشاح . وقول ابن زيدون :

فَهَلْ عَدَتِ العَفَافَ هُنَاكَ نَفْسِي ـ فَدَيْتُكِ ـ أوْ جَنَحْتُ إلى الجُنَاحِ [5]

لعله نظر فيه إلى قول البحتري :

هل إلى ذِي تَجَنُّبٍ مِنْ سَبيلِ ؟ أمْ على ذِي صَبَابَةٍ من جُنَاحِ[6]

يقول ابن زيدون كم خلوت بك ، وأنا مشتاق لك ، ولكني لم أتخلى عن العفاف ولم يصدر مني سوء وإثم ، ويقول البحتري : كيف أصل من يقاطعني ؟ . وقد اتفق البيتان في الابتداء بـ (هل) والقافية (جناحِ) . و قول ابن زيدون :

---

[1]- ديوان البحتري ، 1 / 444 .
[2]- المصدر السابق ، 457 .
[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 429 .
[4]- ديوان البحتري ، 1 / 457 .
[5]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص430 ، جنح : مال ، الجُناح : الإثم .
[6]- ديوان البحتري ، 1 / 457 .

وَهَلْ أخْشَى وقُوعاً دُونَ حَظِّ إذا مَا أَثَّ رِيْشُك في جَنَاحِي [1]

فقول ابن زيدون " أَثَّ رِيْشُك في جَنَاحِي " من قول البحتري :

وكلا جَانِبَيكَ سَبْطُ الخَوَافي حين تَسْمُو أثِيثُ رِيشِ الجَنَاحِ[2]

ولابن زيدون قصيدة حائية أخرى في مدح أبي الحزم بن جهور ؛ مستشفعاً به ، مطلعها :

أَمَا وألْحَاظٍ مِراضٍ صِحَاحْ تُصْبِي وأعْطَافٍ نَشَاوَى صَوَاحْ [3]

لِبَائِنٍ بِالحُسْنِ ، في خَـــدِّهِ وَرْدٌ ، وَأَثْنَـــاءَ ثَنَـــايَـــاهُ راحْ

لَـــمْ أنْسَ إذْ بَاتَتْ يَدِي لَيْلَةً وِشَاحهُ اللَّاصِقَ دُونَ الوِشَـــاحْ

و قد تأثر في بعض معانيها بقصيدتين للبحتري في مدح أبي نوح عيسى بن إبراهيم ، ومطلعها :

باتَ نَدِيماً لِيَ حتى الصَّباحْ أغْيدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الوِشَـــاحْ[4]

هيكل القصيدتين : تقع قصيدة ابن زيدون في واحد وعشرين بيتاً ، وهي على بحر السريع وقافية الحاء الساكنة ، وتقع قصيدة البحتري في ثمانية عشر بيتاً ، وهي على بحر السريع ، وقافية الحاء الساكنة ، وغرضهما المديح ، وتعد معارضة ابن زيدون لهذه القصيدة من المعارضات التامة ؛ لاتفاقهما في (الغرض ، والوزن ، والقافية ، وحركة الروي) ، وقد بدأ ابن زيدون قصيدته متغزلاً فيها بغلام ، وربما القصيدة الوحيدة التي بدأها بهذا النوع من الغزل ، وقد مزج غزله بوصف الراح ، ولا شك في أنه متأثر بهذه المقدمة الغزلية بقصيدة البحتري التي بدأها بالتغزل بساقي الخمر ، ثم ينتقل كل منهما من هذه المقدمة إلى غرضه الأصلي وهو المدح ، بادئاً كل منهما بذكر ممدوحه ، يقول : ابن زيدون : (لأصْفِينَّ المُصْطفَى ، جَهْوراً) ، ويقول البحتري : (قُلْ لأبي نوحٍ ، شقيق النَّدى) .

الأنا في القصيدتين : ظهرت الأنا في القصيدتين ففي قصيدة البحتري ، نجد أفعال المضارع : أمزجُ ، أفدِّيه ، أعوذُ ، والماضي مثل : أغضيتُ ، أرعوى ، أخرجتني ، ومن الأسماء : لبي ، ومن الحروف : عنِّي ، ليَّ ، إنّي . وفي قصيدة ابن زيدون نجد بعض أفعال المضارع مثل :

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 437 ، أث النبات : كثر والتف ، الريش : ما يكسو جسم الطائر .
[2]- ديوان البحتري ، 1 /459 .
[3] - ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص247 ، بائن : فائق في الفضل والمزية ، الجُناح الإثم .
[4]- ديوان البحتري ، 1 / 435 .

أجنِحُ ، أصفينَّ ، أسعِمُ ، أقتدحُ ، أكن ، يسَّرْتُ ، يثنني ، وأفعال الأمر مثل : انظر ، اختبر ، اهتبل ، فاشحذ ، اشفع ، وهي أفعال يخاطب بها الشاعر ممدوحه .

التأثر في الأبيات : من الأبيات التي تأثر فيها ابن زيدون بأستاذه البحتري ، قوله :

لَمْ أنْسَ إذْ بَاتَتْ يَدِي لَيْلَةً وشَاحهُ اللَّاصِقَ دُونَ الوِشَاحْ [1]

فهو بين الصلة بقول البحتري :

باتَ لِيَ نَدِيماً حتى الصَّباحْ أغْيدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الوِشَاحْ[2]

يقول ابن زيدون : لم أنس عندما باتت يدي وشاحاً له في إحدى الليالي . ويقول البحتري بات معي ساقي الخمر وهو فتى أغيد نحيل الخصر ، فالبحتري ، يقول : بأنه بات حتى الصباح ، وابن زيدون يقول : بات ليلة ، واتفق الشاعران في الوصف بالنحول ، فقد وصف البحتري ذلك الفتي بأنه مجدول مكان الوشاح ، وجعل ابن زيدون يده وشاحاً له . وقول ابن زيدون :

أمَا وألْحَاظٍ مِراضٍ صِحَاحْ تُصْبِي ، وأعْطَافٍ نَشَاوَى صَوَاحْ[3]

كقول البحتري :

تَحْسِبُهُ نشْوَانَ إمَّا رَنَا لِلْفَتْرِ من أَجْفَانِهِ وهو صَاحْ[4]

{ وقول البحتري من قصيدة أخرى في مدح أبي مسلم الكجي البصري :

وأَشارت إلى الغِنَاءِ بأَلْحَا ظٍ مِرَاضٍ من التَّصَابِي صِحَاحِ [5] }

يقول ابن زيدون : نظرات ذابلة ، وأجسام لينة تبدو نشوى في سيرها ، وهي صاحية ـ من الخمر ـ توقع في الحب ، وهو من قول البحتري : الذي جعل الفتي مفتر الألحاظ من الخمر ، فتحسبه نشواناً وهو صاحٍ . أما بيت البحتري الثاني : فيصف فيه ألحاظ المرأة الذابلة النشوى ، ولكنها صاحية . وقول ابن زيدون :

لِبَائِنٍ بِالحُسْنِ ، في خَـــدِّهِ وَرْدٌ ، وَأَثْنَـــاءَ ثَنَـــايَـــاهُ راحْ

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 247 .
[2]- ديوان البحتري ، 1 / 435 .
[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 247 .
[4]- ديوان البحتري ، 1 / 435 .
[5]- ديوان البحتري ، 1 / 458 .

كقول البحتري :

سِحْرُ العُيونِ النُّجْل مسْتَهْلِكٌ لبّي وتوريدُ الخُدُودِ المِلاحْ

يصف كلا الشاعرين ذلك الفتى ، بأنه بائن الحسن ، نجل العيون ، مورد الخدود ملاح ، بين ثناياه راحٍ . فاتفق ابن زيدون مع البحتري في التغزل بالمرأة ، وبالمذكر على حدٍ سواء .

ثالثاً ، معارضة ابن زيدون لقصائد المتنبي .

كما عارض ابن زيدون بعض قصائد المتنبي فمن ذلك قصيدته البائية في مدح وعتاب الوزير أبي الوليد بن جهور ، وهي قصيدة طويلة تتكون من ثلاثة وتسعين بيتاً ، مطلعها :

أَمَا عَلِمَتْ أنَّ الشَّفِيعَ شَبَابُ ؟ فَيَقْصُرَ عَنْ لَوْنِ المُحِبِّ عِتَابُ[1]

عَلَامَ الصِّبَا غَضٌّ يَرِفُّ رُوَاؤُهُ إِذَا عَنَّ مِنْ وَصْلِ الحِسَانِ ذَهَابُ؟

وَ فِيْمَ الهَوَى مَحْضٌ يَشِفُّ صَفَاؤُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَنْهُنَّ عَنْهُ ثـــوَابُ؟

القارئ للقصيدة ، والمتابع لأبياتها ومعانيها وأسلوبها يعرف أن ابن زيدون يعارض بها قصيدة المتنبي ، في مدح كافور الإخشيدي ، ومطلعها :

مُنىً كُنَّ لِي أنَّ البَياضَ خِضَابُ فَيَخْفَى بِتَبْيِيضِ القُرُونِ شَبَابُ[2]

لَيَالِي عِنْدَ البِيضِ فَوْدَايَ فِتْنـــةٌ وَفَخْرٌ وَذَاكَ الفَخْرُ عِنْدِي عابُ

فكيفَ أُذَمُّ اليَوْمَ ما كُنْتُ أشْتَـهِي وأدْعُو بِما أشْكُوهُ حِيْنَ أُجَابُ

هيكل المعارضة : تقع قصيدة ابن زيدون في نحو اثنين وتسعين بيتاً ، وهي على بحر الطويل ، وقافيتها الباء المضمومة ، وهي في غرض المديح ، وقد اتفقت مع قصيدة المتنبي ـ التي بلغ عدد أبياتها ثلاثة وأربعين بيتاً ـ في الغرض والقافية وحركة الروي ، والبحر ، ومن هنا نعدها من المعارضات التامة ، حيث بدأ المتنبي قصيدته بمقدمة في الشيب ، الذي تمناه في صغره ؛ لأنه يرى في بياض رأسه وهو في شبابه اتصافه بالحكمة والوقار اللذين لا يأتيان إلاَّ مع تقدم العمر ، وبلوغ الرشد ، فالشاعر يترفع عن سواد شعره أيام شبابه ، والتي كانت النساء يعجبهن سواد الشعر ويفتنهن، والشاعر لم يكن يعجبه هذا الافتتان ، بل يعدُّ ه عيبًا ، ثم يحدث نفسه متسائلاً ،

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص366 ، غض : ناعم ، يرف : يهتز ويلمع ، الرواء : المنظر الجميل ، عنَّ : عرض .
[2]- ديوان المتنبي 1 / 188 ، 189 ، المنى : جمع منية . القرون : الذوائب . الفوادن : جانبا الرأس يميناً وشمالاً .

كيف أذم الشيب في هذه السن المتقدمة ، وكنت أتمناه وقت شبابي ، وأن النفس الثابتة المقيمة فيه لا تشيب بمشيبه ، فيقول ، في البيت الخامس :

وفي الجِسمِ نفسٌ لا تَشيبُ بشيبهِ ولو أنَّ ما في الوجْهِ مِنْهُ حِرَابُ

ثم ينتقل إلى مدح نفسه والفخر بها ، فيقول :

وإنّي لنجمٌ تهتدي بي صُحْبتي إذا حالَ مِن دونِ النُّجومِ سَحابُ[1]

فالشاعر كالنجم لهداية رفاقه حين غمَّ عليهم النجم بالسحاب ، و إنه غير مرتبط ببلد معين فهو مشهور في كل بلد ، و مستغنٍ عن الإبل التي تحمله في سفره لأنه كالعقاب يعبر الفيافي دون تعب أو مشقة ، و لا يحتاج للماء ؛ لتحمله وصبره ، وأن الشمس لا تؤثر فيه ، كما أنه كتوم للسر ، و لا يعبأ بالنساء ، فهوايته الحرب ومقارعة الأعداء ، وبعد هذه المقدمة التي قالها في الشيب والفخر بنفسه ، انتقل إلى غرضه الأصلي ، وهو المديح ، بادئاً باسم ممدوحه الذي يصفه بالبحر الكثير الماء ، عالي الأمواج يفوق كل البحور قائلاً :

وَبَحْرٌ أبُو المِسْكِ الخِضَمُّ الَّذي لَهُ عَلى كلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وَعُبابُ[2]

وبعد هذا التخلص الرائع ، يكمل قصيدته مبالغاً في وصف ممدوحه . وإذا كان المتنبي قد استحسن الشيب وارتضاه في مقدمته ، فإن ابن زيدون استهل قصيدته مستشفعاً إلى محبوبته الحسناء بالشباب وفتنته ، محاولاً إغراءها به ؛ كي تستجيب لرغائبه إذ لا مبرر للعتاب والنفور ، فهو يؤكد أنه لا قيمة للشباب الغض الرائع إذا لم ينعم المرء في أثنائه بوصال الحسان ، ويتخذ ابن زيدون من الغزل المشرقي نهجاً له ، فهو يتغزل بمرأة بدوية ، عقيلة خدر دونها مهالك وصعاب ، و أهلها غيارى عليها حتى من الطيف والخيال ، وإنه لا يستنشق عطرها ما لم يخالطه غبار الخيول ، وصليل السيوف واشتداد المعارك ، وبعد هذه المقدمة الغزلية التي بلغت سبعة وعشرين بيتاً في الغزل والشكوى من الشيب ، انتقل إلى ممدوحه ذاكراً اسمه على عادة شعراء المشرق ، قائلاً :

كأنَّ إياه الشمس بِشْرُ بنُ جَهْورٍ ، إذا بذلَ الأموالَ ، وهي رغاب

وبعد هذا التخلص الرائع يبالغ الشاعر في وصف ممدوحه ، ثم يختم قصيدته بمدح شعره .

---

[1] ـ المصدر نفسه ، ص 191 .

[2]- ديوان المتنبي 1 / 394 ، الخضم : الكثير الماء . الزخر : تراكب الماء . عباب البحر : شدته وقوته ، وقيل :تراكم أمواجه .

البناء الأسلوبي : من الأساليب التي التزمها ابن زيدون في معارضته والتي تعد ظاهرة من الظواهر الأسلوبية ، في بعض مقدماته الغزلية ، سؤال المحبوبة ، وهو تساؤل الغرض منه التعجب ، وليس استفهام للحيرة وعدم المعرفة ، وإذا تأملنا هذا الاستفهام ، نجد أن الشاعر لم يخاطب به محبوبته مباشرة مما يدل على أن القصيدة قيلت بعد فراق المحبوبة له ، يبين ذلك الفعل (علمتْ) ، وكذلك قوله : (وماذا عليها) ، ومن صيغ الاستفهام قوله : أَمَا عَلِمَتْ أنَّ الشَّفِيعَ شَبَابُ ؟ / عَلَامَ الصِّبَا غَضٌّ يَرِفّ رُوَاؤُهُ ؟ / وَ فِيْمَ الهَوَى مَحْضٌ يَشِفّ صَفَاؤُهُ ؟ / وَمَاذا عَلَيْهَا أنْ يُسَنِّيَ وَصْلَهَا ؟ / ألم تدرِ أنّا لا نراح لريبة ؟ .

استخدام التشبيهات المعتمدة على الأداة (كأن) ومن ذلك :

كأنَّ الثّريّا رايةٌ مُشْرِعٌ لها جبانٌ ، يُريدُ الطعن ، ثم يهابُ

كأنَّ سُهيلاً ، في رباوَةِ أُفْقِهِ ، مُسيمُ نُجُومٍ ، حانَ منه إيَابُ

كأنَّ السُّها فانِي الحُشاشةِ ، شفَّهُ ضَنىً ، فَخُفَاتٌ مَرّةً ومثابُ

كأنَّ الصباحَ استقبس الشَّمسَ نارَها فجاءَ له ، من مُشْتريه ، شِهابُ

كأنَّ إياه الشمس بِشْرُ بنُ جَهْورٍ ، إذا بذلَ الأموالَ ، وهي رغاب

وقد جاءت بعد هذه الأداة **صور** جميلة ، ومعان رائعة ، فالثريا كأنها راية يهم بها الجبان لطعنها ثم يهاب ويتراجع ، وهذا سهيل يرعى النجوم ثم يعود بها من المرعى بعد أن شبعت ، وهذا السها تفنى روحه فيخفت مرة ، ويثوب مرة أخرى ، وما أجمل الصباح الذي يستقبس الشمس ، ويلتمس منها الدفء والحرارة ، ثم يقول كأن وجه ممدوحه مشرق كالشمس عندما يبذل الأموال .

الجناس في قصيدة المتنبي : بياض ، تبييض / فخر ، الفخر / اللون ، لون / تشيبُ ، بشيبهِ / ظفر ، ظفر / ناب ، ناب/ نجم ، النجوم / بحر، بحر / غالبه ، غالبت / حق ، حقه / إعتاب ، عتاب / بقربي ، قراب / الحجب ، حجاب / ذئاب ، ذباب / مديح ، مدحك / التراب ، تراب . أما ابن زيدون فقد بالغ وأسرف من الجناس ، وأن أغلب جناسه جاء مردداً أي بين القافية وكلمة أخرى في صدر البيت أوحشوه أو ما قبل القافية ، وهو أسلوب يحدث نغماً موسيقياً تستحسنه الأسماع ، والأذواق ، ومن أمثلته : الجناب ، جناب / الركب ، الركاب / عروب ، عراب / الرباب ، رباب / قب ، قباب / حباب ، حباب / يعذبها ، عذاب / غره ، غراب / حسب ، حساب /

يحبو ، يحابوا / أربت ، رباب / الحجاب ، حجاب / رهبت ، رهاب / المذنبين ، ذناب / غلبتهم ، غلاب / الثواب ، مثاب / ينوب ، مناب .

الأنا : ظهرت الأنا بكثرة في القصيدتين من خلال شخصية ناظمها فأشاد كل منهما بذاته ، وقد جاءت الأنا في قصيدة المتنبي ـ والذي عرف باعتداده بنفسه ، ولا سيما في قصائده في مدح كافور لأن الشاعر يستعظم نفسه أمام هذا الممدوح ، ومن صور الأنا : الفعل المضارع للمتكلم ، أُذمُّ ، أشتهي ، أشكو ، أجاب ، أبلغُ ، أصدي ، أبدي ، أرى ، أسكتُ ، نصرفه ، تاء الفاعل : أملتُ ، شئتُ ، نلتُ ، ظفرتُ ، غرَّبْتُ ، كنتُ ، كما ظهرت الأنا من خلال الأسماء التي اتصلت بها ياء النسب مثل : صحبتي ، بناني ، قربي ، نافعي ، سلامي ، فؤادي ، سكوتي ، وكذلك من خلال بعض الحروف والظروف وضمائر المتكلم ، مثل : ليَّ ، منِّي ، إنّي ، إليَّ ، لنا ، بيننا .

وقد تأثر ابن زيدون بهذا الأسلوب فبرزت الأنا عنده واضحة ، ومن أمثلتها في أفعال المضارع : نراحُ ، ننشقُ ، نمتري ، سأبكي ، أشكو ، وتاء الفاعل : وردت خلتُ ، أبرحتُ ، وكذلك الأفعال التي اتصلت بها (ناء الفاعلين) والتي تفيد التفخيم والتعظيم مثل : قضنا ، يغننا ، يثننا ، وافتنا ، ومن تلك الألفاظ : أنَّا ، أنا ، بنا ، نجَّدني ، مني ، بي ، لي .

ألفاظ القران ، تكررت في قصيدة ابن زيدون بعض الألفاظ القرآنية كقوله : حسن الثواب ، خروا ركعاً وأنابوا ، حسن مآب ، سلطان مبين ، عزَّ خطاب ، إخلاص ، إخبات ، تبتل ، متاب ، سيخلد في الدنيا ، دار الخلود مآب ، فأنت الشراب العذب وهو سراب ، الجنب ، تتجافى .

الاستعطاف : يقول حسن جاد حسن في حديثه عن هذه القصيدة : " وخير ما في هذه الأمداح الجهورية هو الاستعطاف الذي انبثَّ في معظم قصائد ابن زيدون التي مدح بها ابن جهور ، فكل اعتذاراته و استعطافاته تمتزج بهذا المدح "[1] ، لأن هذا الاستعطاف يعينه على ما يريد ويشفع له عند مليكه ، ولعل هذا الاستعطاف يدور في الواقع " حول مدح ابن زيدون لنفسه والاعتداد بها ، والتحدث عن مواهبها النادرة التي كانت سببا في حسد الحاسدين ، وكيد الوشاة ، أو مدح ابن جهور ليظفر بعفوه وعتباه "[2] ، وبعد أن ينتقل الشاعر إلى المدح في قوله :

كأنَّ إياه الشمس بِشْرُ بنُ جَهْورٍ ، إذا بذلَ الأموالَ ، وهي رغابُ

تتوالى المبالغات حتى نهاية القصيدة ، فإذا نظرنا إلى أول لفظة في كل بيت نجدها : " هو البشر ، جواد متى استعجلت أولى هباته ، غني عن الإبساس درُّ نوالهِ ، إذا حسب النيل الزهيد

[1] ـ ص 157 .
[2] ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها .

مُنيلهُ ، عطايا يصيب الحاسدون بحمده ، موطأُ أكناف السماح ، زعيم المساعي ، مهيب يغض الطرف ، لأبلج موفور الجلال ، أذا هو أمضى العزم ، عزايم ينصاع العدا عن قراعه ، صوائب ريش النصر ، حليم تلافى الجاهلين أناته ، إذا عثر الجاني عفا عفو حافظ ، بكم باهت الأرض ...." ، وبالإضافة إلى هذه المبالغات ، يبرز لديه أسلوب الخطاب لاستعطاف الممدوح فأكثر من استخدام كاف الخطاب ، وتاء الخطاب ، كقوله من الأسماء : " حاسديك ، محياك ، يمناك ، فلهوك ، نعزيك ، بشراك ، فحاشاك ، لعهدك ، أوليائك ، وفي الأفعال : جاراك ، رأيتك ، فديتك ، فغلبتهم ، فتحتَ ، مددت ، لازلت ، جاورت ، وفي الحروف والظروف مثل : فإنك ، وإنك ، منك ، لك ، لديك ، أنت ، فأنت ، وأفعال الأمر : فأبل ، أخلف ، فثق ، لا تعدل ، فعد .

مدح الشعر والفخر به : اتبع ابن زيدون نهج الشعراء العباسيين في مدح القصائد عندما يستوفون ثناءهم لممدوحيهم ، وفي هذه القصيدة تميز ابن زيدون عن المتنبي في الفخر بعلمه الإشادة بشعره فيقول :

فثِقْ بِهزَبرِ الشِّعرِ واصْفحْ عن الورى ، فإنَّـهم ، إلاَّ الأقـــلَّ ، ذُبـــابُ

وَ لاَ تعـــدِلِ المُثْنينِ بي ، فأنا الـذي إذا حضـرَ العُقْمُ الشوارِدُ غابــوا

ينوبُ عن المدَّاحِ منِّـــي واحـــدٌ ، جميعُ الخِصالِ ، ليسَ عنه مَنابُ

وَرَدْتُ مَعِينَ الطِّبعِ ، إذ ذِيدَ دونـــهُ أُناسٌ ، لهم في حَجْــرتَيْهِ لُــوابُ

وَأَنْجَـــدَنِي عِلْمٌ تَوَالَـــتْ فُنُونُـــهُ كَمَا يَتَوَالَى في النِّظَامِ سِخَـــابُ

فقول ابن زيدون : ثق بأسد الشعر وأعرض عن الناس ، فإنهم إلاَّ القليل ذباب ، فلا تعدي بي من هم دوني مرتبة ، فأنا الذي إذا حضرت في ساحة الشعر غابوا ، لأني صاحب علم تتابعت فنونه وأنواعه ، كما يتتابع الدرُّ في العقد .

التأثر بين أبيات القصيدتين : تأثر ابن زيدون ببعض أبيات المتنبي في هذه القصيدة ، فقوله :

فَقَدْ تَتَغَشَّى صَفْحَةَ المَاءِ كُدْرةٌ وَيَغْطُو عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ ضَبَابُ [1]

من قول المتنبي :

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 383 .

جلَا اللَّوْنُ عَنْ لوْنٍ هَدى كلَّ مَسلكٍ كما انْجابَ عَنْ لوْنِ النَّهَارِ ضَبَابُ[1]

الفكرة مشتركة بين البيتين ـ وإن اختلف المعنى ـ يقول ابن زيدون: قد يغطي صفحة الماء كدرٌ يُخفي الصفاء ، ويغطي الضباب ضوء القمر ، فالشاعر عكس معنى المتنبي الذي يقول فيه : إن بياض الشيب كامن في السواد ، فلما زال السواد وانكشف ، فاهتدى صاحبه طريق الرشد ، كالنهار إذا جلا عنه الضباب اهتدى السالك في الضياء . فالضباب عند المتنبي انجاب ليصفو النهار ، بينما عند ابن زيدون غطى الضوء وحجبه .

ومن أبيات القصيدة ، التي أخذها ابن زيدون ، قول المتنبي :

أعَزُّ مَكانٍ في الدُّنَى سَرْجُ سابحٍ وخَيْرُ جَلِيْسٍ في الزَّمَانِ كِتَابُ[2]

يقول المتنبي : أفضل مكان عنده هو ظهر الجواد السريع ، وأفضل صديق عنده هو الكتاب الذي يغنيه عن الصحب ، وقد أخذ ابن زيدون هذا المعنى فقال :

إذَا مَعْشَرٌ أَلْهَاهُمُ جُلَسَاؤُهمْ فَلَهْوُكَ ذِكْرٌ ، والجَلِيسُ كِتَابُ[3]

يقول ابن زيدون : إن قلب ممدوحه (محمد بن جهور) ممتلئ بحب الله تعالى ، ولا يجتني اللذة إلاّ بذكره ، ولا تحلو له جلسة إلاّ بين رحاب الكتب ، ووسط منتديات العلم ، في حين أن غيره من الملوك يقبلون مع رفاقهم على مجالس اللهو والشراب . وقول ابن زيدون :

جَوَادٌ مَتَى اسْتَعْجَلْتَ أوْلَى هِبَاتِهِ كَفاكَ مِنَ البَحْرِ الخِضَمِّ عُبَابُ[4]

من قول المتنبي :

وَبَحْرٌ أبُو المِسْكِ الخِضَمُّ الَّذي لَهُ عَلى كلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وَعُبابُ[5]

يقول ابن زيدون : متى استعجلت أولى عطاياه وهباته ، اكتفيت من ذلك البحر الكبير المعطاء ، ويقول المتنبي : إن بحر كافور ، يربو كل البحور جوداً ، وكرماً وعطاءً . واتفق البيتان : في ثلاثة ألفاظ ، وهي (بحر ، الخضم ، عباب) . وقول ابن زيدون :

---

[1]- المصدر نفسه ص190 ، انجاب : انكشف . .
[2]- ديوان المتنبي 1 / 193 ، الدنى : جمع دنيا . السابح من الخيل : الشديد الجري .
[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 379 .
[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 373 .
[5]- ديوان المتنبي 1 / 394 ، الخضم : الكثير الماء . الزخر : تراكب الماء . عباب البحر : شدته وقوته ، وقيل :تراكم أمواجه .

فَقَرَّتْ بِها مِنْ أولِيَائِكَ أعْيُنٌ وذَلَّتْ لَها مِنْ حَاسِدِيكَ رِقَابُ[1]

من قول المتنبي :

وغالَبَهُ الأَعْدَاءُ ثُمَّ عَنَوا لَهُ كما غالَبَتْ بِيْضَ السُّيُوفِ رِقَابُ[2]

وقوله ، من قصيدة أخرى ، وهي في مدح سيف الدولة :

إذَا مَا سِرْتَ في آثارِ قَوْمٍ تَخَاذَلَتْ الجَماجِمُ والرِّقَابُ[3]

يقول ابن زيدون : امتيازك على منافسيك وسبقك لمناضليك أقر عيون أصدقائك ، وأخزى قلوب أعدائك وأذل منهم الرقاب . ويقول المتنبي : حاول أعداؤه أن يغلبوه لكنهم عجزوا عن ذلك ، فخضعوا وانقادوا له كما غالبت الرقاب السيوف .

ويقول في البيت الثاني : إنك إذا تتبعت أثر أعدائك ، فإنّ رؤوسهم ورقابهم تتخاذل فيهم وتتفرق ، فتكون الجماجم في جهة والرقاب في جهة أخرى .

وقول ابن زيدون :

وَمَاذا عَلَيْهَا أنْ يُسَنِّيَ وَصْلَهَا طِعَانٌ فإنْ لمْ يُغْنِنِا فَضِرَابُ[4]

من قول المتنبي :

وأوْسَعُ ما تَلْقَاهُ صَدْراً وَخَلْفهُ رِماءٌ وطَعْنٌ والأَمامَ ضِرَابُ[5]

يقول ابن زيدون في مقدمته الغزلية : تلك المرأة دونها ، طعان ، وضراب . ويقول المتنبي : أوسع ما يكون صدراً ، إذا اشتدت المعارك مع العدو ، فيكون خلفه الرماء ، والطعن ، وأمامه الضراب . وقول ابن زيدون :

مَهِيبٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ مِنْهُ لآذِنٍ مَهَابَتُهُ دُونَ الحِجَابِ حِجَابُ[6]

من قول المتنبي :

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 378 .
[2]- ديوان المتنبي 1 / 194 .
[3]- المصدر نفسه ، 78 ، التخاذل التأخر إذا تأخرت الجمجمة والرقبة تأخر الإنسان ، أي لما سرت وراءهم كأن رءوسهم تأخرت لإدراكك إياهم وإن كانت في الحقيقة قد أسرعت .
[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 369 .
[5]- ديوان المتنبي 1 / 195 .
[6]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 375 .

وهلْ نافِعي أنْ تُرْفعَ الحُجْبُ بيْنَنَا ودُونَ الَّذي أمّلْتُ مِنْكَ حِجَابُ[1]

حيث يجعل ابن زيدون لممدوحه هيبةً و وقاراً يحملانه على أن يغض طرفه لمن يجالسه حتى لا يحرجه ، كما أن مهابته تجعله في غنى عن الحراس والحجاب ، بينما يقول المتنبي : لا ينفعني وصولي إليك غير ممتنع من الحجابة ، والذي أؤمله منك محجوب عني ، وهذا كله يقتضيه بالعطاء . ولم يقتصر ابن زيدون على معارضته لقصيدة المتنبي السابقة ، بل نرى أنه تأثر في بعض أبياتها بأبيات قصيدة أخري للمتنبي ، وهي في مدح سيف الدولة ، ومطلعها :

بِغَيْرِكَ رَاعِيًا عَبِثَ الذِّئَابُ وَغَيْرَكَ صَارِماً ثَلَمَ الضِّرَابُ[2]

فمن ذلك قوله :

حَلِيْـمٌ تَلَافَى الجَاهِلِينَ أَنَاتُـــــهُ إذِ الحِلْمِ عَنْ بَعْضِ الذنُوبِ عِقَابُ[3]

إذَا عَثَرَ الجَانِي عَفَا عَفْوَ حَافِظٍ بِنُعْمَى لَها في المُـذْنِبِيْنَ ذِنَــابُ

فمعنى البيتين من قول المتنبي :

تَرَفَّقْ أيُّهَا المَولَى عَلَيْهِمْ فإنَّ الرِّفْقَ بالجانِي عِتَابُ[4]

يقول ابن زيدون : إذا أخطأ المذنب يعفو عنه ، فيكون ذلك عقاباً له ، ويقول المتنبي : ترفق عليهم أيها الأمير ، فإن ذلك الرفق يكون عتاباً ، وتوبيخاً لهم .

وقول ابن زيدون :

وَحاشَاكَ مِنْ أنْ تُسْتَذَمَّ مَرِيْرَةٌ لِعَهْدِكَ ، أوْ يَخْفَى عَلَيْكَ صَوَابُ[5]

فقوله : " يَخْفَى عَلَيْكَ صَوَابُ " تضمين لقول المتنبي :

ومَا جَهِلَتْ أيادِيكَ البَوادِي وَلَكِنْ رُبَّمَا خَفِيَ الصَّوَابُ[6]

وقول ابن زيدون :

---

[1]- ديوان المتنبي 1 / 198 .
[2]- ديوان المتنبي ، 1 / 75 .
[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 376 ، الذناب : جمع ذَنُوب وهو الحظ والنصيب .
[4]- ديوان المتنبي ، 1 / 79 .
[5]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 386 ، المريرة : الحبل الشديد الفتل أو عزة النفس أو العزيمة .
[6]- ديوان المتنبي ، 1 / 81 .

زَعِيمُ المَسَاعِي أنْ تَلِيْنَ شَدَائِدٌ يُمَارِسُهَا أوْ أنْ تَلِيْنَ صِعَابُ[1]

من قول المتنبي :

وتَحْتَ لِوَائِهِ ضَرَبُوا الأَعَادِي وَذَلَّ لَهُمْ مِنْ العَرَب الصِّعاَبُ[2]

يقول ابن زيدون : الأمير كفيل بأن يواجه الشدائد والصعاب ، فتلين له الصعاب ، ويقول المتنبي : بانتسابهم إلى هذا الأمير وخدمته ، تمكنوا من أعدائهم ، فانقادوا لهم .

ولابن زيدون قصيدة في مدح المعتضد وابنه اسماعيل ، مطلعها :

ليهْنِ الهُدَى إنْجاحُ سَعْيِكَ في العِدَا وأنْ راح صُنْعُ الله نَحْـــوَكَ واغتدى[3]

ونهْجُك سُبْلَ الرُّشْدِ في قمعِ مَنْ غوى وعدلُكَ في اسْتِئْصالِ مَنْ جارَ واعتدى

وأنْ باتَ مَنْ والاك في نشْوةِ الغِنَى وأصْبح مَنْ عاداك في غمْرةِ الرَّدى

والقصيدة قيلت عندما نشبت حربُ بين المعتضد بن عبّاد والمظفر بن الأفطس ، وانتهت بانتصار المعتضد سنة 442 هـ ، وكان إسماعيل بن المعتضد وولي عهده قائدَ جيوشه ؛ فسجّل الشاعر هذا النصر العظيم ، والمتتبع للقصيدة يرى أنه يعارض بها قصيدة للمتنبي في مدح سيف الدولة وتهنئته بعيد الأضحى ، ومطلعها :

لِكُلِّ امْرئٍ من دهرِهِ ما تَعَـــوَّدا وعَاداتُ سيفِ الدَّولةِ الطَّعْنُ في العِدا[4]

وأنْ يُكْذِبَ الإرْجافَ عنهُ بضِدِّهِ ويُمْسِي بِما تَنْـــوِي أعادِيــهِ أسْعَـــدَا

هيكل القصيدتين : تقع معارضة ابن زيدون في سبعة وأربعين بيتاً بدأها بالتهنئة والثناء ، دون أن يمهّد لها بذكر الأحبة أو وصف الطبيعة كما اعتاد ذلك وقد مضى في المديح إلى آخر القصيدة ، وهذا شأن أغلب الشعراء في المدائح التي تسجل الحوادث التاريخية ، كالفتح ، أو هزيمة جيشٍ ، أو غير ذلك ، حيث استهل ابن زيدون قصيدته بتهنئة المعتضد بن عباد بنصره على المظفر بن الأفطس بعدما تجرع ـ الأخير ـ غصص الوبال ـ وظل في تهنئة ممدوحه في سبعة أبيات ثم

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 375 .
[2]- ديوان المتنبي ، 1 / 82 .
[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 467 ، الصنع الجميل و المعروف ، والاك : ناصرك ، النشوة : السكرة أو الرائحة الطيبة ، الغمرة الشدة ، وغمرات الموت شدائده .
[4]- ديوان المتنبي 1 / 281 .

انتقل بذكر خصال ابن عباد الشريفة وأنه مؤهلٌ لهذ الظفر ؛ لينعم من والاه بنشوة الغنى ، ويصبح من عاداه في غمرة الردى ، وعداد الموتى .

أما قصيدة المتنبي المعارضَة فتقع في اثنين وأربعين بيتاً ، يمدح ويهنئ فيها سيف الدولة بعيد الأضحى مذكراً بأفعال سيف الدولة في خوضه المعارك التي تعود فيها على طعن الأعداء ، وأن هذا الأمير كالبحر إذا اتيته مسالماً ، فتجده هادئاً تستطيع الغوص فيه ، وإذا أتيته محارباً فاحذر هيجته ، وغضبه ، وفي حال السلم يتصف بالحكمة والكرم والجود والشجاعة والذكاء ، وقد اتفقت القصيدتان في غرض المدح ، بل كل منهما في مدح أمير ، واتفقتا في الوزن فكلاهما من البحر الطويل ، والقافية الدالية مفتوحة الروي ، ولذلك تعد من المعارضات التامة .

مضمون القصيدتين : ولعل المرتكز الرئيس الذي ترتكز عليه القصيدتان هو الإشادة بالممدوح في مواجهة الأعداء ، يتضح ذلك من خلال مطلع القصيدتين الذي يشيد فيه الشاعران بكلمة (العدا) ، تصاحبها ألفاظ تدل على كف شرورهم ومواجهتهم ، حيث يقرن المتنبي هذه اللفظة بالطعن ، ويقرنها ابن زيدون بالقمع ، والاستئصال ، والردى ، ويبدو جمال الموسيقى في القصيدتين من خلال الدال الممدودة ، حيث يمد كلا الشاعرين صوته ؛ ليوحي كل منهما بعظمة ممدوحه ومكانته المرموقة عنده ، فأحدث هذا المد صوتاً موسيقياً رائعاً يستحسنه المتلقي ، ويطرب له . ولعل دلالة هذه الموسيقى التي أحدثها حرف المد هنا توحي بإظهار الاخلاص والصدق للممدوح ، لاسيما أن ممدوح المتنبي هو سيف الدولة ، الذي كان يؤثره على كافور ، وأن ممدوح ابن زيدون ابن عباد الذي كان يؤثره على ابن جهور.

الازدواج : وهو أن تتساوى البنية الصرفية مع البنية العروضية للبيت ، أو لجزئه ، وقد ورد الازدواج في قصيدة المتنبي على هذا النحو : إذا كان ساكناً / إذا كان مزبِداً ، تفارقه هلكى / وتلقاهُ سُجَّدا ، فيُثْرِكُ ما يخْفى / ويُؤخَذُ ما بدا ، فزيَّنَ معروضاً / وراعَ مُسدَّدا .

إذا أنْتَ أكْرمْتَ الكَريمَ ملَكْتَهُ وإنْ أنتَ أكرمتَ اللَّئيمَ تمرَّدا

فسار به مَنْ لا يسيرُ مُشمِّرا وغنَّى به مَنْ لا يُغنِّي مُغَــرِّدا

نوضح ذلك في الجدول التالي : فالبيت الأول على هذا النحو :

إذا	أنت	أكرمت	الكريم	ملكنه
وإن	أنت	أكرمت	اللئيم	تمردا

نلاحظ أن كل كلمة في الشطر الأول تقبل على أختها في الشطر الثاني . وفي البيت الثاني على هذا النحو :

ف	سار	به	من	لا	يسير	مشمرا
و	غنى	به	من	لا	يغني	مغردا

وورد الازدواج في قصيدة ابن زيدون على هذا النحو:

وأنْ باتَ مَنْ والاك في نشْوةِ الغِنَى وأصْبح مَنْ عاداك في غمْرةِ الـــرَّدى

يسرّكَ , في الهيجا , إذا جرّ لامة ويرضيك , في النّادي , إذا اعتمَ وارْتدى

وأعطيتُما , فيما تريغانِهِ , الرّضَى وبُلّغْتُمــا , ممّــا تُريدانِـــه , المَـــدَى

فَزلّ وقـــد أمْطـيتَهُ ثَبَجَ السُّــها ، وضَــلّ وقــد لقَّيْتَـــهُ قَبَــسَ الهُـــدى

فإذا نظرنا لهذه الأبيات الأربعة ، نجد أن كل كلمة في الشطر الأول ، تقابل أختها في الشطر الثاني ، فالفعل يقابله فعل ، والاسم يقابله اسم ، والحرف يقابله حرف ، بل الاتفاق حتى في الضمائر المتصلة ، وحركة الإعراب .

أسلوب الشرط : وردت أساليب للشرط في قصيدة المتنبي كثيرة ، منها : إذا أنْتَ أكْرمْتَ الكَريمَ ملَكْتَهُ / وإنْ أنتَ أكرمتَ اللَّئيمَ تمرَّدا / غص فيه إذا كان ساكناً / وأحذره إذا كان مزبِداً / فلو كان قرن الشمس ماءً لأوردا / فإن كان ينجي من عليٍّ ترهبٌ ترهبت الأملاك / ومن كان يجعل الضَّرغام لصيَّدِ تصيَّده الضرغام / إذا أنْتَ أكْرمْتَ الكَريمَ / ملَكْتَهُ / وإنْ أنتَ أكرمتَ اللَّئيمَ تمرَّدا / إذا شدَّ زندي ضربْتُ بنصْلٍ / إذا أُنْشِدْتَ مدْحاً فإنَّما بشعري أتاك المادحون / مَنْ وجدَ الإحْسانَ قيْداً تقيَّدا . وذكر ابن زيدون بعض أساليب الشرط منها : إذا قيلَ فيهِ قدْ تناهَى تولّدا / ولمّا اعتضدْتَ اللهَ كنتَ مؤهَّلاً / إذا جشّمَ الأمرَ الجسيمَ تبلّدَا / إذا حاربتَ , فارفَعْ لواءهُ .

الترديد : رد المتنبي بعض قوافيه على ألفاظٍ في البيت ، مثل : تعودا ، العدا / اهدى ، ما هدى / النَّدى ، النَّدا / الحسَّاد ، حسَّدا / قيَّدْتَ ، تقيَّدا . وفي قصيدة ابن زيدون : العدى ، اغتدى / أحمدت ، فأحمدا / أعتضدت ، تُعضدا / الفراقدِ ، فرقدا / الصَّدي ، الصّدى / الودّ ، تودّدا / غمده ، مغمَّدا

المقابلة : وردت بعض المقابلات في شعر المتنبي ، فمن أمثلتها : مريد ضره ، ضر نفسه / هادٍ إلى الجيش ، وما هدى / أعطاك ، لم يعطِ / فأصبح يجتاب المسوح ، وقد كان يجتاب الدلاص / يمشي به العكاز ، وما كان يرضى مشي أشقر أجردا / فسار به ، من لا يسير / غنَّى ، من لا يغني / يرى ، ما ترى . كما اعتمد ابن زيدون في كثير من أبياته على المقابلة ، منها :

وأنْ باتَ مَن والاكَ في نَشوة الغِنى وأصبحَ من عاداكَ في غمرة الرّدَى

وَدَوْلَة سَعْدٍ لا انْتِـــــهاءَ لِحَـــدّهِ إذا قيلَ فيهِ قــدْ تناهَــى تولّـــدا

تجنَّى فأهْدَيْتَ النّصيحة محضـــة وَلَجّ فَـــــوالَيْتَ العِقــابَ مُـرَدَّدا

رأى أنّه أضْحَى هِزبْـراً مُصَمَّمـاً فلمْ يَعدُ أنْ أمســـى ظَلِيماً مُشَـرَّدا

الصورة : يصور ابن زيدون النصر العظيم الذي حققه إسماعيل بن المعتضد مزرياً بابن الأفطس بعد أن تخلى عن ابن حليفه الذي استنجد به وهو المعز بن إسحاق ، فأدت إلى مقتله فجزع عليه أبوه فبكاه كما بكى لبيد أخاه أربد ، وأخذ ذلك القائد الشجاع يعصف بأعدائه حتى أحال الصباح المشرق عليهم ليلاً مظلماً بما أثاره فوقهم من غبار كثيف ، وظهر ذلك القائد متلألئاً وسط مثار النقع تغمره فرحة النصر كالبدر الوضاء الذي تحسده الأقمار، وفي ذلك يقول :

قرينٌ له أغواهُ ، حتى إذا هوى تبرَّأ منه ، يعتدُّ البراءةَ أرْشــدا

فأصبح يبكيه المُصابُ بِثُكْلــهِ بكاء لبيـــدٍ حيــنَ فارقَ أرْبــدا

أعاد الصباحَ الطَّلْقَ ليلاً عليهم فحارَ وثنَّى ناظِرَ الشمس أرمــدا

فحلَّ هِلالاً في ظلامِ عجاجـةٍ تُلاحِظُهُ الأقمارُ ، في الأُفقِ حُسَّداً

وهي صورة متكاملة رائعة تجسد موقف ذلك القائد المغوار ونصره الذي حققه في المعركة ، ولعله نظر فيها إلى تصوير المتنبي لحال ابن الدمستق الذي فتك به سيف الدولة ، يقول المتنبي مصوراً هذا المشهد :

فأصبحَ يجْتابُ المسوحَ مخافةً وقد كانَ يجتابُ الدِّلاصَ المسرَّدا

ويمشي به العُكَّازُ في الدَّيرِ تائباً وما كان يرضى مشْي أشْقَرَ أجْردَا

وما تابَ حتى غادرَ الكرُّ وجْهَهُ جريحاً وخلَّى جَفْنَهُ النَّقْعُ أرمدا

مدح القصيدة : تميز المتنبي عن ابن زيدون في هذه القصيدة بمدحه لشعره يقول في آخرها :

ومَا الدَّهْرُ إلاَّ من رُوَاةِ قلائِدي إذا قُلْتُ شِعْراً أصبحَ الدَّهرُ مُنْشِداً[1]

فسارَ بهِ مَنْ لا يسِيرُ مُشَمِّراً وغنَّى بهِ مَنْ لا يُغَنِّـــي مُغَــرِّدا

أجِزْني إذا أُنْشِدْتَ مَدْحاً فإنَّما بشعْري أتاكَ المَادِحــونَ مُــردَّدا

وَدَعْ كُلَّ صَوتٍ غيرَ صوتي فإنَّني أنا الصَّائحُ المحْكِيُّ والآخَرُ الصَّدى

يقول المتنبي : ما الدهر إلا من رواة قلائدي ، كلما قلت شعراً ردده أهل الدهر ، وتغنى به من لا يعرف التغني بالشعر ، وأن شعري هو الأصل ، وكل ما قاله الشعراء ترديد لما قلته .

التأثر في الأبيات : تأثر ابن زيدون ببعض أبيات المتنبي ، فمن ذلك قوله :

ولَمْ تَأْلُهُ بقْياً عليهِ تَنظُّراً لِفَيْئَةِ مَنْ أكْرمْتهُ فتمرَّدا[2]

فقد نظر فيه لقول المتنبي :

إذا أنْتَ أكْرمْتَ الكَريمَ ملَكْتَهُ وإنْ أنتَ أكرمتَ اللَّئيمَ تمرَّدا[3]

يصف ابن زيدون فضائل ابن عباد ، وكرمه لابن الأفطس ، وتقديمه النصيحة له ؛ إبقاءً عليه ، وانتظاراً لعودة من أكرم ، ولكنه تمرد ، مشيراً إلى حكمة المتنبي الشهيرة ، التي وصف بها سيف الدولة ، وموقفه من الدمستق ، قائلاً له : إن الكريم يعرف قدر الإكرام ، فيصير كالمملوك لك ، إذا أكرمته ، أما اللئيم ، إذا أكرمته يزيد عتواً وتمرداً . وقول ابن زيدون :

وكمْ سَاعَدَ الأعْداءُ أوَّلَ مطمعٍ رَأوكَ بِعُقْباهُ أحقَّ وأسْعدّا[4]

يشير إلى قول المتنبي :

وأنْ يُكْذِبَ الإرْجافَ عنهُ بضِدِّهِ ويُمْسي بمَا تَنْوي أعاديهِ أسْعدا[5]

---

[1]- ديوان المتنبي ، 1 / 290 . وفي رواية " من رواة قصائدي " .
[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 472 ، لم تألُه نصحاً : لم تقصر في نصيحته ، البُقْيا : الانتظار وترقب الخبر ، الفيئة : العودة .
[3]- ديوان المتنبي ، 1 / 288 .
[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 470 ، المطمع : ما يطمع فيه .
[5]- ديوان المتنبي ، 1 / 281 .

كم ساعده الأعداء فيما يرغب ، (وهم لا يريدون ذلك) ، ورأوه أحق بأن يُسعد ، فهم يظهرون الخير ، ويبطنون الشر ، ويقول المتنبي : إن أعداءه يرجفون بهزيمته ، فيكذبهم بظفره ، ويريدون معارضته ، فيتحرشون به ، فيسعد بذلك ؛ لأنه يظفر عليهم .

وقول ابن زيدون :

يراجِمُ مِنْ " صِنْهاجِةٍ و" زِنَاتَةٍ ـ بِمِثْلِ نُجُومِ القذفِ ـ مثْنى وموْحَدَا[1]

من قول المتنبي :

فلَوْ كانَ يُنْجِي مِنْ عليٍّ ترهُّبٌ تَرَهَّبَتْ الأملاكُ مثْنى وموْحَدَا[2]

يقول ابن زيدون : إن المعتضد يناضل من صنهاجة ، وزناتة ، وهما قبيلتان من البربر ، فيتساقطون أمامه مثنى وموحدا . ويقول المتنبي : إن ترهبه هذا لا ينجيه من سيف الدولة ، ولو كان ذلك ينجيه ، لترهبت سائر الملوك ، مثنى وموحدا ، يعني اثنين اثنين ، وواحد واحد ، متواليين . ويقول ابن زيدون :

فَمَا آثرَ الأَوْلَى ، ولا قَلَّد الحِجى ، ولا شكرَ النُّعْمى ، ولاَ حَفِظَ اليدَا[3]

فقوله : " حَفِظَ اليدَا " تضمين لقول المتنبي :

وما قَتَلَ الأحْرَارَ كالعفْوِ عنهُمُ ومَنْ لكَ بالحُرِّ الَّذي يحْفَظُ اليَدَا[4]

فالبيتان يلتقيان في هذا التضمن ، (حَفِظَ اليدَا) يقول ابن زيدون : فما فضل المعتضد الأهم ، ولا قلد التعقل ، ولا حفظ المعروف . ويقول المتنبي : العفو عن الكرام قتل لهم ، كما أن البيتين يلتقيان في هذه الصفات الحميدة ، التي يتحلى بها كل من الممدوحين .

وقول ابن زيدون :

ولَمْ نَرَ سَيْفاً باتِكَ الحَدِّ قبْلهُ تَنَاولَ سيْفاً دُونَهُ فتَقَلَّدا[5]

من قول المتنبي :

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 476 ، راجم في الكلام والعدو والحرب : بالغ بأشد مساجلة ، وتراجموا بالحجارة : تراموا بها ، نجوم القذف : الشهب التي تصيب الشياطين ، مثنى وموحدا : مزدوجة ومفردة ، والمعنى يقذف الأمير أعداءه بفرسان أشداء من قبيلتي صنهاجة وزناتة أزواجاً وآحاداً كما تقذف الشهب الشياطين .

[2]- ديوان المتنبي ، 1 / 285 .

[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 472 ، الأُولى : الأحرى والأفضل ، الحجا : العقل ، اليد : النعمى .

[4]- ديوان المتنبي ، 1 / 288 .

[5]، ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 478 ، سيف باتك الحد : قاطع مرهف .

فَيَا عجَبَا مِنْ دائِلٍ أنْتَ سَيْفُهُ أَمَا يَتَوقَّى شفْرَتَيْ ما تقَلَّدا[1]

يقول ابن زيدون : لم نر سيفاً قاطع الحد قبله ، تناول سيفاً من دونه وحمله ، ويقول المتنبي: أما يخشى الدمستق بأن يكون الأمير سيفاً حاداً لا يؤمن جانبه . وقول ابن زيدون :

دَعَوتَ ، فقال النَّصْرُ : " لبَّيكَ " ماثِلاً وَلَمْ تَكُ كالدَّاعِي يُجاوِبهُ الصَّدى[2]

من قول المتنبي :

وَدَعْ كُلَّ صَوتٍ غيرَ صوتي فإنَّنِي أنا الصَّائحُ المحْكِيُّ والآخَرُ الصَّدى

يقول ابن زيدون : إذا دعوتَ النصرَ ، مثل النصرُ بين يديك ، ولم تكن كالداعي يجاوبه الصدى ، يردد ما يقول ولا يجيبه بشيء ، أما المتنبي ، فيمدح شعره ، يقول لممدوحه : دع كل شعرٍ غير شعري ، فأنا الأصل ، والشعراء يرددون ما أقول . كما يتفق البيتان في ثنائية الأنا والآخر، ففي بيت المتنبي ، بينه ، وبين باقي الشعراء ، وجعلها ابن زيدون بين المعتضد ، وغيره من الملوك .والالفاظ المشتركة بين البيتين (الفعل : دعا ، والاسم : والصدى) .

ومن قصائد المتنبي التي عارضها ابن زيدون ، النونية التي مطلعها :

بَمَ التّعَلُّلُ ؟ لا أهُـل ولا وطـنُ ولا نديمٌ ، ولا كأسٌ ، ولا سكـــنُ[3]

وذلك في قصيدة ابن زيدون التي مطلعها : هَلْ تَذْكُرُونَ غَرِيْباً عَادَهُ شَجَنُ ؟[4]

محتوى القصيدتين : قال المتنبي هذه القصيدة " فيمن كانوا ينعونه عند سيف الدولة ويقولون أنه مات أو أنه اغتيل أو أنه مرض ومات مرضاً . ثم أن إحدى الإشاعات عن موته تعاظمت وأوشكت أن تتحقق في بلاط سيف الدولة ، ونمي الأمر إلى المتنبي ، فانتفض ونظم إحدى أبدع قصائده لأنه صدر فيها عن الوجدان المحض وعن إحساس بالوجود ، بعد أن أوشك وجوده أن يمحق أو يزول "[5] ، أما ابن زيدون فقد قال قصيدته لما حلَّ به العيد وهو بعيد عن أهله ، فناجاهم بهذه الأبيات ، وقد وقعت قصيدة ابن زيدون (المعارِضة) في عشرة أبيات بينما تقع قصيدة المتنبي (المعارَضة) في خمسة وعشرين بيتاً ، وقد اتفقت القصيدتان في الموضوع وهو الحنين و الشكوى ، وكلتاهما من البحر البسيط ، و القافية النونية مرفوعة الروي . ورغم قصر

---

[1]- ديوان المتنبي ، 1 / 287 .
[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 468 ، ماثلاً : منتصباً ، الصدى : رجع الصوت .
[3]- ديوان المتنبي 4 / 233 .
[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 162 .
[5]- حاوي ، المتنبي سيرته ونفسيته وفنه من خلال شعره ، ص637 .

قصيدة ابن زيدون المحتوية على عشرة قوافٍ إلا أنها تشترك مع قصيدة المتنبي في ستة قوافٍ " وهذه النسبة تكشف عن مدى التأثر وتقارب التجربة والحالة الشعورية "[1] .

المطلع في القصيدتين : لعل جمال القصيدتين وروعتهما تكمن في هذا المطلع ، الذي جاء موازياً للقصيدة ، فعند سماعنا له ، يعرف مقصود القصيدة ومدلولها ، فيبدأ المتنبي بهذا الاستفهام المحير،(بم التعلل ؟ لا أهل ولا وطن ؟) فالشاعر يشكو زمانه الذي أبعده عن أهله ووطنه ، فجعله في غربة وشوق إليهما ، كذلك يبدأ ابن زيدون بهذا الاستفهام (هل تذكرون غريباً) ، مصرحاً بهذه الغربة من أول وهلة ، فغربة المتنبي أبعدته عن ممدوحه ومجلسه ، وغربة ابن زيدون أبعدته عن أميره ومحبوبته ، ثم يؤكد ابن زيدون مأساته ويعزز شكواه ، مواسياً المتنبي في محنته وشكواه ، فيثني بمطلع المتنبي في خاتمة قصيدته ، ليعود على ما بدأ ، وليلفت النظر إليه ، وهذا التضمين يرمز إلى تأصل التأثر والتأكد على الإعجاب ودقة الاختيار .

البناء الأسلوبي : برزت في القصيدتين بعض الأساليب ، فمنها ، **الأنا :** من خلال تتبعنا للقصيدتين نلاحظ بروز الأنا التي طغت على أغلب أبيات القصيدتين ، من حيث الضمائر ، والياء ، والتاء ، وأفعال المضارع التي تنسب للمتكلم ، ولعل الغرض من ذلك إنه يريد كل منهما أن يثبت أمام هذه التجربة القاسية التي أوشكت أن تسقطهما ، وكأنهما يريدان أن يبرزا قوتهما ، ويعززان وجودهما وتعلو كلمتهما من خلال هذه الأنا المتفجرة .

فمن صور الأنا التي برزت في ألفاظ ابن زيدون : فبتُ ، أشكو ، أجالس ، أحبهم ، أضيعها ، شفَّني ، بيننا ، كنَّا . وورد في ألفاظ المتنبي : أريدُ ، أصاحبُ ، أقيمُ ، أذلُّ ، ألذُّ / يبلغني / متُّ ، نعيتُ ، قلتُ ، انتفضتُ ، سهرتُ / بليتُ ، ذكرتُ / مهجتي ، دفني ، عرضي ، رحيلي ، مريري ، مهري / عليّ ، بيني ، إني ، بي ، عني ، لكنِّي .

المخاطبة : يخاطب كلا الشاعرين معشوقهما (الوطن ، أو الممدوح ، أو الحبيب) في كثير من أبيات القصيدتين ، وقد ورد هذا الخطاب بصيغة الجمع ؛ تفخيما وتعظيما للمخاطب ، فمن تلك الألفاظ في قصيدة المتنبي : حملتكم ، هوادجكم ، عندكم ، رأيتكم ، جاركم ، مرعاكم ، منكم ، رفدكم ، منكم ، رفدكم ، بينكم ، لكم ، ودكم ، غيركم ، وعند ابن زيدون (ذكركم ، عادكم) .

التباين بين القصيدتين : تميز كل من الشاعرين بأساليب معينة ، حيث نرى تكرار الفعل الماضي الذي اتصلت به واو الجماعة ، يتحدث فيه عن مبغضيه عند سيف الدولة ، فنراه يكرر أفعال الماضي ، مثل : (هووا ، عرفوا ، فطنوا ، تحملوا ، ماتوا ، دفنوا) ، ليثبت أنه موجود

[1]- الجمل ، إيمان ، المعارضات في الشعر الأندلسي ، دار الوفاء الإسكندرية ، الطبعة الأولى ، سنة 2007 ، صـ 373 .

وأن كيدهم مردود عليهم ، وبذلك تظهر الثنائية في أسلوب قصيدته من خلال التضاد ، كقوله : (هووا ـ وما عرفوا) ، (أن يبلغني ـ ما ليس يبلغه) ، (فما يديم سرور ـ ما سررت) ، (كم قد قُتِلتُ وكم قد متُّ عندكم ـ ثم انتفضتم فزال القبر والكفن) ، (قد كان شاهد دفني قبل قولهم ـ جماعة ثم ماتوا قبل مَن دفنوا) ، (تجري الرياح بما لا تشتهي السفن) ، (بيني ـ وبينكم) ، (إني أصاحب ـ ولا أصاحب) ، (سهرت ـ الوسن) ، (إن تأخر ـ فما تأخر) .

وقد أشارت الدكتورة إيمان الجمل إلى أن هناك ثمة ميزة انفرد بها ابن زيدون وهي استخدامه للجمل الاعتراضية والتي انتشرت في سائر أبياته سوى ثلاثة أبيات [1] ، ولعل سبب كثرة هذه الجمل الاعتراضية هو الحيرة والحزن واليأس الذي انتاب ابن زيدون في غربته ، وحيرته ؛ ومن هنا كثرت الاستفهامات في القصيدة كقوله : (هل تذكرون غريباً؟) ، (أيبقى في جوانحه فؤاده؟) ، (هل أجالس أقواماً أحبهم ؟) ،(بم التعلل؟) .

التأثر في الأبيات : وقد تأثر ابن زيدون بقول المتنبي :

هُوَ الوَفِيُّ وَلَكِنِّي ذَكَرْتُ لَهُ مَوَدَّةً فَهْوَ يَبْلُوهَا ويَمْتَحِـــنُ[2]

وذلك في قوله : ـ أعني ابن زيدون ـ :

أوْ تَحْفَظُونَ عُهُوداً لا أُضَيِّعُهَا إنَّ الكِرَامَ بِحِفْظِ العَهْدِ تُمْتَحَنُ[3]

يقول المتنبي : هو الوفي بما وعدني ، غير أنه لا يختبر ما ذكرت له من المحبة ، فلهذا يتأخر عني ما وعدني به . ويقول ابن زيدون : إنني لا أضيع العهود ، فالكرام يمتحنون بحفظ العهد ، والوفاء به .

كما استلهم ابن زيدون قول المتنبي لمبغضيه :

سَهرْتُ بعْدَ رَحِيلي وَحْشَةً لكُمُ ثمَّ اسْتَمَرَّ مرِيرِي وارْعَوَى الوَسَنُ[4]

وذلك في قوله :

هَلْ تَذْكُرُونَ غَرِيْباً عَادَهُ شَجَنُ ـ مِنْ ذِكْرِكُمْ ـ وَجَفا أجْفَانَهُ الوَسَنُ؟[5]

---

[1] ـ المرجع نفسه ، ص 392 .
[2]- ديوان المتنبي 4 / 239 ، المودة : المحبة . الابتلاء : الاختبار .
[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 162 ، تمتهن : تختبر .
[4]- ديوان المتنبي ، 4 / 237 ، المرير : جمع مريرة وهو القوة من الحبل ، استمر : استقام ، ارعوى : انزجر ، الوسن : النعاس .
[5]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 162 .

يقول المتنبي : لما فارقتكم سهرت ، واستوحشت ، ثم تصبرت واستقام امري ، ورجع النوم إلى عيني ، فنمت وذهب ما كان بي . أما ابن زيدون ، فيخاطب الأحبة متسائلاً : ألا تذكرون غربتي ، وأشجاني فلقد جفا عيني النوم والوسن .

ونلاحظ أن الشكوى تختلف بين الشاعرين ، فالمتنبي يشكو من الزمن ومبغضيه فيقول : لما فارقتكم سهرت واستوحشت ثم تصبرت واستقام امري ورجع النوم إلى عيني ، فنمت وذهب ما كان بي ، في حين نجد أن الشكوى عند ابن زيدون اقتصرت على الزمن الذي أبعده عن أحبته الذين تذكرهم يوم العيد ، فالمتنبي عندما كان بمصر حن لأهله ووطنه وإلى مجالس سيف الدولة بحلب ، ولما كان ابن زيدون " نازحاً عن وطنه ، نائياً عن أهله " [1] تداعت إلى نفسه تجربة المتنبي ، فاستحضرت عبقريته قصيدة المتنبي مضمنا لمطلعها ، خاتماً به قصيدته وقد كرر ابن زيدون استحضار تجارب الشعراء ، ومن ذلك تجربة البحتري الغزلية ، فعندما تشابهت تجربة ابن زيدون والبحتري في الحب عارض نونيته الشهيرة ، بنونية مثلها أسلوباً وغرضاً وقافية ، لأنّ الشاعر المتأخر عندما تتشابه تجربته مع تجربة سابقه " يجد نفسه مدفوعاً إلى صاحبها ، مشدوداً إلى شعره ، يستلهم معانيه وأفكاره ويطرح من خلالها صوره ومواقفه دون أن يخشى اتهاماً له بالسطو أو السرقة "[2] . ومن هنا يمكن القول بأن معارضة ابن زيدون لقصيدة المتنبي هي استحضار للتجربة والحالة الشعورية ، ولم تكن هذه المعارضة من أجل المباراة والمضاهاة بالشاعرية ، وإنما ظهر تأثره في الجو النفسي .

الخلاصة : ظهرت معارضات ابن زيدون لقصائد أبي تمام والبحتري والمتنبي جلية في شعره ، وليس غريباً أن يتأثر بقصائدهم ويعارض بعضها ، فهو شاعر تتلمذ على هؤلاء الفحول العباسيين ، فتشرّب مذاهبهم ، واستقى من معانيهم وصورهم وألفاظهم الشيء الكثير، واستلهم تجاربهم الشعورية والعاطفية ، وتأثر بالكثير من قصائدهم وأبياتهم ، وموضوعاتهم الشعرية ، وهو إنما يفعل ذلك لاعتبارات أهمها:

1 ـ غدت المعارضات الشعرية لقصائد هؤلاء الشعراء العباسيين واضحة في شعر ابن زيدون .
2 ـ ولع ابن زيدون بالمعارضة ، والتضمين ، والاقتباس ، والمنافسة لفحول الشعراء العباسيين حيث كتب أشهر قصائده على غرار القصائد المشهورة لأبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي .

وقد جاءت معارضاته لهؤلاء الشعراء بنسب متقاربة ، وإذا نظرنا إلى هذه القصائد التي عارضها ابن زيدون نجد أن أغلبها في غرض المديح ؛ ولعل السبب في ذلك أن ابن زيدون يريد

[1]- المصدر نفسه ، ص 162 .
[2]- التطاوي ، عبد الله ،المعارضة الشعرية بين التقليد والإبداع ، دار الثقافة ، الفجالة ، مصر ، 1988 ، ص98 .

أن يظهر بمظهر المتمكن أمام ممدوحيه ، لذلك اتخذ المدائح الجياد عند هؤلاء الشعراء نموذجاً يحتذيه . ، واتضح اتفاق ابن زيدون مع البحتري في حنينه إلى المرأة ومواطنها بعد القطيعة بينهما ، وكذلك ظهرت بعض الأبيات مشتركة بينهما في مقدمات قصائدهم ، واتفق مع أبي تمام ، والمتنبي ، في مدح القصيدة والثناء عليها ، بعد الثناء على الممدوح .

المبحث الثالث ، تضمين ابن زيدون لأبيات أبي تمام والبحتري والمتنبي :

التضمين لغة : ضَمَّنَ الشَّيء الشَّيء أوْدَعَهُ إيَّاهُ ، كما تُودِعُ الوعاءَ المتاعَ، والمَيَّتَ القَبْرَ ، والمُضَمَّنُ من الشِّعرِ ما ضَمَّنتَهُ بَيْتاً [1].

والتضمين اصطلاحاً : " قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم فتأتي به في آخر شعرك أو وسطه كالمتمثل "[2].

فالتضمين بالمعنى اللغوي والاصطلاحي ، يعني أخذ الشاعر المتأخر بيتاً أو جزءاً منه من قصيدة الشاعر المتقدم ، ووضعه في قصيدته ، من باب الإعجاب والاستشهاد والتأثر ، لا من باب الأخذ والسرقة .

واستلهام الموروث الشعري قديمه وحديثه ، ظاهرة واضحة في شعر الأندلسيين في القرن الخامس ، غير أن ذلك لا يعني الاحتذاء والتقليد بمعناهما المعروف دائماً ، بل يدل أحياناً على الرغبة في الاستفادة من الموروث الذي يمثل عنصراً أساسياً في تكوينهم ، ويكون أحياناً أخرى تأثراً لا شعورياً بمحفوظهم الغزير ، وما ترسب في نفوسهم من رواسب الموروث الشعري ، الذي يشكل جزءًا من تكوينهم باعتبار " أن الأدب الأندلسي ليس مستقلاً بذاته " [3]

ويبدو أنّ الغرض من التضمين هو أنّ " كثيراً ما يريد الشاعر التعبير عن معنى من المعاني ، لكنه يرى شاعراً آخر عبّر عن المعنى نفسه بصورة حسنة متميزة فيستعير منه هذا البيت ويضمنه في قصيدته ، وهذا التضمين يحمل إعجاب الشاعر المستعير وعلو شأن الشعر الذي ضمنه في رأيه ، فهو يراه رافداً للقصيدة ووسيلة رقي بمستواها ، ولاسيما إذا كان المستعار منه شاعراً مرموقاً ، والمستعار بيتاً متميزاً "[4].

وقد عُرِف ابن زيدون كغيره من الشعراء الأندلسيين ـ بتضمينه لأشعار المشارقة ، ويرجع هذا إلى عامل التأثر والتأثير بينه وبين الشعراء العباسيين ، وعلاوة على ذلك فقد لجأ إليه من باب الإعجاب بكبار الشعراء العباسيين أمثال أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي . وفي هذا المبحث سنتتبع كيفية تضمين ابن زيدون لأشعار أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي .

---

[1]ـ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ضمن ، الجزء الرابع ، 2610 ، 2611 ..

[2]ـ ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ،الطبعة الثالثة ، 1963، 2/ 84 .

[3]ـ لغزيوي ، علي ، أدب السياسة والحرب في الأندلس من الفتح إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، مكتبة المعارف الرباط ،1987 ، ص 385 .

[4]ـ عمايرة ، د ـ حنان ، الأثر المشرقي في شعر ابن خفاجة ، مرجع سابق ، صـ 245 .

أولاً، تضمين ابن زيدون لأبيات أبي تمام :

ضمن ابن زيدون بعض أجزاء الأبيات من شعر أبي تمام ومن ذلك ما جاء في قصيدته التي تغنى فيها بذكريات ليالي قرطبة الجميلة ، مفتتناً بجمال طبيعتها ، وجمال حبيبته ، حاناً إلى مجالس أنسها ، ومطلعه :

سَقَى الغَيْثُ أطْلال الأحبَّةِ بالحِمى

إلى أن قال :

فكم رَفَلَتْ فيها الخرائدُ كالدُّمى إذ " العيشُ غضٌّ والزَّمانُ غُلامُ "[1]

فالشطر الثاني من البيت من قصيدة أبي تمام في مدح المأمون ، ومطلعها :

دِمَنٌ ألمَّ بها فقال سلام كم حلَّ عقدةَ صبرِهِ الإلمامُ [2]

إلى أن قال ـ في البيت (السابع) :

ولقد أراكِ ، فهَلْ أراك بِغبطةٍ و العيشُ غضٌّ والزمان غلامُ ؟[3]

فابن زيدون في حنينه إلى مجالس قرطبة الجميلة أراد أنّ يصف هذه المجالس الجميلة التي كانت تتهادى فيها الفتيات الحسان التي تشبه الدمى المتقنة الصنع ، فاستدعت ذاكرته مقدمة أبي تمام الغزلية ، فاستعار منه هذا الشطر ؛ لخدمة غرضه ، فجاء تضمينه مناسباً و موافقاً لما أراد أن يقول . ويقول ابن زيدون ، في عتاب أبي الحزم بن جهور :

ملأَ النَّواظِرَ صَامتاً ولرُبَّمَا ملأَ المَسامعَ " سائلاً ومُجِيباً"[4]

فقوله " سائلاً ومجيباً " تضمين للبيت (الثاني) من قصيدة أبي تمام ، في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري :

فاسْأَلْنها، واجْعَلْ بُكَاكَ جَواباً تَجِدِ الشَّوْقَ سائِلاً ومُجِيباً[5]

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، صـ 128 ، رفلت : تهادت وتبخرت ، الخرائد : الفتيات الأبكار ، الدمى : تماثيل صغيرة متقنة الصنع ، وتصنع من الرخام أو العاج يضرب بها المثل في الحسن ، فيقال أحسن من الدمية .

[2]- ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، 2 / 72 ، الدمن : جمع دمنة وهي آثار الديار .

[3]- المصدر نفسه ، 73 .

[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص328 .

[5]- ديوان أبي تمام ، 1 / 92 .

ثانياً : تضمين ابن زيدون لأبيات البحتري :

ضمن ابن زيدون الكثير من أجزاء أبيات البحتري ، فمن ذلك قوله :

لَيَالِيَ نَامَتْ عُيُونُ الوُشاةِ عَنَّا ، وعَيْنُ الرِّضى "لَمْ تَنَمْ"[1]

فقوله : "لم تنم " تضمين لقول البحتري :

طَرْفٌ مُطِلٌّ عَلَى الآفَاقِ يَكْلَأُهَا بِنَاظِرٍ لم يَنَمْ عَنْهَا ولم يُنِمِ[2]

ومن الأبيات التي تأثر فيها ابن زيدن بالبحتري ، قول ابن زيدون :

وَمِنْ سِرِّ ابْنِ "عبَّادٍ " دَلِيلٌ بِهِ بَانَ "الفَسَادُ مِنَ الصَّلاحِ"[3]

فقوله : " الفَسَادُ مِنَ الصَّلاحِ "يشير إلى قول البحتري :

فَهلْ لأُنْسٍ بَانَ مِن رَجْعَةٍ أمْ هل لحالٍ فَسَدَتْ من صَلَاحْ ؟[4]

وكذلك قول ابن زيدون :

وَقَاكَ اللهُ مَا تَخْشَى!! وَوَالَى عَلَيكَ بِصُنْعِهِ " المُغْدَى المُرَاحِ"[5]

حيث اقتبس ابن زيدون قوله :" المغدى المراح " من قول البحتري :

أَشْمَتَّ أَعْدَائِي ، وأَخْرَجْتنِي عن سَيْبِكَ المُغْدَى عليَّ المُرَاحْ؟! [6]

و يقول ابن زيدون :

ضَلَالاً تَمَادَى الحُبُّ في المَعْشَرِ العِدَا وَلَجَّ الهَوَى في حَيْثُ "تُخْشَى الغَوَائِلُ"[7]

فقوله " تخشى الغوائل " مضمنة من قول البحتري :

دَعِ المَوْتَ يغْتَلْ مَنْ أرادَ فإنَّهُ ثَوَى اليَوْمَ مَنْ تُخْشَى عَلَيْهِ الغَوَائِلُ[8]

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله 408 .
[2]- ديوان البحتري ، 3 / 1975 .
[3]- ديوانه ابن زيدون ورسائله ، 430 ، السر : الأصل أو اللب أو محض النسب .
[4]- ديوان البحتري 1 / 437 .
[5]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، 434 .
[6]- ديوان البحتري ، 1 / 437 .
[7]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، 391 ، ألجَّ : ألحّ . الغوائل : المصائب .
[8]ديوان البحتري ، 3 / 1731 .

ويقول ابن زيدون :

لكَ الخَيْرُ !! إنّي قَائِلٌ غَيْرُ مُقْصِرٍ فمَنْ لِي باسْتِيْفَاءِ "مَا أَنْتَ فَاعِلُ ؟"[1]

فقوله : " ما أنت فاعل " تضمين لقول البحتري :

رَدَدْنَا إلَيْهِ الأمْرَ طَوْعًا ولمْ نَقُلْ لَهُ في الذَّي يأْتِيْهِ : ما أَنْتَ فَاعِلُ ؟ [2]

ويقول ابن زيدون :

مَسَاعٍ هِيَ العِقْدُ انْتِظَامَ مَحَاسِنٍ تَحَلَّى بِها جِيْدٌ مِن "الدَّهْرِ عَاطِلُ "[3]

فقوله : " الدهر عاطل " مقتبس من قول البحتري :

وكانَ سِرَاجَ الأرْضِ ، والأرضُ مُظْلِمُ قَرَاها وَحَلىَ الدَّهْر ، فالدَّهْرُ عاطِلُ[4]

ثالثاً : تضمين ابن زيدون لأبيات المتنبي :

كما ضمن ابن زيدون في بعض قصائده أبياتاً وأجزاءً من شعر المتنبي ، يقول ابن شريفة : " وكان ابن زيدون ريّان من شعر المتنبي يستشهد به في نثره ، ويقتبس منه في شعره "[5] وقد عارض قصيدة المتنبي التي مطلعها:

بَمَ التّعَلُّلُ ؟ لا أهْلٌ ولا وطُنٌ ولا نديمٌ ، ولا كأسٌ ، ولا سكنٌ[6]

وذلك في قصيدته التي أولها :

هَلْ تَذْكُرُونَ غَرِيباً عَادَهُ شَجَنُ ـ من ذِكْرِكُمْ ـ وجَفَا أجْفَانَهُ الوَسَنُ؟[7]

فضمن آخرها مطلع المتنبي السابق ، فقال في خاتمتها:

" بِمَ التَّعَلُّلُ ؟ لاَ أهْلٌ! ولَا وطنٌ ! ولا نَديمٌ ! ، ولا كأسٌ ! ، ولا سكنٌ!"[8]

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، 394 ، أقصر عنه : كف ونزع مع القدرة عليه .
[2]- ديوان البحتري ، 3 / 1734 .
[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، 395 ، الجيد : العنق .
[4]- ديوان البحتري ، 3 / 1733 .
[5]- ينظر " أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة " ، ص 143 .
[6]- ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، 4 / 233 ، وقد قال هذه القصيدة وهو بمصر عندما حنَّ إلى مجلس سيف الدولة بحلب .
[7]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، صـ 162 ، الشجن : الحزن . الوسن : النوم .
[8]- المصدر نفسه ، ص 163 ، والبيت هو مطلع قصيدة المتنبي المذكورة .

فتضمين ابن زيدون لبيت المتنبي هذا ، دليلٌ على شدّة الارتباط ، وعمق التأثير ، فبعد أن استلهم ابن زيدون تجربة المتنبي وأحاسيسه ، ختم قصيدته ببيت المتنبي " كنوع من تكثيف المعنى ومنحه نوعاً من العمق بما يضفيه على السياق من إيحاءات وبما يكتسبه في سياقه الجديد من دلالات "[1]. وقول ابن زيدون :

قَدْ قالَ " شاعِرُ كِنْدةٍ " فِيمَا مَضَى بيتاً عَلَى مرِّ الليالي يُعلَمُ[2]

" لا يسلَمُ الشَّرفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأذَى حتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدّمُ"[3]

فالبيت الثاني ،تضمين لقول المتنبي في هجاء إسحاق بن إبراهيم ، ويقول ابن زيدون :

مَرَادُهُمُ حَيْثُ السِّلاحُ خَمَائِلُ ومَوْرِدَهُمُ حَيْثُ "الدِّمَاءُ مَنَاهِلُ"[4]

فقوله " الدماءُ مناهلُ " مقتبس من قول المتنبي :

ومِنْ أيِّ ماءٍ كَانَ يَسْقِي جَيادَهُ ولم تَصْفُ مِنْ مَزْجِ الدِّمَاءِ المَنَاهِلُ[5]

يقول ابن زيدون :

وحَاشَاكَ مِنْ أنْ تُسْتَذَمَّ مَرِيرَةٌ لِعَهْدِكَ ، أوْ "يَخْفَى عَلَيكَ صَوَابُ"[6]

فقوله : " يَخفَى عليك صوابُ " تضمين لقول المتنبي :

ومَا جَهِلَتْ أيادِيكَ البَوادِي وَلَكِنْ رُبَّمَا خَفِيَ الصَّوَابُ[7]

هكذا كان ابن زيدون في كثير من أشعاره يشير إلى أبيات من شعر أبي تمام والبحتري والمتنبي ، حتى أصبح هذا التأثر ، وهذه الإشارة إلى نصوصهم سمة ماثلة في شعر ابن زيدون ، وهذا يدل دلالة واضحة على عمق التأثر ، وشدة الإعجاب بشعر هؤلاء الفحول العباسيين . وقد جاءت نسبة تضمين ابن زيدون لأشعارهم ، بنسب متقاربة .

---

[1] ـ صعدور ، أشرف علي ، الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة ، مكتبة نهضة الشرق ـ جامعة القاهرة ، 1996 ، ص 211.

[2]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، صـ 310 ، فقوله شاعر كندة : يعني بذلك أبا الطيب المتنبي ، وكندة نسبة إلى المحلة التي ولد بها

[3]ـ ينظر المصدر نفسه ، في الصفحة نفسها ، والبيت مقتبس من قصيدة للمتنبي ، في هجاء ابن كيغلغ ، ومدح أبي العشائر ، ينظر ديوان المتنبي ، 4 / 125 .

[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، 387 .

[5]- ديوان المتنبي ،3 / 113 .

[6]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، 386 ، المريرة : الحبل الشديد الفتل .

[7]- ديوانه المتنبي ، 1 / 81 .

المبحث الأول ، أثر شعراء العصر العباسي (أبي تمام والبحتري والمتنبي) في شعر ابن زيدون في بناء القصيدة :

أهتم النقاد العرب الأوائل ببناء القصيدة العربية اهتماماً كبيراً ، إذ ارتبط بناؤها في الشعر العربي بتقاليد فنية معينة أطلق عليها فيما بعد شكل القصيدة التقليدية بأصولها وقواعدها ، المتمثلة في أجزائها المعروفة ، فوقفوا " طويلاً عند مطلع القصيدة ، وعند الانتقال من فاتحتها إلى الغرض منها ، ثم عند خاتمتها "[1] .

وقد خضعت بنية القصيدة الجاهلية وكذلك القصيدة العباسية لهذا التقسيم ، كما خضعت بنية القصيدة الأندلسية لهذا البناء التقليدي المتمثل في المطلع ، وحسن التخلص ، والخاتمة ، ولكل عنصر من هذه العناصر طابعه الخاص .

ونحن في هذه الجزئية سنتتبع بنية القصيدة التقليدية عند أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، وأثرها في البنية الشعرية عند ابن زيدون ، وقبل أن نتتبع بنية القصيدة عند ابن زيدون علينا أن نعلم أن قصائده تنقسم إلى قسمين : الأول قصائد طوال ، وهي إما أن يهجم فيها على موضوعه مباشرة دون أن يقدم له بمقدمة غزلية وغيرها ، وإما يجزئ فيها القصيدة إلى وحدات وموضوعات صغرى ، تشتمل على أكثر من غرض ، وبالتالي فإنه يعنى فيها بالمطلع ، وحسن التخلص ، وتجويد الخاتمة ، على طريقة الشعراء العباسيين ، والقسم الثاني مقطوعات ذات موضوع واحد غالباً ما يتجاهل فيها الاهتمام بالمطلع ، والتخلص ، والخاتمة .

وإذا نظرنا إلى قصائد ابن زيدون التي عدد موضوعاتها ، نجده في كثير من الأحيان سار على النهج الذي ارتضاه النقاد ، وهو الحرص والعناية بالعناصر الأساسية التي تتكون منها القصيدة ، وهي (المطلع ، وحسن التخلص ، والخاتمة) ، بالإضافة إلى غرض القصيدة .

أولاً المطلع : حرص ابن زيدون في معظم قصائده بتحسين المطلع ؛ باعتباره فاتحة النص الذي يدعو المتلقي إلى الدخول في عالمه الشعري ؛ لأن النقاد جعلوه " بمنزلة الوجه للإنسان ، والمفتاح للقفل "[2] . وقد اعتنى ابن زيدون بمطالع قصائده ، إذ اختار لها الألفاظ السهلة الأنيقة ، وتنويع الصيغة بين الخبر والإنشاء ، وحشد المحسنات البديعية ، والعناية بالتصريع ، والمساواة بين أشطارها ، ومراعاة النظير ؛ لاستمالة المتلقي ، ولكي يتطلع إلى ما بعدها بشغف وازدياد .

---

[1]- بدوي ، أحمد أحمد ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، مكتبة نهضة مصر - القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1964 ، ص 299 .

[2]- العسكري ، أبو هلال ، كتاب الصناعتين ، الكتابة والشعر ، تحقيق علي البجاوي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1952 ، ص 494 .

ولهذا تعددت أنماط مطالعه ، وتنوعت أشكالها ، فمنها ما جاء على نمط القصيدة التقليدية كالمقدمة الطللية ـ وإن كان نادرا ـ والمقدمة الغزلية ، ومنها ما جاء متماشياً مع ملامح التطور والتجديد ، وهو النهج الذي اتخذه شعراء العصر العباسي ، بعدما طرأ عليهم من أسباب الحضارة والمدنية ، فتركوا المقدمات التقليدية كالوقوف على الأطلال ، والتشبيب بالحبيبة وديارها ، وغدوا يبتدئون بوصف الطبيعة ، ووصف الخمر ، وأحيانا الدخول في الغرض دون استهلال . ومن مقدمات ابن زيدون الطللية ، قوله :

سقـــــــى الغَيْثُ أَطْــلاَلَ الأَحِـــبَّةِ بالحِمَـــــــــى[1]

فالشاعر يستهل قصيدته بالدعاء بالسقيا لديار المحبوبة ، وآثارها الباقية ، وقد تتبعنا ابتداءات شعراء العصر العباسي فوجدنا هذا النهج بارزاً في قصائدهم ، فمن ذلك قول أبي تمام في مدح محمد بن الهيثم بن شبانة :

أَسْقَى طُلُولَهُمُ أَجَشُّ هَزِيمُ وغَدَتْ عليهمْ نَضْرَةٌ ونَعِيمُ[2]

وكذلك مطلع البحتري في مدح المهتدي بالله :

سَقَى دَارَ لَيْلَى حَيْثُ حَلَّتْ رُسُومُها عِهَادٌ من الوَسْمِي وُطْفٌ غُيُومُهَا[3]

ومن المقدمات الطللية في الشعر العباسي ، مقدمة الشيب ، حيث دأب شعراء العصر العباسي ـ لاسيما البحتري والمتنبي ـ في كثير من مقدماتهم بالحديث عن الشيب والشكوى من الزمان ، ومن ذلك قول أبي تمام في مدح الحسن بن سهل :

أَبدَتْ أَسىً أَنْ رَأَتْني مُخْلِسَ القُصَبِ وآلَ ما كانَ مِنْ عُجْبٍ إلى عَجَبِ[4]

سِتٌّ وعِشْــرُونَ تَدْعُونــي فَأَتْبَعُها إلى المَشِيبِ ولم تَظْلِــمْ ولم تَحُبِ

فالشاعر يعلل لشيبه بما أصابه من أحداث زمانه ، وهموم حياته التي أصابته ؛ فظهرت على مفرقه وهو في مقتبل العمر . ويقول البحتري في مطلع إحدى قصائده :

---

[1]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 128 .
[2]ـ ديوان أبي تمام ، 2 / 146 .
[3]ـ ديوان البحتري ، 3 / 2023 ، الوسمي : أول الربيع سمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات . وظف : يقال في السحابة وظف : إذا تدلت ذيولها ، وسحاب وظف : أي دانٍ من الأرض .
[4]ـ ديوان أبي تمام ، 1 / 67 ، أخلس رأسه : صار فيه بياض وسواد . القصب : جمع قُصبة : وهي خُصْلة من الشعر تجعل كهيأة القصبة الدقيقة .

في الشَّيبِ زَجْرٌ لهُ لو كان يَنْزَجِرُ وَوَاعِظٌ منه لوْلاَ أنَّهُ حَجَرْ[1]

ويقول المتنبي في مطلع إحدى قصائده عندما ألمَّ الشيبُ برأسه :

ضَيْفٌ أَلَمَّ برَأسِي غَيرَ مُحْتَشِمِ والسَّيْفُ أحْسَنُ فِعْلاً مِنْهُ باللِّمَمِ[2]

وهذا الأسلوب في ابتداء القصائد نجده بكثرة في شعر ابن زيدون ، فكان دائماً ما تنتابه شكوى من الدهر ومن الشيب ، ومن قصائده التي بدأها بالشكوى من الزمن ، والدهر قوله :

أَلَمْ يَأنِ أنْ يبْكي الغَمامُ على مثْلِي ؟ ويَطْلُبَ ثأْرِي البرْقُ منْصلتَ النَّصْلِ[3]

وَهَلاَّ أَقَامَتْ أنْجُـمُ اللَّيْلِ مـــأْتماً لِتَنْدُبَ في الآفاقِ ما ضاعَ مِنْ نَثْلِي

ولو أنْصَفَتْنِي ـ وهي أشْكالُ هِمَّتِي ـ لأَلْقَتْ بِأيْدِي الذُّلِّ لَمَّـــا رأتْ ذُلِّي

و لاَفْتَرَقَتْ سَبْعُ الثُّرَيَّا وغَاضَـــها بِمَطْلَعِها ما فرَّقَ الدَّهْرُ مِنْ شَمْلِـي

فالشاعر يستهل هذه القصيدة " بالتماس الرحمة من كائنات جديرة بمشاركته عواطفه ومشاعره ، وصعابه ومآسيه ؛ فالغمام آن له أن يبكي على مصابه ، ويطالب البرق بثارات حقه المهضوم ، وتقيم أنجم الليل المآتم نادبةً ما تعرَّض له الشاعر من شجن وعناء ، ولو أنصفته هذه النجوم التي هي كفؤٌ لهمَّته لتهاوت من أبراجها لما ناله من ذلٍّ وضير"[4]

وأما من حيث ابتداء القصائد بالغزل ، فقد ابتدأ ابن زيدون الكثير من قصائده بالغزل ، على طريقة الشعراء المشارقة ، ومن قصائده التي بدأها بالغزل ، وبالغ في إطالته ـ قصيدته في مدح المعتضد بن عباد ، يقول ابن زيدون :

أعَرْفُكِ رَاحَ في عُرْفِ الرِّيـــاحِ فَهَزَّ مِنَ الهَوَى عِطْفَ ارْتيَاحِـي ؟[5]

وذِكْرُكِ ما تعرَّضَ أمْ عِـــدادٌ ؟ غَصِصْتُ عليه بالعَذبِ القَـــرَاحِ

وهل أنا مِنْكِ في نَشَواتِ شـوْقٍ ـ هَفَتْ بالعقلِ ـ أو نشـــواتِ راحِ؟

---

[1]ـ ديوان البحتري ، 2 / 953 .

[2]ـ ديوان المتنبي ، 4 / 34 ، المحتشم : المستحي المنقبض . واللِّمم : جمع لمة وهو الشعر الذي ألمَّ بالمنكبين .

[3]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 261 ، 162 ، النثلُ : ضرب من الطيب ، غاض : نقص وقل .

[4]ـ أسعد ، محمد جاسر جبالي ، الاستعطاف في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف (422 ـ 484) ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح ، نابلس ـ فلسطين ، 2003 ، ص 35 .

[5]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 428 ، 429 ، العَرف : الريح طيبة أو خبيثة ، العُرف : موج البحر أو شعر عنق الفرس ، العصف : الجانب ، العِداد : هياج الوجع أو مس من الجنون ، الماء القراح : الصافي الذي لا تشوبه شائبة ، النشوة : السكر ، هف : مال ، لعمرك : وحقك ، ورى الزند : خرجت ناره .

لعَمْرُ هــواكِ ما وَرِيـتْ زِنــادٌ لِوصْلٍ منك طــالَ لها اقْتداحِـــــي

وكَمْ أسْقَمتِ ـ من قلبٍ صحيـحٍ ـ بسُقْمِ جُفُونِكِ المَرْضى الصِّحَــاحِ

متى أُخْفِ الغَرامَ يَصِفْهُ جِسمي بألْسِنَةِ الضَّنى الخُرسِ الفِصَـــاحِ

يستهل الشاعر قصيدته بالحديث عن عبير المحبوبة الذي ضاع فحملته أمواج الرياح ، وذكراها التي هاجت أحزان النفس وآلامها ، لأنها ذكرته بصدها وهجرها ، ومعاناته ، في هواها الغلاب وضنها بالحب والوصال ، فأمرضت نفسه ، وأسقمت قلبه بلحظات عينيها الفاترة ، وأفصح نحول جسمه ، وذبول جسده عما حاول إخفاءه من الحب والهيام ؛ فلو خلع الثياب عنه لخفي جسمه الذابل خفاء خصرها النحيل تحت الوشاح .

و من القصائد التي استهلها بالغزل أيضاً ، قوله في مدح " ابن عباد " :

لِلْحبِّ ـ في تِلْكَ القِبابِ ـ مَرَادُ لَوْ سَاعَفَ الكَلِفَ المَشُوقَ مُرادُ[1]

ومن المقدمات التي جاءت متماشية مع البيئة الأندلسية الحضارية ، تلك المقدمات التي بدأها بالحديث عن الخمر ، ووصف الطبيعة ، فمن مطالع وصف الخمرة ، قوله :

وليلٍ أدمْنا فيه شُرْبَ مدامةٍ إلى أن بدا للصُّبحِ ـ في اللَّيل ـ تَأشِيْرُ[2]

ومن مطالع ابن زيدون في وصف الطبيعة ما جاء في قصيدته الضادية في المعتضد ، عندما أباح له أن يتنزه وحرمه في إحدى جناته ، معتمدا في ذلك على وصف الطبيعة حيث أنه افتن في وصف تلك البساتين والرياض الجميلة ، متأثراً بطريقة أبي تمام في اعتماده على وصف الطبيعة في مقدمة القصيدة ، يقول ابن زيدون :

غَمَرَتْنِي لَكَ الأيَادِي البِيْضُ : نَشَبٌ وَافِرٌ ، وَجَاهٌ عَرِيــضُ[3]

كُلَّ يومٍ يَجِدُّ مِنكَ اهْتِبَـــالٌ عَهْدُ شُكْرِي عليه غَضٌّ غَرِيضُ

بوَّأَتْني نُعْمَاكَ جَنَّـــةَ عَدْنٍ جَالَ في وصفِها فَضَلَّ القَرِيـضُ

مُجْتنىً مُدَّنٍ ، وظِـــلٌ بَرُودٌ ونسِيمٌ ـ يشفي النَّفُوس ـ مَرِيضُ

---

[1]ـ المصدر نفسه ، ص447 ، الكلف : المحب . مراد : أمل .
[2]ـ المصدر نفسه ، ص 245 ، التأشير : التحزيز في الأسنان وحدَّة أطرافها .
[3]ـ المصدر نفسه ، ص 239 .

فابن زيدون يستهل قصيدته بوصف الطبيعة ، متأثراً في ذلك بشعراء العصر العباسي كأبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي في اعتمادهم على وصف الطبيعة في مقدمات قصائدهم ، فالشاعر في هذه المقدمة يمزج بين الطبيعة والمدح وهو أسلوب تأثر فيه بالشعراء العباسيين ، وقد وقف الدكتور مصطفى الشكعة عند هذه الظاهرة في شعر المديح الأندلسي ، فرصدها عند أبرز الشعراء الذين ظهرت في شعرهم ، وأشار إلى وجودها في الشعر المشرقي ، ووازن بينه وبين الشعر الأندلسي في هذه الظاهرة ، وقد أقرَّ بأنها مشرقية قبل أن تكون أندلسية[1] ، ودرس الدكتور عمر الدقاق هذه الظاهرة في موضوع (المديح) تحت عنوان (الطبيعة والمديح) ، فلاحظ أن علاقة المديح بوصف الطبيعة قد بدأت منذ أن هبت رياحُ التجديد على الشعر إبَّان العصر العباسي ، وقد تجلت في تجديد مقدمات القصائد المدحية[2] .

وكان ابن زيدون في بعض الأحيان يخوض في غرضه دون أن يمهد له بغزلٍ ، أو نحوه ، ومن ذلك قصيدته في مدح المعتضد ، عندما نشبت حروبٌ بين المعتضد بن عبّاد والمظفر ابن الأفطس ، وانتهت بانتصار المعتضد سنة 442 هـ ، وكان إسماعيل بن المعتضد وولي عهده قائدَ جيوشه ؛ فسجّل الشاعر هذا النصر ، وقال مادحاً الأمير وابنه ، مستهلاً قصيدته بقوله :

ليهْنِ الهُدَى إنْجاحُ سَعْيِكَ في العِدَا وأنْ راحَ صُنْعُ اللهِ نَحْـــوَكَ واغْتَدَى [3]

ونهْجُك سُبْلَ الرُّشْدِ في قمعِ مَنْ غَوَى وعدلُكَ في اسْتِئْصالِ مَنْ جارَ واعْتَدَى

وأنْ باتَ مَنْ وَالَاك في نشْوةِ الغِنَى وأصْبَحَ مَنْ عَادَاك في غمْرةِ الرَّدَى

هكذا ابتدأ ابن زيدون قصيدته بالمديح دون أن يمهّد له بشيء ، وقد مضى في المديح إلى آخر القصيدة المتكوّنة من سبعةٍ وأربعين بيتاً فلم نره يخلط به غرضاً آخرَ ، وإن كان النقاد قد عابوا على الشعراء الخوض في المديح دون أن يمهدوا له بشيءٍ من الغزل ونحوه ، إلّا أنهم استثنوا من ذلك المديح الذي يشتمل على الحوادث التاريخية ، كالفتح ، أو هزيمة جيشٍ ، أو غير ذلك ، يقول ابن الأثير: " يجب على الشاعر إذا نظم قصيداً أن ينظر ؛ فإذا كانت مديحاً صرفاً ، فهو مخير بين أن يفتتحها بغزل أو لا ، أما إذا كانت في حادثةٍ من الحوادث كفتح أو هزيمة جيش أو غير ذلك ، فإنه لا ينبغي الابتداء بالغزل ، لأنّ ذلك يدل على ضعف قريحة الشاعر وقصوره عن الغاية ، أو على جهله بوضع الكلام في مواضعه ، ولأنّ الأسماعَ تكون متطلِّعة إلى ما يقال

---

[1]- ينظر الأدب الأندلسي ـ موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين الطبعة الثامنة ، 1995، ص 345 .

[2]- ينظر ملامح الشعر الأندلسي، دار الشرق ـ بيروت ، 1974 ،214.

[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ، ص 467 ، 468 ، الصنع : الجميل والمعروف . والاك : ناصرك . النشوة : السكرة أو الرائحة الطيبة . الغمرة : الشدة . وغمرات الموت شدائده .

في تلك الحوادث "[1] ، وهذا النهج من المديح يذكرنا بمدائح أبي نمام ، والبحتري ، والمتنبي ، عندما يصوّرون انتصارات ممدوحيهم ، وفتوحاتهم ، حيث أنّهم في مثل هذه الحالات ، يعمدون إلى المديح دونما تمهيد ، يقول أبو تمام ، في فتح عمورية:

السَّيفُ أصْدَقُ إنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ في حدِّهِ الحدُّ بَيْنَ الجدِّ واللَّعبِ[2]

ومن ذلك ، قصيدة المتنبي الداليّة في مدح سيف الدولة فقد بدأها بالمديح دون أن يمهّد له بشيء ، إلى أن ختمها بذلك الغرض ، ومطلعها :

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دهْرِهِ ما تعوَّدَا وعاداتُ سيفِ الدَّولةِ الطَّعْنُ في العِدا[3]

ونلاحظ أنّ القصائد التي بناها ابن زيدون على المديح وحده قليلةٌ جداً إذا ما قورنت بالقصائد التي استهلها بالغزل ، وغيره .

أما في مجال الصياغة اللفظية فقد اعتنى شعراء العصر العباسي بالمطلع الشعري لقصائدهم فأحكموا نسج ألفاظه ، وعملوا على زخرفتها بالبديع ، والتصريع ، والمساواة ، والازدواج ، يقول حسين عطوان " فصناعة المقدمة والتمهل في نسجها وحبكها وتطريزها بزخرف البديع ؛ أساس لا يشذّ عنه ولا يخرج عليه ، بل يراعيه بكل دقة وتريث "[4] ، ومن ذلك قول المتنبي :

أيا خَدَّدَ اللهُ وَرْدَ الخُدُودِ وقَدَّ قُدُودَ الحِسانِ القُدُودِ [5]

حيث نرى ابتداءً رائعاً ، جانس بين لفظتين في كل شطر ، وساوى بين شطري البيت ، وصرع بين عروضه ، وصدره . ومن مطالع ابن زيدون التي اعتنى بصياغتها ، قوله :

مَرَادُهُمُ حَيْثُ السِّلَاحُ خَمَائِلُ ومَوْرِدُهُمْ حَيْثُ الدِّمَاءُ مَنَاهِلُ[6]

فالشاعر يجانس بين (مَرَادُهُمُ) ، و (مَوْرِدُهُمْ) ، جناساً ناقصاً ، ويصرع بين (خَمَائِلُ) ، و (مَنَاهِلُ) ، ويساوي بين شطري البيت .

---

[1]- المثل السائر 3 /96 .
[2]- ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط / الثانية ، 1994 ، 1 / 32 .
[3]- ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، 1 \ 281 .
[4]- مقدمة القصيدة في العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، بمصر ، 1975 ، ص 172 .
[5]- ديوان المتنبي 1 / 341 ، خدد : شقق . والتخديد : التشقيق .
[6]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 387 .

حسن التخلص : وهو أن ينتقل الشاعر مما ابتدأ به الكلام من غزل ، أو نسيب ، أو وصف ، أو غير ذلك " إلى المدح أو غيره بلطف وتحيل ، ومع مراعاة الملاءمة بينهما ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني ؛ لشدة الملازمة والالتئام والانسجام بينهما حتى كأنما قد أفرغا في قالب واحد ، فلا يكاد السامع يفرغ من التشبيب حتى يجد نفسه قد انتقل إلى الغرض الذي أنشأ الشاعر له قصيدته "[1] . فالتخلص هو الجسر الرابط بين المقدمة والموضوع الرئيس ، وهو مما اعتنى به المتأخرون ، دون غيرهم من المتقدمين ، فالشعراء العباسيون قد اهتموا بحسن التخلص وشاع بينهم و" لهجوا به كثيراً لما فيه من البراعة والدلالة على قوة عارضة الشاعر وملكته ، أما المتقدمون من الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين فهو عزيز في كلامهم ، نزر الوجود وإن وقع منهم فإنما يقع على سبيل الندرة ، ومذهبهم في الانتقال إلى المدح الذي جروا عليه في غالب مدائحهم إنما هو الاقتضاب "[2].

والمتتبع لتخلصات أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، يجد أنهم قد حرصوا على تحسين الانتقال من المطلع إلى المديح في بلاط الأمراء والحكام ، مستجيبين في ذلك لتوجيهات النقاد القدامى الذين بسطوا القول في هذا المفصل الهام من مفاصل القصيدة المركبة والذين حددوا شروط التخلص وطرق الانتقال بين موضوعات القصيدة ، ومن ذلك ، قول أبي تمام في مدح محمد بن الهيثم بن شبانة ، فقد بدأ أبو تمام قصيدته بذكر الأحبة والدعاء بالسقيا لديارهم وطلولهم في نحو ثمانية أبيات ثم تخلص ببراعة إلى ممدوحه قائلاً :

لِمُحَمَّدِ بنِ الهَيثَمِ بنِ شبانةٍ مَجْدٌ إلى جَنْبِ السِّماكِ مُقِيمُ[3]

وكقول البحتري :

سُقِيَتْ رُبَاكَ بكُلِّ نَوْءٍ عَاجِلٍ مِنْ وبْلِهِ حَقاً لَهَا مَعْلُومَا[4]

فَلَو أَنَّنِي أُعْطِيتُ فِيهِنَّ المُنَى لَسَقَيتُهُنَّ بِكَفِّ إبَراهِيمَا

وكقول المتنبي :

خَلِيْلَيَّ ، إنّي لا أرَى غيرَ شاعِرٍ فكم منْهُمُ الدَّعْوى ، ومِنّي القَصَائِدُ[5]

---

[1]- بدوي أحمد أحمد ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، ص 311 .

[2]- ابن معصوم المدني ، السيد علي صدر الدين (1052 - 1120) ، أنوار الربيع في أنواع البديع ، الجزء الثالث ، تحقيق شاكر هادي شكر ، الطبعة الأولى ، مكتبة العرفان - بكربلاء - العراق ، 1969 ، 240 ، 241 .

[3]- ديوان أبي تمام ، 2 / 146 .

[4]- ديوان البحتري ، 3 / 1965 ، النوء : المطر . الوبل : المطر الشديد الضخم القطر .

[5]- ديوان المتنبي ، 1 / 271 .

فلا تَعْجَبَا ، إنَّ السّيُوفَ كثِيرةٌ ولكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلةِ اليَـوْمَ واحِـــدُ

وإذا انتقلنا إلى الطرف الأندلسي المتمثل في ابن زيدون نرى أنه كان من الشعراء الذين يحسنون التخلص ، والانتقال من موضوع لآخر ، مقتفياً آثار الشعراء العباسيين في هذا المضمار ، ومن أمثلة حسن التخلص في شعر ابن زيدون ما جاء في قصيدته الرائية في مدح ابن جهور وهو في السجن كيف استطاع أن ينقلنا من مقدمة غزلية بذكاء وروعة ـ فجاء تخلصاً لطيفاً محققاً الشرط الذي اشترطه حازم القرطاجني حين قال : " ويجب أن يكون التخلص لطيفاً "[1] ـ وذلك في البيت الوارد في نهاية المقدمة إلى وصف حاله ، فيقول :

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ عَنْ حَالِي فَشَاهِدُهَا مَحْضُ العِيَانِ الَّذِي يُنْبِي عَنِ الخَبَرِ[2]

ومثل هذا التخلص لا يمكن أن يصدر إلاَّ عن حذق الشاعر وقوة تصرفه ، وقدرته وطول باعه ، وهذا التخلص المختلس السهل هو الذي ارتضاه الحموى ، في قوله : و " حسن التخلص هو أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنى إلى معنى آخر يتعلق بممدوحه بتخلص سهل يختلسه اختلاساً رشيقاً دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتى كأنما أفرغا في قالب واحد ، ولا يشترط أن يتعين المتخلص منه ، بل يجري ذلك في أي معنى كان ، فإن الشاعر قد يتخلص من نسيب أو وصف روض .... أو معنى من المعاني يؤدي إلى مدح أو هجوم .... ولكن الأحسن أن يتخلص الشاعر من الغزل إلى المدح "[3] ، ومن القصائد التي تخلص فيها ابن زيدون من المقدمة الغزلية إلى المدح فائيته الطويلة في مدح ابن عباد ، التي يستهلها بقوله :

أَمَا فِي نَسِيمِ الرّيحِ عَرْفٌ مُعَرِّفُ لَنَا :هَلْ لِذَاتِ الوَقْفِ بِالجِزْعِ مَوْقِفُ ؟[4]

فنَقضِـــيَ أوْطَارَ المُنَى مِنْ زِيَارَةٍ لَنَا كَلَـــفٌ مِنْـهَا بِمَـــــا نَتَكَلَّــفُ

وظل يتغزل بمفاتن محبوبته في نحو سبعةٍ وعشرين بيتاً ، ثم تخلّص بسلاسة ويسر إلى المديح دون أن يشعرنا بطفرة ، فقال :

ولاَ قَبْلَ " عبَّادٍ " حَوَى البَحْرَ مجْلِسٌ وَلَا حَمَلَ الطَّوْدَ المُعَظَّمَ رَفْرَفُ[5]

---

[1]ـ القرطاجني ، حازم ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بالخوجة ، دار العرب الإسلامي ، بيروت ، ط / 3 ، 1981 ، 306 .

[2]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 253 .

[3]ـ الحموي ، ابن حجة ، خزانة الأدب وغاية الأرب تحقيق عصام شعيتو ، دار الهلال ـ بيروت ، الطبعة الثانية 1991 ، 2 /149 .

[4]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، صـ 479 .

[5]ـ المرجع نفسه ، صـ 486 ، الطود : الجبل العظيم . الرفرف : ثياب عريضة خضر تُتَّخذ منها مفارش الوسائد والأسرة .

يقول علي سلامة : " ثم أخذ يضرب على قيثارة المدح بوصف ابن عباد بالصفات التي يجلها العربي ، فهو جواد كالبحر ، قوي العزيمة كالطّود ، خير معين على تجاوز صروف الدهر ونكبات الزمن ، طلق الوجه ولكن في قوة ومضاء كفرند السيف ، يروق رائيه لكنه مرهف الحد ، وظل يمدح ويمدح إلى أن وصل إلى هدفه ". [1]

وهو بهذا الفعل يبدو متأثراً بالشعراء العباسيين ، وخاصّة أبي تمام والبحتري والمتنبي فقد كانوا في كثير من مدائحهم يستهلّونها ، بالغزل ، أو وصف الطبيعة ، أو الحديث عن الخمرة ، ثم يتخلّصون ببراعة ويسر إلى المديح ، ونلاحظ أن ابن زيدون ـ على غرار شعراء الأندلس ـ سلك " مسالك عدة للتخلص الرقيق والانتقال الهادي في قصائد المديح باستخدام أدوات للربط ، مثل كأن المخففة أو الثقيلة والكاف ، والواو ، والفاء ، و أو ، وأساليب الشرط والقصر والاستفهام غير الحقيقي ؛ لإيهام المتلقي باتصال المعنى داخل السياقات المختلفة وانسيابه انسياباً عفوياً "[2]

وله قصيدة ميمية في مدح صاحب بطليوس المظفر سيف الدولة أبي بكر محمد بن مسلم ، قد بدأها بمقدمة غزلية طويلة ، يقول في مطلعها :

لِبيضِ الطَّلى ولِسودِ اللِّمَمْ بِعقْلي ـ مُذ بِنَّ عنِّي ـ لِمَمْ[3]

وبعد أربعة عشر بيتاً من الغزل والشكوى من الشيب والزمن ، تخلص إلى مدح (أبي بكر محمد بن مسلم) تخلصاً حسناً ، يبدأ فيه بأداة التشبه كأنَّ ، ذاكراً اسم ممدوحه ، فقال :

كَأنَّ " أبا بكرٍ " الأسْلَمِي أجْـــرَى عليها فِرِنْدَ الكَرَمْ[4]

ولابن زيدون قصيدة تحتوي على ثلاثة أغراض يمدح ويهنّئ فيها أبا الوليد بن جهور عندما تسلَّم زمام الحكم ، وهي قصيدة في أربعين بيتاً ، ومطلعها :

ما لِلْمُدامِ تُدِيرُها عيناكِ فيَمِيلَ في سُكْرِ الصِّبا عِطْفاكِ[5]

هلّا مَزَجْتِ لِعَاشِقِيكِ سُلافَهَا ببرود ظَلْمِكَ أو بِعذْبِ لَمَاكِ

حيث ابتدأ الشاعر قصيدته بوصف الخمر ، ثم نراه يتغزّل بمحبوبته ، فيقول :

---

[1]ـ الأدب العربي في الأندلس ، تطوره ـ موضوعاته وأشهر أعلامه ، صـ 194 .

[2]ـ نجا ، أشرف محمود ، قصيدة المديح في الأندلس ، عصر الطوائف (دراسة فنية) ، رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ، الإسكندرية ، 1994 ، ص 174 .

[3]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 406 .

[4]ـ المصدر نفسه ، ص 409 .

[5]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، صـ 343 ، 344 ، البرود : العذب البارد ، اللّمى : سمرة الشفه ، يقول : أتمنى أ ن تمزجي لعاشقيك كؤوس الراح بريقك العذب البرود .

واهاً لِعَطْفِكِ ! ! والزّمانُ كأنّما صُبِغت غَضَارتُهُ بِبُرْدِ صِبَاكِ [1]

فظل يصف الخمرة ويتغزّل إلى أن بلغ أثني عشر بيتاً ، ثمّ تخلّص ببراعة ويسر إلى غرضه الأصلي وهو المديح ، فقال :

ولِلجهْوريّ أبي الوليد خــلائقٌ كالرّوضِ أضْحكهُ الغَمَامُ الباكي [2]

مَلِكٌ يسُوسُ الدَّهرَ منه مُهذّبٌ تدبيــــرُهُ للمُــــلْكِ خيــرُ مِــلاكِ

فبدأ تخلصه للممدوح ، بحرف العطف الواو ، ذاكراً اسم ممدوحه ، واصفاً اخلاقه بالروض الذي أضحكه الغمام الهاطل . وأن هذه الملك يسوس الدول أفضل سياسة ، وخير تدبير .

خاتمة القصيدة : وهي آخر ما يقوله الشاعر من تدل على نهايتها ، وقد أطلق عليه بعض النقاد مصطلح (المقطع) وقد أولوه اهتماماً لا ينقص في أهميته عن المطلع ، وحسن التخلص ، وفي ذلك يقول ابن رشيق : " وأما الانتهاء فهو القاعدة وآخر ما يبقى في الأسماع ، وسبيله أن يكون محكماً : لا تمكن الزيادة عليه ، ولا يأتي بعده أحسن منه ، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له ، وجب أن يكون آخر الشعر قفلاً عليه "[3] ، وقد اهتم أبو تمام ، والبحتري ، والمتنبي بالخاتمة اهتماماً بالغاً ، ومن أمثلة خواتيم قصائد أبي تمام قوله ، في مدح مهدي بن أضرم :

فلو صَوَّرْتَ نَفْسَك لم تَزِدْهَا على ما فيكَ من كَرَمِ الطِّبَاعِ[4]

وللبحتري قصيدة في مدح المتوكل ختمها بقوله :

على اللهِ إتمامُ المُنى فيك كُلِّها لنا ، وعَلَيْنَا الحَمْدُ للهِ والشُّكْرُ [5]

ومنها قول المتنبي في مدح سيف الدولة :

فَلا حَطَّتْ لَكَ الهَيْجَاءُ سَرْجاً وَلا ذَاقَتْ لَكَ الدُّنيَا فِرَاقاً[6]

وقد علق الدكتور أحمد أحمد بدوي على هذا البيت قائلاً : " وجمال هذا المقطع في إشعاره بأنه دعاء صادر من قلب معجب بمن يثني عليه ، فهو بعد أن صوره في القصيدة ، ورسم خلاله الرفيعة ، يكون من الطبيعي أن يختم ذلك بهذا الدعاء الصادر من قلب الشاعر "[1]

---

[1]- المصدر نفسه ، صـ 344 ، واهاً : كلمة تلهف ، أو تعجب ، الغضارة : الخصب والنعمة ، البرد : ثوب مخطط .
[2]- المصدر نفسه ، صـ346 .
[3]- العمدة ، 1 / 239 .
[4]أ ديوان أبي تمام ، 1 / 408 ، لأن الله قد بلغ بك أقصى المنازل .
[5]- ديوان البحتري ، 2 / 994 .
[6]- ديوان المتنبي ، 2 / 303 .

وإذا نظرنا إلى خواتيم قصائد ابن زيدون ، نجده لم يشذ كثيراً عن ما ارتضاه النقاد ، فكان في بعض قصائده يستلهم سَنن شعراء العصر العباسي من حيث العناية بخاتمة القصيدة ، فيجعل " الاختتام في كل غرض بما يناسبه ، ساراً في المديح والتهاني ، وحزيناً في الرثاء والتعازي "[2]. كما نراه في مدائح الملوك والأمراء يعتني بتحسين انتهاءاتها اعتناءه بمطالعها ، مستجيباً في ذلك لتوجيهات النقاد الذين اشترطوا وجوب تضمين خواتيم القصائد حكمة بالغة ، أو مثلاً سائراً ، أو تشبيهاً بديعاً ، من أجل إثارة انفعالات الممدوح وإطلاق يده بالمكافأة و إجزال الهدية[3]. و" ليس أقدر على إثارة انفعالات الممدوح ، من الدعاء له بالخير والعزة ودوام الأجل والملك وتحقيق الأهداف والآمال والنصر على الأعداء والمشركين ، وما شابهها من معانٍ"[4] . ومن قصائد ابن زيدون التي ختمها بالدعاء ، قوله في مدح المظفر بن الأفطس التي مطلعها :

لِبِيضِ الطُّلى ولِسُودِ اللِّمم بعقلي ـ مُذ بِنَّ عنِّي ـ لَمم[5]

وقد أسهب الشاعر في مطلع قصيدته في الغزل ، في حوالي خمسة عشر بيتاً ثم تخلص إلى المديح الذي بلغ أربعةً وثلاثين بيتاً ، ثم ختم قصيدته ببيت رائع فيه دعاء للممدوح ، قائلاً فيه :

وَلاَ يَزَلِ الدَّهْـــــرُ أيَّـــامُهُ لَكُمْ حَـــشَمٌ واللَّيالي خَـــدمْ[6]

فالشاعر يدعو للممدوح ، سائلاً الله أن يطيل الدهر بأيامه ولياليه خدمةً للممدوح وتلبيةً لرغائبه . وإذا تتبعنا قصائد ابن زيدون في المدح نرى أنه يختم أغلبها بالدعاء للممدوح بطول العمر ودوام النعمة ، ومن ذلك قصيدته في مدح أبي الوليد بن جهور والتي جاءت في نحو أربعين بيتاً ، بعد أن مهد لها بغزل رائع في محبوبته ولادة ، وهو غزل ممزوجٌ بوصف الخمر، فختمها بدعاء لممدوحه بطول العمر ، فيقول :

دَامَتْ حَيَاتُكَ ما اسْتُدِمْتَ ، فَلَمْ تَزَلْ تَحْيَا بِكَ الأخْطارُ بَعْدَ هَلاكِ [7]

وختم ابن زيدون قصيدته التي عزى فيها الأمير أبا الوليد بن جهور في أمه ، قائلاً :

عَطَاءٌ ولا منٌّ ، وحُكْمٌ ولا هَوىً وحلْمٌ ولاَ عجْزٌ، وعزٌ وَلاَ كِبْرُ[8]

---

[1]ـ أسس النقد الأدبي عند العرب ، ص317 .
[2] ـ القرطاجني ، حازم ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بالخوجة ، دار العرب الإسلامي ، بيروت ط/ 3 ، 1981 ، 306 .
[3]ـ ينظر ، المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
[4]ـ نجا ، أشرف محمود ، قصيدة المديح في الأندلس ، ص 187 .
[5]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 406 .
[6]ـ المصدر نفسه ، ص 417 .
[7]ـ المصدر السابق ، ص 351 ، الخطر : المنزلة والقدر .
[8]ـ المصدر نفسه ، 548 .

قَدِ اسْتوفَتِ النُّعْماءُ فِيكُمْ تَمَامَهَا عَلَيْنا ، فَمِنَّا الحَمْدُ للهِ والشّكْرُ

يقول ابن زيدون : لقد أتمت السعادة بكم نعماءها ، فلله منا أطيب الحمد وأعذب الثناء .

ولابن زيدون قصيدة عينية يرثي فيها أم المعتضد ، فختمها بالتعزية ، داعياً له بالبقاء ، فقال :

ودمْتَ مُلقَّى أنْجُمَ السَّعْدِ ، باقِياً لِدينٍ ودنيا أنتَ فَخْرُهُمَا مَعاً[1]

يقول : أدعو الله أن يجعل نجومك طالعة دائماً بالسعد ، وأن يبقيك ملاذاً للدين والدنيا ، فأنت زينة للدنيا وعصمة للدين .ولما ثارت بقرطبة فتنة ضد أبي الوليد بن جهور ، التي تولى كبرها أحمد بن محمد بن ذكوان ، وقد لفحت جذوتها ابن زيدون ففزع إلى الأمير متبرئاً من هذه الفتنة معلناً ما يضمره له بنو ذكوان من البغض ، فقال فيه قصيدة عينية ، ختمها ببيت يتناسب مع القصيدة ، داعياً فيه بالنصر لأميره على الأعداء ، يقول ابن زيدون :

لاَ زالَ جَدُّكَ بالأعدَاءِ يَصْرَعُهُمْ إنْ كانَ بَيْنَ جُدُودِ النَّاسِ مُصْطَرَعُ[2]

هكذا بدا تأثر ابن زيدون بأبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي في بناء القصيدة المركبة من حيث العناية بالمطلع وجعله للتغزل بالنساء أو الحديث عن الخمرة أو الشكوى من الزمن والشيب ، وكذلك تأثر بهم في طريقة التخلص من المطلع إلى الغرض الأساسي على طريقتهم ، ثم التحول إلى الخاتمة والعناية بها لأنها آخر ما يقرع الأسماع ، والحرص على جعلها دعاءً للممدوح ، أو الإشادة بدحر الأعداء وهزيمتهم ، وقد يختمها بحكمة بالغة أو مثلٍ سائرٍ أو تشبيهٍ بديعٍ ، بالإضافة إلى تأثره بأسلوبهم في بناء القصائد المركبة ، تأثر بهم في بناء القصائد البسيطة التي تدور حول موضوع واحد ، كما نهج نهجهم في قصائد الحماسة والحث على القتال ، فنراه يندفع إلى الموضوع مباشرةً دون أن يمهد له بغزل أو نحوه .

[1] المصدر نفسه ، ص 559 .
[2] ـ المصدر نفسه ، 304 ، الجد : الحظ .

المبحث الثاني ، أثر شعراء العصر العباسي (أبي تمام والبحتري والمتنبي) في شعر ابن زيدون في المعجم الشعري :

تختلف الألفاظ والكلمات في الشعر من شاعر إلى شاعر آخر تبعاً لاختلاف الشعراء ، واختلاف ثقافاتهم وبيئاتهم ، فلكل شاعر معجم شعري خاص به ، وإذا تتبعنا ديوان أي شاعر أو آثاره الشعرية ، تبدو لنا ملامح خاصة تتضح في ديوانه وآثاره ، وأنا في هذا المبحث لست بصدد تتبع معجم ابن زيدون الخاص به ، بقدر ما أنا معني بتتبع أثر معجم أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي الشعري في معجم ابن زيدون ، الذي فيما يبدو لا يختلف كثيراً عن معجم ألفاظهم الشعرية ، ولا سيما أن ابن زيدون كان في كثير من الأحيان يعارض قصائدهم ، ويضمن أشعارهم ، ويأخذ معانيهم وألفاظهم ، فهذا دليل واضحٌ على أن ابن زيدون كان يغترف من معجمهم الشعري ، لفظاً ومعنىً .

ولا نريد في هذا المبحث أن نتوقف عند كل الألفاظ التي نظر فيها ابن زيدون إلى معجمهم الشعري ، إنما سنتتبع بعض أوجه الاتفاق بين الطرفين ، أي بين الشعراء العباسيين الثلاثة ، وابن زيدون ، ولعل أبرز هذا الاتفاق يتمثل في حشد الثقافات المتعددة في أشعارهم ، حيث زخرت أشعار العباسيين ، بالكثير من المضامين الدينية ، والتراثية ، يقول شوقي ضيف : " وشعر أبي تمام زاخر بما يدل على أنه انقض على معارف عصره انقضاضاً حتى تمثلها تمثلاً دقيقاً ، وخاصةً التاريخ وعلم الكلام وما يتصل به من الفلسفة والمنطق "[1].

وذكر أن البحتري كان ملماً بحظوظ مختلفة من الثقافات وأبرزها الثقافة الدينية [2] ، والمتتبع لديوانه يلحظ " بشكل جلي اقتباسه من القرآن الكريم ، حيث شكل القرآن رافداً مهماً في ثقافة الشاعر ، إذ استوحى النص القرآني بآياته وألفاظه ومعانيه وصوره وقصصه ، استيحاءً فاعلاً يكشف عن أفكاره ، وينقل القارئ من جو الواقع المعيش إلى أجواء تراثية عميقة "[3] .

كما كان المتنبي حريصاً على تزيين شعره بالثقافات التراثية ، والدينية ، ولعل الثقافة الدينية أكثر حضوراً في شعره ، وقد تتبع الدكتور عبد الله التطاوي في كتابه الحركة الشعرية بين الإبداع والنقد هذه الظاهرة التي غصَّ بها ديوانه الضخم ، سواءً أكان ذلك تضميناً أم إشارة ، أم استفادةً من المعجم الإسلامي في شعره [4].

---

[1]- تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة السادسة عشر ، ص 276 .
[2]- تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية عشر ص184 .
[3]- حسن ، رائدة زهدي رشيد ، الماء في شعر البحتري وابن زيدون " دراسة موازنة " ، ص154 .
[4]- ينظر ، التطاوي ، د - عبدالله ، الحركة الشعرية بين الإبداع والنقد ، مستوى الرؤية والتجربة في إبداع المتنبي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2007 ، ص 22 ، وما بعدها .

ويبدو أن ابن زيدون تأثر بهم في هذا النهج ، فلا شك في أنه كان من أكثر الشعراء استلهاماً للتراث ، وكانت له دراية واسعةً بعلوم الدين ، والأدب ، والتاريخ ، وقد ضمن ثقافته تلك في كثير من أشعاره ، فلا نكاد نجد له قصيدة إلا وفيها ذكر لحادثة ، أو مثل استمده من مصادر معارفه ، يقول الأستاذ علي عبد العظيم : لقد " ولع الشاعر بالاقتباس والإشارة إلى المأثور من الحكم والأمثال ، وفرائد الشعر القديم ، ثم الشغف بالإشارة إلى الأحداث التاريخية والنوادر الأدبية "[1] ، وقد كان القرآن الكريم في مقدمة المصادر المعرفية التي أفاد منها الشاعر ، حيث ظهرت ألفاظه ومعانيه جليةً في معجمه الشعري ، واتخذ من قصصه وسيلة لعرض قضيته ، ومن ذلك قوله :

نارُ بَغْيٍ سَرى إلى جَنَّةِ الأمْنِ لظَاهَا فأصْبحَتْ كالصَّرِيْمِ[2]

بِأبِي أنْتَ !! إنْ تَشَأْ تَكُ بَرْداً وسَلاماً كنارِ إبراهيمِ

يشير الشاعر في البيت الأول إلى الآية " فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِن رَّبِّكَ وَهَمْ نَائِمُونَ ، فَأَصْبَحَتْ كالصَّرِيم "[3] ، أما في البيت الثاني فأشار إلى قصة سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ الذي ألقى به قومه في النار ؛ ليحرقوه فأنقذه الله منها بأن جعلها برداً وسلاماً عليه .

والشاعر نُكِبَ وزُجَّ به في السجن بفعل دسائس الوشاة الذين كانوا كإخوة يوسف ـ عليه السلام ـ حين ألقوا به في غيابات الجبِّ ، واتهموا الذئب زوراً وبهتاناً بدمه ، يقول :

كَانَ الوُشَاةُ ـ وقَدْ مُنِيتُ بإفْكِهِمْ ـ أسْباطَ يَعقُوبٍ وكُنْتُ الذِّيْبَا[4]

وخاطب الشاعر أمه من سجنه وذكّرها بأم موسى ـ عليه السلام ـ ؛ ليصبّرها على فراقه ، ويؤملها بلقائه ، يقول :

أَمَـــقْتولةَ الأجْفَـانِ مَالَكِ والــهاً ؟ ألمْ تُرِكِ الأيَّـــامُ نجماً هوى قَبِلـــــــي[5]

أقِلّي بكـاءً لسْـــتِ أوَّلَ حــرّةٍ طَوَتْ بالأسى كشْحاً على مضَضِ الثُّكلِ

وفي " أمِّ موسى" عِبرةٌ إذ رَمَتْ بِهِ إلى اليمِّ في التَّابُوتِ ، فاعْتبِري واسْلِي

---

[1] ـ ابن زيدون ، سلسلة أعلام الفكر ، دار الكاتب العربي ـ القاهرة ،1967 ، ص 204 .

[2] ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 283 ، الصريم : الزرع المحصود ، أو الليل المظلم .

[3] ـ القلم : الآية 19 ، 20 .

[4] ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 330

[5] ـ المصدر نفسه ، ص264 ، فالشاعر في هذه الأبيات يناجي أمه على كثب ، ويناشدها بأن تتحلّى بالصبر ، وتتأسّى بما أصاب أم موسى عليه السلام .

حيث يشير الشاعر ـ في البيت الثالث ـ إلى قوله تعالى : " إذْ أَوْحَيْنَا إلى أُمّكَ مَا يُوحَى ، أَنِ اقذفيهِ في التَّابُوتِ فاقْذِفيه في اليمِّ فليُلْقِهِ اليَمُّ بالسَّاحِلِ يَأخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدوٌّ لَهُ ..."[1] .

وتأسّى الشاعرُ مرّةً أخرى بموسى ـ عليه السلام ـ حين برّر هروبه من السجن ، فقال :

فَرَرْتُ ، فإنْ قالُوا الفِرَارُ إِرَابَةٌ فقد فرّ موسى حين همّ به القِبْطُ[2]

وخاطب سجانه نافياً ما اتهم به موضحاً أن لا يعقل أن ينكث فيه القصائد التي نظمها في مدحه :

أَأَنْكُثُ فِيكَ المَدْحَ مِنْ بَعْدِ قوةٍ ولا أَقْتَدِي إلَّا بِناقِضَةِ الغَزْلِ؟[3]

ويشير الشاعر في هذا البيت إلى الآية الكريمة " ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً "[4] .

وعندما التمس الشاعر شفاعة صديقه أبي حفص بن برد عبر عن المحبة التي يكنها له ، وقد كانت تلك المحبة كالنص الذي لا يخالفه قياس :

وَوِدَادِي لَك نَصٌّ لمْ يُخَالِفْهُ القِيَاسُ[5]

لقد دلَّ الشاعر في هذا البيت على علمه بأصول الفقه ، حيث يعد النص سواءً أكان من القرآن أم السنة الشريفة أقوى مصادر التشريع ، ويفوق غيره من المصادر الأخرى كالاجتهاد والقياس ، وعبّر الشاعر في القصيدة ذاتها عن بؤسه وشقائه حين شكا أصدقاءه الذين تنكروا له وانقلبوا عليه بعد نكبته :

مَا تَرى في مَعْشَرٍ بَعْدَمَا حَا لُوا عنِ العَهْدِ وخَاسُوا؟[6]

ورَأوْنِي سَـــــــــامِرِيَّاً يُتَّـقَى مِنْهُ المِـــسَاسُ

والشاعر في هذين البيتين يشير إلى قصة السامري الذي عبد العجل فعوقب بأن منع من مخالطة الناس ، فكان إذا مسَّ الناس حُمَّ الماس والممسوس ، فتحامى الناس وتحاموه ، وكان يصيح فيهم : لا مساس . وإلى جانب معرفته الدينية ، رأينا ابن زيدون يوظف معرفته التاريخية الواسعة في أشعاره فها هو يخاطب سجانه قائلاً :

ولَو أنَّنِي واقَعْتُ عَمْدًا خَطِيْئَـةً لمَا كَانَ بِدْعاً مِنْ سَجَايَاكَ أنْ تُمْلِي[7]

فَلمْ أسْتَثِرْ حَرْبَ الفِجَارِ وَلَمْ أطِعْ مُسِيْلِمَةً إذْ قالَ إنِّي مِنَ الرُّسْـــلِ

---

[1]ـ سورة طه : آية 38 ، 39 .
[2]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 292 ، إرابة : اتهام وشك .
[3]ـ المصدر نفسه ، ص 270 ، أنكث : أحل ما أبرمته ، ناقضة الغزل : هي ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد القرشية كانت خرقاء تحل ما غزلته .
[4]ـ النحل : الآية 92 .
[5]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 275 .
[6]ـ المصدر نفسه ، ص 275 .
[7]ـ المصدر السابق، ص 269 .

يشير الشاعر في هذين البيتين ـ اللذين أرسلهما إلى ابن جهور مستعطفاً إيّاه ـ إلى حرب الفجار التي اقتتل فيها العرب في الأشهر الحرم ، ثم يشير إلى مسيلمة الكذاب الذي ادّعى النبوة في حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستفحل أمره حتى قضى عليه المسلمون في بداية خلافة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ .

كما ضمن ابن زيدون أبياته الكثير من الأمثال والحكم ، وأشار إلى بعض أبيات الشعر الجاهلي المشهورة ، كقوله :

فَفِي يومِنَا خَمْرٌ ، وفي غَدِهِ أَمْرُ

ولاَ عَجبٌ ، إنَّ الكريمَ مُرَزْأُ[1]

يشير إلى المثل الذي قاله امرؤ القيس " اليوم خمر وغداً أمر "[2]

وقول ابن زيدون :

وآوي إلى ليلٍ بطئِ الكواكبِ

وأبطأ سارٍ كوكبٌ بات يُكلأُ[3]

يشير إلى قول النابغة :

كليني لهمٍّ يا أُميمة ناصبِ وليلٍ أُقاسيه بطئِ الكـــواكــبِ[4]

وقول ابن زيدون :

فديتكِ !!! إن تعجلي بالجفا فقد يهبُ الرَّيثَ بعضُ العجل[5]

من المثل " رب عجلة تهب ريثاً "[6] ، وقول ابن زيدون :

لَيْسَ مِنْكِ الهَوَى ، ولا أَنْتِ مِنْهُ اهْبِطِي مِصْرَ ، أَنْتِ مِنْ قَوْمِ مُوسَى[7]

يشير إلى قوله تعالى : " وإذِ قُلْتُم يا مُوسى لن نَّصْبِرَ على طعامٍ واحدٍ اهبطوا مصر "[8]

وقول ابن زيدون :

---

[1]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 132 .

[2]ـ أبو هلال العسكري ، جمهرة الأمثال ، الجزء الأول ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، و عبد الحميد قطامش ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1988، ص 431 .

[3]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 132 .

[4]ـ النابغة الذبياني ، الديوان ، تقديم عباس الساتر ، دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1996 .

[5]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 187 .

[6]ـ الميداني ، مجمع الأمثال ، 1 / 294 ، أول من قال ذلك مالك بن عوف بن أبي عمرو بن عوف بن محلم الشيباني.

[7]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 195 .

[8]ـ سورة البقرة ، الآية ، 61 .

مِنَها اتِّقَائِي لِأنْ أكُونَ أنَا الـــــــــ ـــــجَالِبَ مَا قُلْتُهُ إلى هَجَر [1]

يشير إلى المثل المشهور" كمستبضع التمر إلى هجر "[2] ، وهو مثل يقال عند الخطأ في نقل الأشياء إلى الأماكن التي تكثر فيها ... ، وقول ابن زيدون :

فَتَجَامَدَتْ مُحْتَالةً والمَرْءُ يَعْجِزُ لَا الحَوِيلْ [3]

يشير إلى المثل " المرء يعجز لا محالة "[4] ، وقول ابن زيدون :

وإذ خِتامُ الرِّضا المُسَوَّغِ مِسْكٌ ومِزاجُ الوصالِ مِنْ تسْنِيمِ [5]

يشير إلى قوله تعالى " يُسْقَونَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ، خِتامُهُ مِسْكٌ وفي ذلك فلْيَتَنَافَسِ المُتنافِسُون ، ومِزاجُهُ مِن تَسنِيمٍ ، عيناً يشربُ بها المُقرَّبون "[6] ، وقول ابن زيدون :

يا جنَّة الخلد أُبدِلنا بسدْرتها والكوثرِ العذبِ زَقوماً وغِسْلينا[7]

يشير فيه عدة ألفاظ قرآنية ، فـ (السدرة) ، وردت في قوله تعالى : " إذْ يَغْشَى السِّدْرَةِ مَا يَغْشَى "[8] ، و (الكوثر) وردت في قوله تعالى : " إنَّا أعْطَيْنَاك الكَوْثَر "[9] ، و (الزقوم) وردت في قوله تعالى : " إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ، طَعَامُ الأثِيمِ "[10] ، و(الغسلين) وردت في قوله تعالى : " ولَا طَعَامٌ إلَّا مِنْ غِسْلِيْن "[11] .، وقول ابن زيدون :

وأمَّا الكَرَى مُذْ لَمْ أزرْكم فَهَاجرٌ زِيارَتُهُ غِبٌّ ، وإلمَامُهُ فرْطُ[12]

يشير إلى قولهم : " زر غبًّا تزدد حبًّا "[13] ، وقول ابن زيدون :

ومَا ضاقَ عنهم جَانِبُ العُذرِ إنَّهم كمثلِ القطا ، لو يُتْركُونَ لنَامُوا[14]

---

[1]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 208 .
[2]- الميداني ، مجمع الأمثال ، 2 / 152 .
[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 225 .
[4]- الميداني ، مجمع الأمثال ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1972 ، 2 / 309 .
[5]ص ، 278 .
[6]- سورة المطففين ، الآية 26 -28 .
[7]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 146 .
[8]- سورة النجم ، 16 .
[9]- سورة الكوثر ، 1 .
[10]سورة الدخان ، 43 .
[11]- سورة الحاقة ، 36 .
[12]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 286 .
[13]- الميداني ، مجمع الأمثال 1 / 322 ، أول من قال هذا المثل معاذ بن صِرمٍ الخزاعي .
[14]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 336 .

يشير إلى المثل " لو ترك القطا ليلاً لنام "[1] ، وقول ابن زيدون :

لا يَزَلْ مِنْ حَاسِدِيهِ مُكْثِرٌ أو مُقِلٌّ ، سَبَقَ السَّيفُ العَذَلْ[2]

" سبق السيفُ العذلْ "[3] مثل لما فات تداركه ، ولا سبيل لتعديله . ، وقول ابن زيدون :

يُمَيِّزُهُ مِمَنْ سِوَاهُ وَفَاؤُهُ وَإِخْلَاصُهُ إذْ كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدُ [4]

" كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدُ "[5] مثل يضرب للتساوي في الشر . ، و قول ابن زيدون :

دُومِي عَلَى العَهْدِ ـ مَا دُمْنَا ـ مُحَافِظَةً فالحُرُّ مَن دانَ إنْصافاً كما دِيْنا[6]

يشير إلى المثل : " كما تدين تدان "[7] ، وقول ابن زيدون :

وكذا الدهرُ إذا ما عزَّ ناس ذلَّ ناسُ[8]

يشير إلى المثل : " الدهر يومان يوم لك ويوم عليك "[9] ، فمعروف أن اليوم الذي هولك تعز فيه ، أما اليوم الذي هو عليك فإنك تذل فيه .

ويقول ابن زيدون :

بيانُ يُبَيِّنُ ـ للسامعينَ ـ أنَّ مِنَ السَّحْرِ مَا يستَحَلُّ[10]

نظر في هذا البيت إلى قول النبي " أنَّ من البيان لسحرا ، وأنَّ من الشَّعْرِ لحكمة "[11] ، ويقول :

ومُعتقِدُ الرِّياسَة في سواه كمعتقد النَّبُوَّةِ في سَجَاحِ[12]

سجاح : فتاة مسيحية نشأت في بلاد النهرين عند أخوالها من قبيلة تغلب ، ولما ارتدَّ كثير من العرب عن الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلّم ، وادّعى بعضهم النبوة ادَّعت هي أيضاً النبوة ودخلت في حروب مع المسلمين وتزوجت مسيلمة الكذاب (مدَّعي النبوة) ، ويقال إنها أسلمت في زمن معاوية هي وقومها [13]. إلى غير ذلك من الثقافات المتعددة التي بثها في شعره ، وفي ذلك دليل على سعة اطلاعه ، وتعدد ثقافاته .

---

[1]ـ الميداني ، مجمع الأمثال ، 2 / 174 ، و أبوهلال العسكري ، جمهرة الأمثال ، الجزء الثاني ، ص194 .
[2]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص340 .
[3]ـ أبو هلال العسكري ، جمهرة الأمثال ، الجزء الأول ، ص511 .
[4]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 366 .
[5]ـ الميداني ، مجمع الأمثال ، 2 / 162 .
[6]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 147 .
[7]ـ الميداني ، مجمع الأمثال ، 2 / 154 .
[8]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 274 .
[9]ـ مجمع الأمثال ، 2 / 454 .
[10]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 424 .
[11]ـ أبو هلال العسكري ، جمهرة الأمثال ، الجزء الأول ، ص 13 ، 14 .
[12]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص433 .
[13]ـ الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، الجزء الثالث ، دار العلم للملايين ـ لبنان ، الطبعة الخامسة عشرة ، 2002 ، ص 78 .

الألفاظ التاريخية :

استعمل ابن زيدون كثرة وافرة من الألفاظ التاريخية ، في شعره فهو يعمد إليها موظفاً دلالاتها في شعره ؛ ليخدم بها أغراضا ومواقفَ كلما مرَّ على مواقف تشبهها في عصره ، ومن الألفاظ التاريخية التي استخدمها في شعره أسماء وشخصيات تاريخية قديمة ، كقوله في إحدى قصائده في المعتضد :

أنَّي رأيتُ " المُنـــذرينِ " كِليهما ... في كونِ مُلْكٍ لمْ يُحِلْهُ فســادُ[1]

وبصُرْتُ بالبُرْدين إرثِ " مُحَرِّقٍ" ... ـ لمْ يَخْلُقا ـ إذْ تخْلـُقُ الأبْــرادُ

وَعَرَفْتُ مَنْ ذِي الطَّوْقِ عَمْرِو ثأْرَهُ ... لِجَذِيْمةَ الوَضَّاحِ حــين يـكادُ

وأَتى بيَ النُّعْمانَ ـ يومَ نَعــــيمِهِ ـ ... نجْمٌ تلقَّى سَـعْدهُ المِـــــيلادُ[2]

فكأنَّني طــالـعْــتُهُمْ بِوِفـــــــادَةٍ ... لَمْ يَسْتَطِعْها " عُـرْوَةُ " الوَفَّـادُ[3]

أهــــلُ المَنـاذرةِ الذين هُمُ الرُّبـــــا ... فوقَ المُلُوكِ ، إذِ المُلُوكِ وِهـادُ[4]

قـومٌ إذا عُـــــدَّتْ ـ مَعَدَّ عَقِيلةً ـ ... ماءُ السَّماءِ ، فــهُمْ لـــها أولادُ

نَسِيَتْ زبِيدٌ عَمْرَها ، بلْ أعْرَضَتْ ... عن وصفِ " كعْبٍ " بالسِّماحِ إيادُ[5]

فَضَحَ الدُّهاةَ ، فلوْ تَقَدَّمَ عَهْدُهُ ... لَعَنَا " المُغِيرةُ " أو أقرَّ " زِيـــادُ"[6]

يحشد ابن زيدون في هذه الأبيات كثيراً من الشخصيات التاريخية ، فالمنذر ، ومحرق ، وذو الطوق عمرو ، وجذيمة ، والنعمان ، وعروة بن الورد ، وماء السماء ، وزبيد ، وكعب ، والمغيرة وزياد شخصيات تاريخية وتراثية تم توظيفها كقيمة تراثية تعمق تجربته الشعرية .

وإضافة لذلك فقد تأثر ابن زيدون بالأشعار التي نظمت قبله لا سيما المشرقية منها ، حيث أفاد من معانيها وألفاظها وصورها ، ويظهر هذا الأمر جلياً واضحاً في رسائله النثرية التي

---

[1]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، 454 ـ 459 ، الكون والفساد : تعبيران فلسفيان يدوران حول التكوين والهدم أو الإيجاد والفناء ، والمنذران هما : المنذر بن امرئ القيس ويسمى المنذر الأكبر بن ماء السماء ، وابنه المنذر ويسمى المنذر الأصغر ، محرّق : هو عمرو بن المنذر المسمى بعمر بن هند ، سمِّي محرَّقاً لأنه حرَّق نخل اليمامة أو حرَّق مائة من بني تميم في ثأر أخ له في الرضاع ، وقد قتله عمرو بن كلثوم ، وقال : فيه معلقته المشهورة التي مطلعها " ألا هبِّي بصحنِكِ فاصبحينا " ، والبردان : عرضهما المنذر الأكبر على وفود العرب ليأخذهما أعزهم ، فقام عامر بن أحيمر فأخذهما وارتداهما قائلاً : " العزّ والعدد في معد ثم في نزار .. ثم في بهدلة فمن أنكر هذا فلينافرني " فسكت الناس . لجذيمة : ملك جذيمة بن مالك الوضاح وينعت بأبرش الحيرة ، قيل : إنه قصد في جيش كثيف إمارة عمرو بن الظرب العاملي فقتله ، ولما تولت الزبا الحكم مكان أبيها عمرو دبرت حيلة قتلت بها جذيمة الأبرش فانتقم له ابن أخته عمر بن عدي الذي ورث ملك خاله وأسس أسرة اللخميين بالحيرة ، وسبب تسميته بذي الطوق أن أمه كانت تزينه وتضع في هنقه طوقاً فلما كبر قال خاله : " شبَّ عمروٌ عن الطوق " فسارت مثلاً للإنسان يكبر عن شيء الذي لا يلائمه .

[2]ـ كان للمنذر بن ماء السماء نديمان قتلهما في سكره ، ثم ندم على قتلهما ثم بنى لهما قبرين يسميان الغريَّين فكان يخرج إليهما يومين في العام ، الأول يسمى يوم النعيم يعطي فيه أولَ من يطلع فيه مائة من الإبل ، والثاني يسمى يوم البؤس يقتل فيه أول من يفد عليه ، ويقال إنه قتل في هذا اليوم عبيد بن الأبرص الشاعر الجاهلي المشهور .

[3]ـ عروة الوفاد : عروة بن الورد الذي كان يغزو ويوزع الغنائم على الفقراء .

[4]ـ الربا : المكان المرتفع ، الوهاد : المكان المنخفض .

[5]ـ زبيد : قبيلة يمنية . عمرو بني زبيد : هو عمرو بن معد يكرب الزبيدي من فرسان العرب وشعرائها أدرك الإسلام فأسلم ثم ارتد عقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد إلى الإسلام وأبلى في موقعتي اليرموك والقادسية أحسن البلاء . كعب : هو كعب بن مامة الإيادي من قبيلة إياد العدنانية يضرب به المثل في الجود .

[6]ـ المغيرة : هو المغيرة بن شعبة من دهاة العرب المعدودين ، وزياد : هو زياد بن أبيه اعترف معاوية بنسبته إلى أبيه أبي سفيان ، وهو من الفرسان والخطباء الأفذاذ .

ضمنها الكثير من الأشعار المشرقية ، أما في قصائده فقد تأثر بكثير من الشعراء الذين سبقوه ، وليس هناك أدلُّ على ذلك من تتبعنا لأثر أبي تمام والبحتري والمتنبي في شعره ، وكيف كان يعارض قصائدهم ، ويضمن أشعارهم ، ويأخذ معانيهم وألفاظهم ، كما أثبتنا في الفصل الأول .

فالإشارة إلى المعاني والألفاظ ، والتضمين ، والمعارضة ، دليل على اتفاق ابن زيدون مع شعراء العصر العباسي في انتقاء الألفاظ والكلمات ، كما أنه لا يختلف معهم في روافد معجمه اللفظي المستفاد من الأصول التراثية ، والدينية ، والتاريخية ، أمَّا الألفاظ التي آثرنا أن نقف عليها في تأثر ابن زيدون بأبي تمام والبحتري والمتنبي في المعجم اللغوي ، فهي تلك الألفاظ البارزة التي كثر استعمالها في معجمه الشعري ، منها :

معجم الطبيعة في سياق الربيع والنباتات :

يعد موضوع (وصف الطبيعة) من الموضوعات التي حازت اهتمام الشعراء الأندلسيين ، ولعله من أبرز الموضوعات التي تحسب للأندلس بما امتاز به شعراؤها من إبداع ، فقد منح الله عز وجل ، الأندلس طبيعة فاتنة كانت بها أغنى بقاع المسلمين منظراً وأوفرها جمالاً[1] ، فقد كانت بيئة عجيبة التنوّع فهي " شامية في طبيعتها وهوائها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها ، أهوازية في عظم جنّاتها ، صينية في جواهر معادنها ، عدنية في سواحلها ... "[2] .

فالأندلس هي بلاد الطبيعة الجميلة الثرية الساحرة ، والأندلسيون قوم يغلب عليهم الأدب ، ويأسرهم الشعر فتفننوا في قوله وإنشائه ، فكان للطبيعة نصيب كبير من العناية بها ، والافتنان بما حباها الله من حدائق وبساتين ورياض وأزاهير ، وورد ونوار وحمائم وأطيار ، وجداول وأنهار ، وبرك وسواقٍ ، وخضر وأثمار ، وثلوج وأمطار ، وكل ما يخطر على النفس من جميل يتصل بالطبيعة وصفوه وصفاً بديعاً ، وصوروه تصويراً فاتناً مختلف الألوان منمنم الأصباغ .[3]

لذا فقد أكثر الشاعر الأندلسي من ألفاظ وصف الطبيعة ؛ " استجابة منهم لمؤثرات البيئة وما انطوت عليه بلادهم من مشاهد الفتنة ومظاهر الحسن ، وهكذا انفعلت نفوسهم بما استشعرت حولها من عناصر الجمال ، وفاضت قرائحهم ببديع القول تجاه تلك الربوع التي شغفوا بها ... وهكذا دخلت الطبيعة حياة الأندلسيين ، وخالطت نفسهم وتغلغلت في أشعارهم "[4]

---

[1]- ينظر- الركابي ، جودت ،الطبيعة في الشعر الأندلسي ، مكتبة أطلس ، دمشق ، ط 2 ، 1970 ، ص 22 .
[2]- كروم ، بومدين ، الطبيعة في شعر ابن خفاجة الأندلسي ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، سنة 1983 ، ص100 .
[3]- ينظر: الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه / 341 .
[4]- الدقاق ، عمر ، ملامح الشعر الأندلسي ، دار الشرق بيروت ، 1974 ، 206 -207.

، وإذا كان للأندلسيين شَغَفٌ بالطبيعة فإن ذلك قد منحهم خيالاً جميلاً ، فكانت الرقة ، والنعومة ميزة أشعارهم ، والفضل في ذلك للأندلس ، وما لربوعها من تأثير في نفوسهم[1] .

وقد شكلت الطبيعة رافداً أساسياً ، ونبعاً ثرياً استقى منه ابن زيدون معجمه الشعري ، فمن قصائده التي تزخر بمصطلحات الطبيعة ، قوله :

أعاد الصباحَ الطَّلْقَ ليلاً عليهم فحارَ وثنَّى ناظِرَ الشمس أرمـدا

فحلَّ هِلالاً في ظلامِ عجاجـةٍ تُلاحِظُهُ الأقمارُ ، في الأُفقِ حُسَّداً

يصف ابن زيدون ما فعله إسماعيل بن المعتضد في حربه ضد المظفر بن الأفطس ، حيث جعل إسماعيل بن المعتضد الصباح المشرق ليلاً مظلماً ، بما أثاره عليهم غبار المعركة ، وقد جعل ابن زيدون ممدوحه هلالاً صغيراً ، ورغم صغره فإن جميع الأقمار والكواكب تحسده ، فالشاعر في هذه الأبيات يستعين بألفاظ الطبيعة في إثراء معجمه الشعري ، فالصباح ، والليل ، والشمس ، والهلال ، والظلام ، ، والعجاج ، والأقمار ، كلها ألفاظ للطبيعة أستعان بها الشاعر في إيصال صورته الفنية للمتلقي .

ويقول ابن زيدون في نونيته الشهيرة ، التي صاغها في ولادة بعد أن جفته وصدت عنه :

يا رَوْضَةً طالَما أجْنَتْ لَوَاحِظَنَا وَرْداً، جَلاهُ الصِّبا غضّاً، وَنَسْرِينَا

ويَا حيــاةً تملّيْنَا، بزهــــرَتِهَا ، مُنىً ضـــــروباً، ولـذّاتٍ أفانينَــا

ويَا نعِيماً خطرْنَا، مِنْ غَضارَتِهِ، في وَشْيِ نُعْمَى ، سحَبنا ذَيلَه حينَا

يتحسر الشاعر على أيام وصاله مع محبوبته ، التي كانت كالروضة بل كانت نعيماً لحياته ، فيتمنى أن تعود إليه ، وتعيده إلى جنته التي وصفها بجنة الخلد ، فإن لم ينل منها شيئاً في الدنيا ، سيظفر به في الآخرة ، فهو لا يفقد الأمل بلقائها .

ويقول أيضاً :

يا جنّةَ الخلــدِ أُبدِلنا ، بسدرَتِـها والكوثرِ العذبِ ، زقّوماً وغسلينَا

كأنّنَا لم نبِتْ ، والوصلُ ثالثُنَــا ، وَالسّعدُ قَدْ غَضَّ من أجفانِ وَاشينَا

[1]- البستاني ، أدباء العرب في الأندلس ، ص 35 ، 36 بتصرف .

سِرّانِ في خاطِرِ الظّلماءِ يَكتُمُنا ، حتى يكادَ لسانُ الصّبــحِ يفشينَا

إنْ كان قد عزّ في الدّنيا اللّقاءُ بكمْ في مَوْقِفِ الحَشرِ نَلقاكُمْ وَتَلْقُونَا

فالألفاظ : روضةً ، ورداً ، الصبا ، غضاً ، نسرينا ، زهرتها ، نعيماً ، جنة ، سدرتها ، الكوثر ، زقوماً ، الظلماء ، الصبح ، كلها ألفاظ للطبيعة جعلها الشاعر رافداً خصباً في تكوين معجمه الشعري . يقول شوقي ضيف : " ويمزج الشاعر الأندلسي في كثير من غزله بين حبه وبين عناصر الطبيعة مزجاً لا نعرفه عند المشارقة إلا نادراً ، إذ نراه يشرك تلك العناصر معه في مشاعره وأحاسيسه ، على نحو ما يلقانا عند ابن زيدون في قافيته التي خاطب بها صاحبته ولادة "[1] ، وهي قوله :

إني ذكرتُكِ بالزَّهْـراءِ مُشتاقــاً والأفْقُ طلْقٌ ومرأى الأرضِ قد راقا[2]

وللنسيم اعتــلالٌ في أصائِلِــهِ كأنَّــهُ رقَّ لي ، فاعتـــل إشفاقــا

والروضُ عن مائِهِ الفِضِّيِّ مبتسِمٌ كما شقَقْــتَ ـ عن اللبَّات ـ أطواقــا

نلهو بما يستميلُ العينَ من زهــر جالَ النَّدى فيه ، حتى مال أعناقــا

هكذا مزج ابن زيدون حبه للطبيعة بحب ولادة ، فتغنى بالاثنين معاً ، ولهذا اطلق عليه علي عبد العظيم لقب (شاعر الحب والطبيعة)[3] ، فألفاظ الطبيعة التي وردت في الأبيات : الأرض ، النسيم ، الروض ، الماء ، الزهر الندى . ويبدو أن المزج بين الطبيعة والغزل ، قد التزمه الشاعر بعد أن حصلت الجفوة بينه وبين ولادة فأكثر من الحنين إليها متخذاً من الطبيعة رسولاً بينه وبينها ، فعندما كان ابن زيدون لاجئاً في بطليوس وهو في حال من الثورة ، والاشتياق أرسل الريح إلى ولادة لتحمل سلامه وتحياته ، يقول ابن زيدون :

مُشْرِقــاً مَنْ سئِمَ التَّغرِيبــا[4]

أمَا سمِعْتَ المَثَلَ المضْرُوبَــا :

"أرْسِل حكيماً ، واستشرْ لبِيبا "

إذَا أتيْتَ الوطـــنَ الحبيبــا

والجَانِب المستوضَحَ العَجِيبــا

والحَاضِرَ المُنْفَسِحَ الرَّحِيبــا

---

[1]ـ فصول من الشعر ونقده ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، 1988 ، ص 154 .

[2]ـ ديون ابن زيدون ورسائله ، ص 139 .

[3]ـ ينظر ، عبد العظيم ، علي ، في كتابه عن ابن زيدون ، ص228 .

[4]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص155 .

فَحَـــيِّ مِنْهُ مَا رَأى الجُنُوبَـــا

وللريح مع ابن زيدون علاقة وثيقة فهي رسوله الدائم التي تحمل سلامه إليهم ، وتحمل رسائل الأحبة ، وتحمل إليه سلامهم ، ومن ذلك قوله :

غَرِيبُ بأقصى الشَّرْقِ يَشْكُرُ لِلصَّبا تَحَمُّلَها منه السَّلامَ إلى الغـــرْبِ[1]

وما ضرَّ أنفاسَ الصَّبا في احتِمالها سَلَامَ هَوىً يُهْديهِ جِسْمٌ إلى القلبِ

كما كان ابن زيدون دائم الحنين والشوق إلى معاهد لهوه ، وصباه في قرطبة ، فعندما أضناه الشوق والوجد أكثر من ذكر أودية ، وغدران ، ورياض قرطبة ، علّها تطفئ لهيب شوقه لقرطبة ومن فيها ، فيقول :

على الثَّغبِ الشَّهديّ منِّي تَحِيَّـــةً زَكَتْ ، وعلى وادي العَقِيق سلامُ[2]

ولا زالَ نورٌ في الرصافَة ضاحِـكٌ بأرْجائها ، يبكي عليـــه غمَـــامُ

معاهِد لهْوٍ ، لَم تزلْ ، في ظِلالهـــا تُـدارُ علينا للمجُـــــونِ مُـــدامُ

زَمانَ رِياضُ العَيشِ خُضْرٌ نَواضِرٌ تَرِفُّ ، وأمواه السُّـــرورِ جِمَـــامُ

فالشاعر يحلق في فضاء قرطبة حانّاً إلى طبيعتها الجميلة مرسلاً إليها بتحيّاته ، فللغدير (الثغب الشهدي) تحية عطرة ، وتحية سلام على (وادي العقيق) ، فالشاعر في حنين دائم لأماكن قرطبة الطبيعية مرسلاً إياها سلامه ، وقد أكثر من معجم الطبيعة في أبياته ، كقوله : الوادي ، الغمام ، الرياض .

ومن خلال تتبعنا لألفاظ الطبيعة في شعر ابن زيدون ، نجده لم يصف الطبيعة لذاتها ، وإنما مزجت بالمدح والغزل ، حيث يربط بين ألفاظ الطبيعة ، وخصال الممدوح تارة ، و يربط بين ألفاظ الطبيعة ، وحبه لولادة تارة أخرى .

وإذا نظرنا في آثار الحياة الجديدة في لغة الشعراء العباسيين ، نجد ألفاظ الطبيعة ، قد ظهرت بشكل واضح في أشعارهم ، حيث مالت ألفاظهم " إلى الرقة والعذوبة ، وخرجت من أسر محاكاة الجاهليين ، فعكف الشاعر العباسي على تبسيط المعاني واختيار ألفاظ ذات رونق لم يغرب إلا في القليل من شعره ، فأفرد الشعراء القصائد لوصف عناصر الطبيعة أحياناً ، واستهلوا بها قصائدهم أحياناً أخرى بدلاً من البكاء على الأطلال أو وصف الراحلة ، فوصفوا

---

[1]- المصدر السابق ، ص153 .

[2]- المصدر نفسه ، ص152 ، الثغب : الغدير في ظل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه . معاهد : أماكن . المجون : العبث . مُدام : الخمرة جمام : واحدها جم وهو من الماء كثيره . بان : بعد . لوعة : حسرة يشب : يندلع الفريد : اللؤلؤ . نظام : عقد .

الرياض والبساتين والحدائق ، ووصفوا الأنهار والبرك ، وعددوا أسماء الزهور مثل : النرجس . النسرين . النيلوفر . الياسمين . البنفسج . النوار . الأقحوان . السوسن . الورد . الخرم . الخيري . الكافور . الريحان . البهار . الشقيق . الجلنار . شقائق النعمان ... وغيرها "[1] ، وقد اتضحت تلك المظاهر جلياً في شعر أبي تمام ، والبحتري ، المتنبي .

ففي وصف الربيع : يقول أبو تمام

رقَّتْ حَواشِي الدَّهْرِ فهي تَمَرْمَرُ وغدَا الثَّرى في حَلْيِهِ يتكَسَّرُ[2]

نَزلَتْ مُقَدِّمةُ المَصِيفِ حَميدةً ويَدُ الشَّتاءِ جَدِيدَةٌ لا تُكْفَرُ

لولا الذي غَرَسَ الشِّتاءُ بكَفِّهِ لاقى المصيفُ هَشَائِماً لا تُثْمِرُ

كمْ ليلةٍ آسى البلادَ بِنَفْسِهِ فيها ويَومٍ وبْلُهُ مُتْعَنْجِرُ

مَطَرُ يَذُوبُ الصَّحوُ منهُ وبَعْدَهُ صحْوٌ يكادُ من النَّضارةِ يُمْطِرُ

غَيثانِ فالأنواءُ غَيثٌ ظاهِرٌ لَكَ وَجْهُهُ ، والصَّحْوُ غَيثٌ مُضْمَرُ

وندىً إذا ادَّهَنَتْ به لِمَمُ الثَّرى خِلْتَ السِّحابَ أتاهُ وهو مُعَذِّرُ

أَرَبَيْعَنَا في تِسْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً حَقاً لهِنَّكَ لَلرَّبيعُ الأزْهَرُ

ما كانت الأيامُ تُسْلَبُ بَهجَةً لو أنَّ حُسْنَ الرَّوضِ كان يُعَمَّرُ

أَولاَ ترى الأَشْياءَ إنْ هي غُيِّرتْ سَمُجَتْ وحَسْنُ الأرْضِ حِينَ تُغَيَّرُ ؟

فمن ألفاظ الطبيعة التي وردت في الأبيات : الشتاء ، والصيف ، والثرى ، تثمر ، وبله ، مطر ، الصحو ، غيثان ، الأنواء ، ندى السحاب ، الربيع ، الأزهر ، الروض .

و يصف البحتري المروج الواسعة التي تشتمل على ألوان شتى من النباتات ، فيذكر فيها " الخزامي " ، و " الحوذان " ، ويذكر " البهار " فيصوره بالثغر الضاحك ، وكذلك لفظة " شقائق النعمان " التي جعل لها عيونا قائلاً :

---

[1]- إبراهيم ، هند ماهر أبو العطا ، تطور المعجم الشعري في شعر الطبيعة في العصر العباسي ، رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس - القاهرة ، 2005 ، ص 196 .

[2]- ديوان أبي تمام ، 1 / 332 ، 333 ، تتمرمر : تموج وتضطرب ليناً ونعمة . الثرى : التراب . هشائم : جمع هشيمة وهي الشجرة اليابسة . لمم الثرى : النبت الذي سقط عليه الندى .

والمَرْجُ ممْرُوجُ العِراصِ مُفَوَّفٌ تَزْهَى خُزَامَاهُ على الحَوذَانِ[1]

و " الرَّقَّةُ البيضَاءُ " كالخُودِ التي تَخْتَالُ بينَ نَواعِمٍ أَقْـــــرانِ

من أبيضٍ يَقَقٍ ، واصْفَرَ فـاقِعٍ ، في اخْضَرٍ بَهِجٍ ، وأَحْمَرَ قانِ

ضَحِكَ البَهَارُ بأرْضِها وتَشَقَّقَت فِيها عُيُونُ شَقَائِقِ النُّعْمَـــانِ

ويقول أيضاً :

أمَا تَرى الأرْضَ ؛ وأثْوابُها شَقَائقُ النُّعْمانِ والأُقْحُوانْ ؟[2]

وله قصيدة في مدح الحسن بن الحسن بن سهل ، يعدد فيها ألواناً شتى من أصناف الزهور والورود ، يقول فيها :

أسْعِـــدا الغَيثَ إذْ بكاها وإنْ كـا نَ خَلِيَّاً مِنْ كُلِّ ما تَجِـــــدانِ[3]

جـــــادَ فيها بنفسِهِ فاسْتَجَـــدَّتْ حُلَلاً مِنْهُ جَمَّةَ الألـــــوانِ

فَهْيَ تَهْتَزُّ بينَ إفْرِنْـــدِهِ الأخْـــــ ـضَرِ حُسْناً وَوَشْيِهِ الأرْجُوانـي

في سمَاءٍ من خُضْرَةِ الـرَّوضِ ، فيها أنْجُمٌ مِنْ شَقِائقِ النُّعمَـــــانِ

واصـــــفِرارٍ من لوْنِهِ وابْيِضَاضٍ كاجْتِماعِ اللُّجَيْنِ والعِقْيـــــانِ

وتُريك الأحْبـــابَ يَوْمَ تَـــــلاَقٍ باعْتِناقِ الحَوْذَانِ والأَقْحـــوانِ

صَاغَ منها الرَّبيعُ شَكْلاً لأخْـــــلا قِ (حسينٍ) ذي الجُودِ والإحْسَانِ

فكـــأنَّ الأشجـــارَ تعْلُـــو رُباَهَا بِنَثِيرِ الياقُوتِ والمَرجَـــــانِ

وكـــــأنَّ الصَّبا تَـــــرَدَّدُ فيـها بِنَسِيمِ الكَافُورِ والزَّعْفَـــــرانِ

وإذا كان الشاعر العباسي قد اهتم بوصف الربيع والرياض والزهور ، فإن الأندلسيين قد أكثروا من وصف تلك الأشياء ، فوصفوا الورود والزهور كـ " زهرة الآس والأقحوان

---

[1]- ديوان البحتري ، 4 / 2377 ، المرج : الأرض الواسعة فيها نبت كثير . العراص : جمع عرصة وهي ساحة الدار ، أو كل بقعة ليس فيها بناء . المفوف : المخطط . الخزامي : عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء . الحوذان : نبت من نبات السهل يرتفع قدر الذراع له زهرة حمراء في أصلها صفرة وورقته مدورة .

[2]- المصدر نفسه ، ص 2236 .

[3]- ديوان البحتري ، 2 / 2197 ، 2198 ، الإفرند : جوهر السيف ووشيه .الأرجواني : ذو اللون الأحمر نسبة إلى الأرجوان وهو صبغ أحمر . شقائق النعمان : زهر أحمر اللون مبقع بنقط سوداء كبيرة . اللجين : الفضة . العقيان : الذهب الخالص . الحوذان : نبت من نبات السهل يرتفع قدر الذراع له زهرة حمراء في أصلها صفرة وورقته مدورة . الأقحوان : زهرة اللؤلؤ وهو نبات الربيع مفرض الورق دقيق العيدان له نور أبيض ، وهو البابونج ، ويكنى به عن ثغور الحسناوات . الياقوت : من الجواهر حجر صلب رزين صافٍ شفاف . المرجان : جنس حيوانات بحرية له هيكل وكلس أحمر يعدُّ من الأحجار الكريمة .

والبنفسج والنرجس ... والسوسن والنيلوفر والورد والياسمين ..."[1] ، وغيرها ، وهي ألفاظ كثيراً ما تلاقينا في أغلب قصائد ابن زيدون .

ومن الألفاظ التي ذكرها ابن زيدون ، و تكررت في شعر أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي لفظة (ورد الخدود) ، التي ترمز إلى حمرة خد المحبوبة وفتنتها وجاذبيتها ، كما يحمل هذا اللون دلالة الخجل والعفة اللتين تبدوان في خدود الحبيب ، فها هو ابن زيدون يصور حبيبه وقد ظهر له بجيده في الملابس البيضاء ، وخده كأنه مصبوغ بالزعفران ، في قوله :

أَبْرَزَ الجِيدَ في غَلَائِلَ بِيــضٍ وَجـَلَا الخَـــدَّ في مَجَاسِدَ حُـــمْرِ[2]

ويقول ابن زيدون :

أَصْبُوا إلى " وَرْدِ الخُدُودِ " إذا عَدَتْ جُرْدٌ ـ تُبلِّغُنِي جناهُ ـ وِرادُ[3]

ويقول ابن زيدون :

لَدَى زَمَنٍ غَضٍّ أنيقٍ فِرِنْدُهُ كَمِثْلِ فِرِنْدِ الوَرْدِ في خَجْلَةِ الخَدِّ[4]

ويقول:

فَبِتُّ أَسْقِي الرَّاحَ مِنْ رِيقِهِ ، واجْتَنِي الوَرْدَ مِنَ الخَدِّ[5]

وقد وردت هذه الألفاظ بكثرة في شعر أبي تمام والبحتري والمتنبي ، ومن أمثلة ذلك قول أبي تمام :

لَهَا مِنْ لَوْعَةِ البَيْنِ التِدامٌ يُعِيدُ بَنَفسَجاً وَرْدَ الخُدودِ[6]

كما كان البحتري يكثر من استخدام هذه اللفظة كقوله :

وسَفَرْنَ ، فامتلأت عُيُونٌ راقها وَرْدانِ : وَرْدُ جنىً وورْدُ خدُود[7]

ومنها قوله :

---

[1]ـ بيريس ، هنري ، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف (ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية) ، ترجمة الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1988 ، ص 149 .

[2]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 231 ، الجيد العنق ، المجاسد : جمع مجسد وهو الثوب المصبوغ بالجساد أي الزعفران .

[3]ـ المصدر السابق ، ص 451 ، صبا : مال إلى الجهل والفتوة ، عدت : جرت ، الجرد : جمع أجرد وهو الفرس قصير الشعر رقيقة وهي صفة مستحبة في الخيل ، الجنى : الثمر الغض ، الوراد : جمع ورد وهو لون بين الحمرة القانية والشقرة في الخيل .

[4]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص500 ، أنيق : حسن معجب ، فرند السيف ، جوهره وحليته ، الفرند : الورد الأحمر .

[5]ـ ديوان ابن زيدون ، تحقيق د . يوسف فرحات ، ص 68 .

[6]ديوان أبي تمام 1 / 250 ، الالتدام : أن تضرب المرأة وجهها وصدرها لتصبح حمرة وجهها كالبنفسج .

[7]ـ ديوان البحتري ، المجلد الثاني ، ص 698 .

والخُدودِ الحِسانِ يَبْهَى عليها جُلَّنارُ الرَّبيعِ طلْقاً وَوَرْدُهْ [1]

ويقول أيضاً :

بتَصَرَّفِ الطَّرْفِ العَلِيـــــــــ ــلِ وحُمْرة الخَدِّ المُوَرَّدْ[2]

ويقول :

وكأنَّ السُّؤالَ يَنْشُرُ وَرْدَ الرَّوْ ـضِ في وجههِ وَوَرْدَ الخَدُودِ[3]

كما كان المتنبي يستعمل هذه اللفظة في شعره فمن ذلك قوله :

كَمْ قَتيلٍ ، كَما قُتِلْتُ ، شَهِيدٍ بِبَياضِ الطُّلَى وَوَرْدِ الخُدُودِ[4]

ويقول المتنبي في مطلع إحدى قصائده في مدح شجاع بن محمد الطائي المنبجي :

أَيا خَدَّدَ اللهُ وَردَ الخُدُودِ وَّقدَّ قُدُودَ الحِسانِ القُدُودِ[5]

معجم المائيات : إن الماء ومسبباته من ريح وسحب وبرق ورعد ، وكذلك مجاريه من بحار وأنهار وجداول وأودية وبرك ، من " المواضيع التي عرض لها الشعراء منذ العصر الجاهلي "[6] ، إلاَّ أن أحاديثهم عنها " كانت أحاديث عرضية عابرة ، ولم يشكل الماء عندهم فناً مستقلاً له سماته الفنية "[7] .

ومع مرور العصور وتعدد البيئات وتجددها ـ لاسيما في العصر العباسي ـ أدرك الشعراء أهميتها ، وغدت الطبيعة المائية " تسيطر على الشعراء ، فاندفعوا بشاعريتهم تُذْكيها المناظر الخلابة التي وقعت عليها عيونهم ، فكان ذلك كله مجالاً خصباً لفنهم ، فبرزت معالم (الشعر المائي) واتضحت صورته بوصفه ضرباً مستقلاً من ضروب الشعر ، له خصائصه وسماته ومميزاته "[8] ، والناظر لأشعار شعراء العصر العباسي " كأبي تمام والبحتري ، والمتنبي " يرى أنهم قد أكثروا من ذكر الماء ومسبباتها ومجاريها ؛ ولعل ذلك راجع إلى البيئة التي عاشوا

---

[1]ـ ديوان البحتري 1 / 509 ، الجلَّنار : زهر الرمان .
[2]ـ المصدر نفسه 604 .
[3]ـ ديوان البحتري ، 1 / 636 .
[4]ـ ديوان المتنبي ، 1 / 313 ، الطلى : الأعناق .
[5]ـ المصدر نفسه ، 341 ، خدد : شقق . والتخديد : التشقيق .
[6]ـ أبو حاتم ، نبيل خليل ، اتجاهات الشعر العربي في القر الرابع الهجري ، دار الثقافة ـ الدوحة ، 1985 ، ص 259 .
[7]ـ المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .
[8]ـ المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

فيها ، وهي بيئة العراق وما جاورها حيث جمال الطبيعة المتمثل في كثرة الأنهار والمياه وروعة البساتين والتضاريس .

ومن أمثلة ذكر المياه ومسبباته في شعر أبي تمام ، قوله في مدح محمد بن الهيثم بن شبانة : حيث نراه قد وقف طويلاً عند " غيمة " ثم ينتقل من كرم السحاب إلى كرم الممدوح ، حيث يقول :

دِيمَةٌ سَمْحَةُ القِيَادِ سَكُـــــوبُ مُسْتَغِيثٌ بِهَا الثَّرَى المكْرُوبُ[1]
لَوْ سَعَتْ بُقْعَةٌ لإِعْظَامِ نُعْمَـــى لَسَعَى نَحْوَها المكانُ الجَدِيــبُ
لذَّ شُؤْبُوبُهَا ، وطَابَ ، فَلَوْ تَسْـ ـطِيعُ قامَتْ فَعانَقَتْها القُلـــوبُ
فهي ماءٌ يَجري ، ومـــاءٌ يليهِ وعَزَالٍ تهْمِي ، وأُخْرى تَـذُوبُ

ويقول في مدح أحمـد بن دؤاد :

سَقَى عَهْدَ الحمَى سَبَلُ العهَادِ ورَوَّضَ حاَضرٌ منْهُ وبَادِ [2]

ومن أمثلة الأمطار ، والرياح والرعد في شعر البحتري قوله :

أمَا تَرَى العَارِضَ المُنهَلَّ دانيـــــهِ قد طَبَـّقَ الأرضَ وانحَلَّتْ عزاليهِ[3]
فالـــرِّيْحُ تُزْجِيهِ تاراتٍ وتَحْـــــدُرُهُ والرَّعْدُ يُنْجِيهِ طـــوْراً أو يُناجِيــهِ
يَبْكِي فَيَضْحكُ وجْهُ الأرضِ عن زَهرٍ كالوَشْيِ ، بل لا تَرى وشْياً يُدانِيــهِ

وقد ذكر المتنبي الماء في شعره في مواضع كثيرة ، ومن أمثلة ذلك قوله يصف بحيرة طبرية في قصيدته التي مدح بها عليّ بن إبراهيم التنوخي، حيث يقول :

لولاكَ لم أَتْرُكِ البُحَيْرَةَ والـ ـغَوْرُ دفئٌ وماؤُها شَبِـمُ[4]
والمَوجُ مِثْلُ الفُحُولِ مُزْبِدَةٌ تَهْدِرُ فيها وما بها قَطَـمُ
والطَّيرُ فوقَ الحَبَابِ تَحْسُبُها فُرْسَانَ بُلْقٍ تَخَوْنها اللُّجُمُ
كأنَّها والرِّيـــاحُ تضْرِبُهـــا جَيْشَا وَغىً : هازِمٌ ومُنْهَزِمُ

---

[1]- ديوان أبي تمام ، 1 / 157 ، الديمة : المطر يدوم في سكوت . القياد : الهطول . الشؤبوب : المطر الشديد .
[2]- .ديوان أبي تمام ، 1 / 197 ، سبل العهاد : مطر من أمطار الربيع .
[3]- ديوان البحتري ، 4 / 2444 .
[4]- ديوان المتنبي ، 4 / 66 - 68 ، هدر الفحل : إذا هاج وأخرج زبدة . القطم : شهوة الضراب . الحباب : طرائق الماء . الأبلق : ما كان فيه سواد وبياض . حفَّ : أحاط . جنانها : جمع جنة ، وهي البستان . جادت : من الجود ، وهو المطر . والديم : جمع ديمة ، وهي المطر الدائم في سكون . الماوية : المرآة ، شبهت بالماء لصفائها . مطوقة : لها طوق فضة أو ذهب . الغشاء : الغطاء . الأدم : جمع الأديم .

كأنَّها في نَهـــــارِها قَمَـــرٌ حَفَّ بهِ مِنْ جِنانِها ظُلَـمُ

ناعِمَةُ الجِسمِ لا عظامَ لهـــا لها بناتٌ وما لها رَحِـــمُ

تغنَّتِ الطَّيرُ في جَوانِبهـــا وجَادتِ الرَّوضَ حولهَا الدِّيَمُ

فـــهي كَمَـــاوِيَّةٍ مُطَوَّقـــةٍ جُـــرِّدَ عنها غشاؤُها الأَدَمُ

والمتتبع للشعراء العباسيين الثلاثة ، يرى أنهم قد اهتموا بالماء وأكثروا منها في شعرهم ، أثناء حديثهم عن جمال طبيعة بلادهم وما تتميز به من كثرة مجاري المياه ومواضعها .

وإذا انتقلنا من البيئة العباسية إلى البيئة الأندلسية التي وصفت بأنها من " أغنى بقاع المسلمين منظراً وأوفرها جمالاً ، ترتفع فيها الجبال الخضراء ، وتمتد في بطاحها السهول الواسعة ، وتجري فيها الجداول والأنهار "[1] ، نجد أن شعراءها قد تفننوا في وصف طبيعتها المائية فاكثروا من ذكر (البحار ، والأنهار ، والبحيرات ، النافورة ، السحب ، والغمام ، المطر ، والقطر ، والسيل ، والطل ، والندى ، والريح ، والبرد ، والعاصفة ، والرعد ، والبرق ، وغيرها) ، ولعل ابن زيدون ـ الذي عرف بأنه شاعر الطبيعة والحب ـ يعد من أبرز شعراء الأندلس ذكراً لألفاظ الماء حيث حفل معجمه الشعري بهذه الألفاظ ، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا لا تخلو قصيدة واحدة لابن زيدون من ذكر الماء ومسبباته ، ومن أمثلة ذلك قوله :

هُوَ البِشْرُ شِمنا منهُ برقَ غمامةٍ لها باللُّها في المعتفين مَصابُ[2]

جَـوَادٌ مَتَى اسْتَعْجَلْتَ أوْلَى هِبَاتِهِ كَفاكَ مِنَ البَـحْرَ الخِضَمِّ عُبَابُ

شهَامةُ نفْسٍ في سلامــة مَذْهـبٍ كما الماءُ للرَّاحِ الشَّمولِ قِطابُ

بنِي جَهْـورٍ مهْما فخـرتُمْ بأوَّلِ فَسِرَّ منَ المَجْــدِ التليـدِ لُبـابُ

بكم باهَتِ الأرضُ السَّماءَ فَأوْجُهٌ شموسٌ وأيدٍ في المحولِ سحابُ

مُحَيَّـــاكَ بدرٌ والبـــدورُ أهلَّــهُ ويمْناكَ بحْــرٌ والبحــورُ ثَغَابُ

يكثر الشاعر في الأبيات من المعجم المائي ، فيستخدم لفظة : البرق ، والغمام ، البحر الخضم ، الماء ، سحاب .

[1]ـ الركابي ، جودت ، في الأدب الأندلسي ، ص 130 .
[2]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 373 .

ويقول أيضاً :

مُمِرٌّ لمن عاداهُ إذْ أَوْلياؤُهُ يَلَذُّ لهم كالمَاءِ شِيبَ بهِ الشّهْدُ[1]

ويقول :

جَالَ ماءُ النَّعيمِ منهُ بِخَّدٍ فيهِ للمُسْتَشِف نُورٌ وَنارُ[2]

نلاحظ أن ابن زيدون في هذه الأمثلة ـ وغيرها كثير في ديوانه ـ يستخدم ألفاظ الماء ومسبباته ، وقد وردت أغلبها في غرض المديح ، واستخدمت كناية عن كرم الممدوح وعطائه .

ويستعطف ابن زيدون أبا الحزم بقصيدة لامية نظمها في سجنه ، استهلها بعناصر الطبيعة ؛ لكي تشاركه آلامه ومشاعره ، فالغمام آن له أن يبكي مصابه ، ويطلب البرق بأخذ حقه المهضوم ، وتقيم أنجم اليل المآتم نادبة ما تعرض له الشاعر من سجن وإقصاء ، ولو أنصفته هذه النجوم التي هي كفؤ لهمته ؛ لتهاوت من أماكنها لما ناله الشاعر من ذل وظلم ، وفي ذلك يقول :

ألمْ يأنِ أنْ يبكي الغمامُ على مثلي ، ويَطْلُبَ ثأري البرْقُ مُنصلتَ النَّصْلِ

وَهَلاَّ أقامـــتْ أنْجُـــمُ اللّيل مَأتماً لتَندُبَ في الآفاقِ ما ضاعَ من نثلـي

ولو أنصَفتني ، وهيَ أشْكالُ همتي ، لألقَت بأيـــدي الـــذّلّ لمّا رأتْ ذُلّي

وَ لاَفْترَقتْ سبْعُ الثُّريَّا ، وغَاضَها ، بِمَطْلِعِها ما فرَّقَ الدَّهرُ من شمـلي

لقد أكثر ابن زيدون من ألفاظ الطبيعة المائية في شعره ، واتفق مع الشعراء العباسيين الثلاثة في الإكثار منها ، إلاَّ أن هذه الألفاظ لم ترد مقصودة لذاتها من حيث الوصف ، وإنما جاء كناية على كرم الممدوح ، وأحياناً يجعلها تشاركه آلامه ومشاعره ، بخلاف الشعراء العباسيين الثلاثة الذين أخصوها بالوصف . فأبو تمام يصف (دِيمَةٌ سَمْحَةُ القِيَادِ سَكُـــــوبُ) ، والبحتري يصف (عارض منهل) ، والمتنبي يصف (بحيرة) .

[1]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 360 ، ممر : صار مراً ، شِيب : مُزِجَ .
[2]ـ المصدر نفسه ، ص 125 ، المستشف : المتطلع إلى ما وراء الشيء أو ما خفي منه .

معجم الحيوانات

استعمل ابن زيدون معجم الحيوانات ، بل احتلت الحيوانات مكانا بارزاً في شعره ، وقد ارتبطت " ارتباطاً وثيقاً بالحرب وأدواتها "[1] ، ويبدو أن أغلب ألفاظ الحيوانات الواردة في شعر ابن زيدون ، هي أسماء الخيول ، والأسود ، التي " لا ترد منفصلة عن الحرب والسيف والحسام لما لها من صلة وثيقة بذلك ، لأن الخيل هي الأداة الأولى في القتال ومعظم هذه الألفاظ نمط تراثي ظل يتردد في النماذج الأندلسية "[2] ، وكذلك كان الأسد ـ وما في معناه ـ من الألفاظ التي لها دلالة على القوة والشجاعة لا سيما عندما يستخدمه الشعراء في المدح رمزاً للخليفة والأمير ، وأحياناً يستخدمه الشعراء في الفخر ، لإظهار شجاعتهم ، وفي هذا المبحث سنقتصر على هذين الصنفين ، لأنهما يمثلان ظاهرة بارزة في شعر ابن زيدون.

أولاً ألفاظ الخيل :

عد العرب منذ القدم الخيل من كرام الحيوانات ، بل إن الإسلام أعطاها كرامتها وقداستها ، والحديث عن الخيل حديث عن الشجاعة والشجعان ، ولذا وجد الشعراء منذ القدم في وصفها انتشاءً وقوة فاكثروا من ذكرها ومدحها ووصفها في أشعارهم ، ولذلك آثرها الكثير من الشعراء بالحديث مثل امرئ القيس الذي وصف بأنه " نعات الخيل "[3] ، وقد أكثر شعراء العصر العباسي من ذكرها ، كالمتنبي الذي " كان يؤثرها على الإبل لما يقوم في نفسه من التهيب بذكر الخيل ، وتعاطي الشجاعة "[4] ، وإذا نظرنا إلى الشعر الأندلسي نجد أن ذكر الخيل قد شغل منه نصوصاً كثيرة " وليس اهتمام الأندلسيين بها وليد بيئتهم ، أو إبداع مخيلتهم وإنما كانت العناية بها منصرفة إليها منذ أقدم مراحل الشعر العربي ، ففي الأدب الجاهلي إشارات إليها وأوصاف عديدة فيها ، ولكن تجدد العناية بها والترنم بمفاخرها دليل على تعشقهم لها وحبهم إياها ، وهي عادة لاتزال قائمة في مجتمعنا العربي حتى الآن "[5] ، يقول ابن زيدون في الخيل :

فإذا نحن طالعنا هُ والأُفُقُ لابسٌ عَجَاجتَهُ والأرضُ بالخيلِ ترجُفُ[6]

---

[1]ـ عبد القادر ، محمد سلمان السعدي ، الشعر في عصر ملوك الطوائف بالأندلس (دراسة في الدلالات اللغوية والتشكيلات الفنية) ، رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس ـ القاهرة ، 1983 ، ص 272 .

[2]ـ المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

[3]ـ ابن رشيق ، العمدة ، 2 /296 .

[4]ـ ابن رشيق ، العمدة ، 1 / 229 .

[5]ـ السعيد ، د . محمد مجيد ، الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس ، الدار العربية للموسوعات ، الطبعة الثانية ، 1985 ، ص 145 .

[6]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 496 .

والبيت السابق من قول البحتري :

فالخَيْلُ تَصْهَلُ والفَوَارِسُ تَدّعِي ؛ والبِيضُ تَلْمَعُ ، والأسِنَّةُ تَزْهَرُ[1]

وقول ابن زيدون :

ثَوَى صَافِناً في مربطِ الهُونِ يَشْتَكِي بِتَصْهَالِهِ مَا نَالَهُ مِنْ أذَى الشَّكْلِ[2]

من قول المتنبي :

وإن تكُنْ مُحكماتُ الشّكل تمنعُني ظهورَ جَرْيٍ فلي فيهنّ تَصهالُ[3]

وقول ابن زيدون :

وأنّ الجوادَ الفائِتَ الشّأوِ صافنٌ تخوّنهُ شكلٌ وأزرَى به رَبْطٌ[4]

وقوله أيضاً :

ما عَسِيٌ أَنْ يَأْلَفَ السَّابِقُ المَرْ بَطَ في العِتْقِ منهُ والتطهيمِ[5]

فقد أخذهما من قول المتنبي :

وما في طِبِّهِ أنِّي جوادٌ أضرّ بجسمهِ طُولُ الجَمامِ[6]

---

[1]- ديوان البحتري ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، المجلد الثاني ، ص 1072، تدَّعى : أي تعتز بأنسابها . البيض : السيوف . تزهر : تلمع .

[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، صـ 267 .

[3]- ديوان المتنبي ، شرح أبي البقاء العكبري ضبط وتصحيح مصطفى السّقا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ،دار المعرفة - بيروت – لبنان ،الجزء الثالث ، صـ 278 ، أحكم شكاله : عجز عن الجري .

[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، صـ 287 ، صافنٌ : قائمٌ على ثلاث قوائم ، ولامس بحوف الرابعة على الأرض ، تخوّنه : ذمه وعابه ،الشكل : القيد .

[5]- المصدر نفسه ، ص 282 ، عَسيٌ : جدير ، السابق : الجواد ، العتق : الحسن ، التطهيم : الجمال البارع .

[6]- ديوان المتنبي ، 4 / 148 ، الجمام : أن يترك الفرس فلا يركب .

ثانياً ألفاظ الأسد :

يقول الجاحظ : الأسد هو " سيد السباع "[1] هو " المضروب به المثل في النجدة والبسالة ، وفي شدة الإقدام والصولة فيقال : ما هو إلا أسد على براثنه ، وهو أشد من الأسد ، وهو أجرأ من الليث العادي ، وفلان أسد البلاد ... "[2] ، وقد كان للأسد حضور قوي في الشعر العربي ، حيث إنهم استلهموا صورته في مواضيع المدح ، والفخر ، والتغني بالذات والبطولات ؛ لأنه مضرب مثل للشجاعة والنجدة والبسالة والبطش والشدة والإقدام و ـ كما ذكر الجاحظ ـ ،

وقد وصف البحتري منازلة حقيقية بين الفتح بن خاقان والأسد ، يقول :

غَداةَ لَقِيتَ الليثَ والليثُ مُخْدِرٌ يُحَدِّدُ ناباً لِلّقاءِ ومِخْلَباً [3]

وقد صور المتنبي في إحدى قصائده حادثة حقيقية ، هجم فيها بدر بن عمار على أسد بسوطه ، وهاجه عن بقرةٍ كان يفترسها ، يقول المتنبي :

أَمُعَفِّرِ اللَّيثِ الهِزَبْرِ بِسَوْطِهِ لِمَنِ ادَّخَرْتَ الصَّارِمَ المَصْقُولا [4]

أما ابن زيدون ، فقد شبه نفسه بالأسد الرَّابض المخيف ، الذي لا ينبغي إثارته وفيه تحذير وتوعد لأنه أراد بذلك إخافة ابن عبدوس منافسه على حب ولادة فقال :

أَثَرْتَ هِزبْرَ الشَّرَى إذْ رَبَضْ ونَبْهتَهُ إذ هَدَا فاغْتَمــضْ [5]

وما زلْتَ تبْسُطُ مُسْترســِلاً إليه يدَ البَغْي لمَّا انْقَبَـضْ

حذارِ حذارِ فإنَّ الكريـــــمَ إذا سِيمَ خَسْفا أبَى فامْتَغضْ

وقول ابن زيدون :

رأى أنّهُ أضحى هِزَبْراً مُصمِّماً فلم يعدُ إن أمسى ظَلِيماً مشرّدا[6]

---

[1]ـ الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق ، عبد السلام هارون ، دار الجبل ـ بيروت ، 1988 ، 1 / 228 .
[2]ـ المصدر نفسه والصفحة نفسها .
[3]ـ ديوان البحتري ، المجلد الأول ، ص 199 ، مخدر : مستتر في عرينه .
[4]ـ ديوان المتنبي ، 3 / 237 ، العفر التراب . الهزبر : الأسد . الصارم : السيف القاطع .
[5]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص582 ، الهزبر : الأسد القوي ، الشرى : مأسدة أي مكان تجمع الأسود ، ربض : أوى إلى عرينه ، هدأ : نام ، اغتمض : اطمأن ، البغي : الظلم ، انقبض : انكمش ، سام الخسف : أهانه ، امتعض : تذمر وغضب .
[6]ـ المصدر نفسه ، ص473 ، المصمم : الماضي في عزمه إلى غايته ، الظليم : ذكر النعام .

وهو من قول المتنبي :

فأَتَيْتَ مُعْتَزِماً ولا أسَدٌ وَمَضَيْتَ مُنْهَزِماً ولا وعِلُ[1]

ويقول البحتري :

أين السَّحابُ الجَودُ ، والقَمَرُ الذَّي يجْلُو الدجى ، والضَّيْغَمُ الضَّرغامُ؟[2]

وقد تأثر بهم ابن زيدون في الإكثار من أسماء الأسود وتعددها ، كالأسد ، والشبل ، والليث ، والضرغام ، والضيغم ، والغضنفر ، والسَّبنتي ، والورد ، والهِزَبْرِ ، وغيرها .

و يقول أبو تمام :

فإنْ تَكُ قد نالتْكَ أطرافُ وَعْكَةٍ فلا عَجَبٌ أنْ يُوعَكَ الأسدُ الوَرْدُ[3]

ويقول أيضاً :

أَرُدُّ يدي عن عِرْضِ حُرٍّ ومَنْطِقي وأملأُها مِنْ لِبْدَة الأسدِ الوَرْدِ [4]

ويقول أيضاً :

دَريَّةُ خيْلٍ ما يَزالُ لدَى الوغَى لَهُ مِخْلَبٌ وَرْدٌ مِنَ الأسَدِ الوَرْدِ[5]

ويقول البحتري :

لَدَي خُلُقٍ جاسِي النَّواحي كأنَّنِي أُصارعُ مِنْهُ هادِي الأسَدِ الوَرْدِ[6]

يقول ابن زيدون :

يَلْبَدُ الوَرْدُ السَّبَنْتَـــى وَلَه بَعْدُ افْتِـــــــراسُ[7]

---

[1]- ديوان المتنبي 3 /308 ، الوعل : التيس البري .
[2]- ديوان البحتري ، 3 / 1949 ، الضيغم : الأسد ، ويقال للقوي والشجاع من الأسود : ضرغام . الجود : المطر الغزير.
[3]- ديوان أبي تمام ، 1 / 282 ، الوعكة : أول المرض ، الأسد الورد : أسد لونه إلى الحمرة .
[4]- المصدر نفسه ، ص 291 .
[5]- المصدر السابق ، ص 293 .
[6]- ديوان البحتري ، 1 / 564 ، الجاسي : اليابس الصلب . الهادي : الأسد . النصل : العنق . الورد : الأسد ، وهو بين الكميت والأشقر ، ومن معاني الورد : الشجاع الجري .
[7]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، 276 ، يلبد : يقيم بمكانه لا يبرحه ، الورد : من أسماء الأسد السبنتي : الأسد أو النمر الجري .

ويقول ابن زيدون :

فِرَقٌ عَوَتْ ، فَزَأرتَ زَأرةَ زَاجِرٍ رَاع الكُلَيْبَ بها السَّبنْتَى الضَّيْغَمُ [1]

ويقول المتنبي :

أسَدٌ دَمُ الأسَدِ الهِزَبْرِ خِضابُهُ مَوتٌ ، فريص الموتِ منه تَرْعَدُ[2]

ويقول ابن زيدون :

إنْ أعْنَتَ الجسْمَ المُكَرَّمَ وَعْكَها فَلَربَّما وُعِكَ الهِزبْرُ الخادِرُ [3]

ويقول :

أُجَل ، أنَ ليْلَى حَيثُ أحياؤُها الأَسْدُ مَهَاةٌ حَمَتْها ـ في مَرَاتِعها ـ أُسْدُ[4]

وإذا تتبعنا ألفاظ الأسد وجدناها متكررة بكثرة في شعر ابن زيدون ، ولكنه لم يستخدمها بمعناها المجرد ، بل استخدمها استخدامًا مجازيا ، ومنحها دلالة رمزية فهي ترمز للخليفة ، والأمير وأحيانا يجعلها رمزاً لقوته وشجاعته ، وكان كثيراً ما يربط بينها وبين أدوات الحرب والقتال ، فتكون متصلة بالسيوف ، والرماح ، والأسنَّة .

" وقد ربط ابن زيدون كلمة الليث ـ وهي من أسماء الأسد ـ بالنزال والحرب والسيف ليمنحها دلالة خاصة تتعلق بالقوة "[5] ، فقال :

يَهِيجُ النِّزالُ به والسُّـــــــؤَا لُ لَيْثاً هصُوراً وبحْراً خِضَمْ[6]

شَهِدنا لأُوتيَ فَصْلَ الخِطــابِ وخصَّ بِفضْلِ النُّهى والحِكمْ

وَهَلْ فاَتَ شَيءٌ مِنَ المَكْرُمَاتِ جَرَى السَّيْفُ يَطْلُبُهُ والقَلـــمْ

فنلاحظ أن " الاستخدام اللغوي لكلمة الليث الهصور جاء مرتبطاً بالعلاقة القائمة بين الخليفة والأسد ، وبالمقارنة نزع الشاعر من الليث دلالة القوة ليمنحها للخليفة "[7] .

---

[1]ـ المصدر نفسه ، ص 319 ، السبنتى : الجري المقدام .

[2]ـ ديوان المتنبي ، 1 / 334 ، فريص : جمع فريصة ، وهي لحمات عند الكتف تضطرب عند الخوف .

[3]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 507 ، العنت : المشقة ، الوعك : داء الحمى ، الهزبر : الأسد القوي ، الخادر : المقيم بالخدر .

[4]ـ المصدر نفسه ، ص 351 ، الأسْدُ : قبيلة باليمن ، المهاة : البقرة الوحشية ، مارد : حصن بدومة الجندل ، الأبلق : حصن بتيماء للسموأل بن عاديا ، قصدتهما الزبا ملكة تدمر فعجزت عن فتحهما فقيل : "تمرد مارد "، الخط : موضع باليمامة تنسب إليه الرماح الخطية لأنها تحمل من الهند فتقوَّم فيه ، الخيل الجرد : التي قصر شعرها ..

[5]ـ عبد القادر ، محمد سلمان السعدي ، الشعر في عصر ملوك الطوائف بالأندلس (دراسة في الدلالات اللغوية والتشكيلات الفنية) ، ص 286 .

[6]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 412 ، الليث الهصور : الأسد الكاسر ، الخضم : الكثير العطاء .

[7]ـ الشعر في عصر ملوك الطوائف بالأندلس (دراسة في الدلالات اللغوية والتشكيلات الفنية) ، ص 287 .

وقد يجنح الشاعر إلى المبالغة في وصف ممدوحه حين يجعله ليثاً شديداً منذ كان طفلاً صغيراً ، يقول ابن زيدون :

وما بلَّتْ البُردَ تلْكَ الدُّمُو عُ إلاَّ وفي البُرْدِ لَيْثٌ أبَلُّ[1]

يقول الشاعر إنه كان ليثاً شجاعاً منذ كان طفلاً في مهده عندما كانت دموعه تبل ثيابه .

ومن معاني الأسد " الضيغم " ، يقول ابن زيدون :

وجنانُكَ الثَّبْتُ الذي لا ينْثَنِي وحُسَامُكَ العَضْبُ الذي لا يَكهَمُ[2]

والحالُ أوسَعُ ، والَعوَالي جَمَةٌ والمجْدُ أشْمَخُ ، والصَّريمةُ ضَيغَمُ

استخدم الشاعر لفظة ضيغم ، وهي الأسد القوي ، وقد ربطها بأدوات القتال المتمثلة في السيف ، ليمنحها دلالة خاصة تتعلق بقوة الخليفة .

كما وردت كلمة الهزبر في أكثر من موضع محملة بدلالة القوة التي يتصف بها الممدوح يقول ابن زيدون :

جَذلانُ ـ في يومِ الوغَى ـ مُتَطَلِّقٌ وجَهًا إلَيْها ، والرَّدى مُتَجَهِّمُ[3]

بَأْسٌ كَمَا صالَ الهِزَبْرُ ، إزَاءَهُ جُودٌ ، كَمَا جَاشَ الخِضَمُّ الخِضْرِمُ

استعمل الشاعر التعبير اللغوي المتمثل في " الهزبر " وهو الأسد الضخم الشديد ، وهي صفة منحها الشاعر ليدلل بها على شجاعة الخليفة ، وقد أضفى الشاعر للفظة الهزبر دلالات متعددة ـ تنم على أن هذا الاستعمال للخليفة لا للحيوان ـ منها : يوم الوغى ، الردى ، البأس ؛ لتسهم في إيضاح مدلول اللفظة ، فيما يسمى بترشيح المعنى في البلاغة .

لقد جاءت مفردات الأسد ـ وما في معناها ـ متناثرة بكثرة في شعر ابن زيدون ، غير أنها لم تحمل معناها الحقيقي التي هي وصف للأسد ، وإنما جاءت لتحمل معنى مجازياً يمنح للممدوح أحياناً وأحياناً أخرى تأتي وصفاً للشاعر نفسه .

---

[1]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 422 ، أبَل : غلب وامتنع . الأبلُ : الألد الجدل أو الشديد اللوم .

[2]ـ المصدر نفسه ، ص 309 ، الجنان : القلب . العضب : القاطع . يكهم : يكلّ .العوالي : جمع عالية وهي أعلى القناة أو رأسها أو النصف الذي يلي السنان . أشمخ : أعلى . الصريمة : العزيمة . الضيغم : الأسد .

[3]ـ المصدر نفسه ، ص 316 ، الهزبر : الأسد أو الغليظ الضخم أو الصلب أو الشديد . جاش : هاج واضطرب . الخضم : البحر أو الجمع الكثير . الخضرم : البحر العظيم أو البئر الكثيرة الماء .

السيف والألفاظ التي تتعلق به :

شغلت الألفاظ المتعلقة بالسلاح في شعر ابن زيدون حيزاً كبيراً ومن هذه الألفاظ القتالية : السيف ، والرمح ، والسهام ، والدروع ، والنبال ، وتعد لفظة السيف من أبرز أدوات القتال التي وردت في شعره ، وقد كررت هذه اللفظة بمعاني كثيرة منها : الحسام ، والفرند ، الغمد ، المهند ، وغيرها .

وقد جاءت لفظة السيف في شعر ابن زيدون في سياق المدح والفخر ووصف المعارك ، فعندما يصف الخليفة أو الأمير يكثر الشاعر من استخدام لفظة السيف وما في معناها فتكون لفظة السيف لفظة مجازية إشارة للممدوح ، حيث يقيم الشاعر علاقة بين السيف والخليفة ، ويأخذ دلالة السيف في مضائه وحدته وشدة عزيمته ليمنحها للممدوح على سبيل التصوير الخيالي المستند إلى التشبيه أو الاستعارة ، وأحياناً يستخدم الشاعر لفظة السيف أو الحسام إشارة للشاعر نفسه في مواقف الفخر .

يقول ابن زيدون في مدح أمير بطليوس (المظفر بن الأفطس) :

نَهِيكٌ إذا جَنَّ لَيْلُ العَجَاجِ سَرَى مِنْهُ في جُنْحِهِ بَدْرُ تِمْ[1]

فَشَامَ السُّيوفَ بِهامِ الكُماةِ وَرَوَّى القَنَا في نُحُورِ البُهـَمْ

فالشاعر يقول : أن الأمير شجاع قوي وإذا ثارت الحروب نهض إليها متهللاً كالبدر ليلة تمامه فيغمد سيفه في رؤوس أعدائه المدججين بالسلاح فشربت الرماحُ من دمائهم .

ويقول الشاعر في ختام إحدى قصائده في مدح المعتضد :

أصْبحتْ دَولتُهُ في عصْـــــــــرِنا كَفِرِنْدٍ عادَ في سَيْفٍ صَـــــدِيْ[2]

ويقول ابن زيدون :

تُجَـــــرّدُ فيه سيـــــــــــفَ دولتِكَ دماءُ العِدا دأْباً بِغَرْبَيْهِ تُظْلَفُ[3]

هو الصارمُ العَضْبُ الذي العزمُ حدُّهُ وحِلْيَتُهُ بَذْلُ النّدى والتّعفُّـــفُ

---

[1]- المصدر السابق ، 411 ، النهيكُ : الشجاع أو السيف القاطع ، جن : ستر ، العجاج : الغبار ، جنح الليل : قطعة منه ، بدرتم : قمر كامل ، شام السيف : أغمده أو سله ، الهامة : الرأس ، الكماة : جمع كميّ وهو الشجاع المدجج بالسلاح ، والبهمُ : جمع بهمة وهي صغار الضأن والماعز والبقر، والبُهم : الشجاع أو الجيش .

[2]- المصدر السابق ، ص 447 ، فرند السيف : صفحته ، صديْ : علاه الصدأ .

[3]- ديوان ابن زيدون ، 494 ، غربُ السيف : حده ، تظلف : تباح وتهدر .

ويقول :

طَلَاقَةُ وجْهٍ في مَضَاءٍ كَمِـــــثْلِ مَا يَرُوقُ فِرِنْدُ السَّيْفِ والحَدُّ مُرْهَـــفُ[1]

على السَّيفِ من تلْكَ الشَّهامةِ ميْسَمٌ وفي الرَّوضِ من تلك الطَّلاقةِ زُخْرُفُ

كقول البحتري :

ويحْسُنُ دلُّها والموتُ فِيهِ وقد يُستَحْسَنُ السَّيفُ الصّقيلُ"[2]

ومنه قول البحتري :

يُريكَ تأَلُّقُ المُعْرُوفِ فيهِ شُعَاعَ الشّمسِ في السّيفِ الصّقيلِ[3]

ومن ألفاظ السيف التي استخدمها ابن زيدون لتدل عليه ، قوله :

يقُولون : شَرّقْ أو فغرّبْ صريمةً إلى حيثُ آمالُ النُّفوسِ نِهابُ[4]

فأنتَ الحُسامُ العَضْبُ أصدِئ متْنُهُ وعُطِّلَ مِنْهُ مَضْرِبٌ وذُبـــابُ

وما السَّيفُ ممَّا يُسْتَبَانَ مَضَـــاؤُهُ إذا حـــــازَ جـفْنٌ حَدَّهُ وقِرابُ

ففي هذه الأبيات ، استخدم ابن زيدون كلمة الحسام والسيف استخداماً مجازياً للفخر بنفسه ، وتمكن من خلال نسيجه اللغوي ، من استغلال كل صفات السيف الحادة والقوية ، وتوظيفها بشكل يخدم قضيته ، فقد أشار إليه الناصحون بالهجرة عن هذا البلد حيث يجد التكريم والحفاوة ، وألاَّ يهمل نفسه كما يهمل السيف الحاد في غمده فإذا بقي كذلك فإن مواهبه ستضيع وتتلاشى كما يتلاشى مضاء السيف إذا ظلَّ مغمداً في جفنه .

وعند تتبعنا لمعجم ابن زيدون اللغوي تطالعنا لديه بروز" الأنا " وهي ظاهرة واضحة في شعره ، وهي ظاهرة واضحة في شعر أبي تمام والبحتري والمتنبي ، لذلك تجد في شعرهم الألفاظ الدالة على هذه الأنا ، فنراهم يكثرون من استخدام (أنا السيف) ، (أنا الجواد) ، وغيرهما ، ويرى الدكتور حسن جاد حسن ، ـ في حديثه عن نفسية ابن زيدون في شعره ـ أنه يتمتع بـ " نفس معتزة أبية ، تتأبى على الأحداث وتتسامى عن الهوان ، وتترفع عن مسامرة الثرى إلى منادمة النجوم . تسري فيها روح الكبرياء والثقة ، والاعتزاز ، فهي لذلك صارخة

---

[1]ـ المصدر نفسه ، ص 489 ، مرهف : ماضي الحد ، ميسم : علامة ، الزخرف : ألوان النبات الزاهية .
[2]ـ ينظر الذخيرة ، القسم الأول ـ المجلد الأول ، 378 ، والبيت في ديوان البحتري ، المجلد الثالث ، ص ، 1822 .
[3]ـ ديوان البحتري ، المجلد الثالث ، صـ 1738 .
[4]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 382 ، الصريمة : العزيمة ، النهاب : جمع نهب وهو الغنيمة ، الحسام العضب : السيف القاطع ، المتن : الصفحة مضرب السيف : حده ، ذُنابُهُ : طرفه المدبب .

في وجه الخطوب دائماً ، متكبرة على أن تغشى حماها "[1] ، يقول في إحدى مدائحه مفتخراً بنفسه :

أنا السيفُ لا ينْبو مع الهَزِّ غَرْبُهُ إذا ما نَبَا السَّيْفُ الذي تَطْبعُ الهنْدُ [2]

ويقول مستعطفاً أبا حزم بن جهور إبّان سجنه :

إنْ طَالَ في السِّجْنِ إيداعي فلاَ عجَبٌ قدْ يُودّعَ الجَفْنَ حَدُّ الصَّارمِ الذَّكَرِ[3]

ومن الاستخدامات اللغوية عند ابن زيدون لصفات السيف (الفرند) وقد ربط الشاعر بين هذه الصفة للسيف وبين شمائل الخليفة ، ومزجها في صفة واحدة تحاكي في جمالها الحدائق الغناء ، يقول ابن زيدون :

خلائقُ مُمْهاةُ الفِرنْدِ ، كأنها حدائقُ رَوْضِ الحَزْنِ جِيْدَ فأيْنَعَا[4]

ويقول في مدح ابن جهور :

له عزمةٌ مطْويَّةٌ في سكيْنَةٍ كما لانَ مَتْنُ السَّيْفِ واخْشَوْشَنَ الحَدُّ[5]

ويقول :

وجنانُكَ الثَّبْتُ الذي لا ينثني وحسامُكَ العضْبُ الذي لا يَكـــــهَمُ[6]

ويقول :

وبَقاءُ الحُســـامِ في الجَــفْنِ يَثْنِي مِنهُ بَعْدَ المَضَـــاءِ والتَّصْــمِيمِ[7]

ويقول :

فَلئنْ تَسُمْنِي الحادثاتُ فَقدْ أرى لِلْجَفْنِ فِي العَضْبِ الصَّقِيلِ نُدُوبَا[8]

وخلاصة القول إن معجم ابن زيدون الشعري لا يختلف كثيراً عن معجم شعراء العصر العباسي المحدثين ، كأبي تمام والبحتري والمتنبي فقد تأثر بهم في الاقتباس من الثقافة الدينية والتراثية وحشد الأمثال والحكم ، كما تأثر بهم في معجم الطبيعة (الطبيعية) المتمثلة في

---

[1]- ابن زيدون حياته - عصره - أدبه ، ص 204 .
[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 365 ، نبا السيف : ارتد ولم ينقطع ، غربه : حده .
[3]- المصدر نفسه ، ص 255 .
[4]- المصدر نفسه ، ص 558، أمهى : الصانع الشفرة الحَزْنُ : ما غلظ من الأرض .
[5]- المصدر نفسه ، ص 360 .
[6]- المصدر نفسه ، ص 309 ، الجنان : القلب ، العضب : القاطع : يكهم : يكلّ .
[7]المصدر السابق ، ص282 .
[8]- ديوان ابن زيدون ، ص 326 .

النباتات والزهور ، والماء ومسبباته ومجاريه ، وفي معجم الحيوانات فقد تأثر بهم في الإكثار من أسماء الخيول والأسود ، فإذا كان ابن زيدون ، وكذلك الشعراء العباسيون الثلاثة قد اشتهروا بالمدح وارتبط اسم كلٍّ منهم باسم خليفة أو أمير فلابد لهم أن يصفوهم بالشجاعة ، و أن يشبهوهم بالأسود وأن تكون الخيول مطاياهم في ساحات الوغى ، وكذلك أكثروا من أدوات القتال كالسيوف وما في معناها ، كما تأثر بهم في حشد وتكرار أسماء الممدوحين في قصائدهم ، والإكثار من أسماء المدن والأماكن ، ومن الألفاظ التي كررها ابن زيدون ـ وهي موجودة بكثرة في شعر أبي تما م والبحتري والمتنبي ـ لفظة " ليت شعري " ، ولفظة " خليلي ".

ومن الألفاظ المشتركة بين ابن زيدون ، والشعراء العباسيين الثلاثة (ألفاظ الفلك) ، وهي أوصاف كثيراً ما ترد في تشبيه الممدوح أو وصف الحبيبة ، ومن هذه الألفاظ (الشمس ـ القمر ـ البدر ـ الهلال ـ النجم ـ سهيل ـ الثريا ـ الزهرة ـ المشتري ـ الأرض ـ السماء ـ الشهب) .

ومن الألفاظ التي وردت في شعر ابن زيدون ، وفي الشعر العباسي (ألفاظ الروائح) كالمسك ، والعنبر والعرف ، والطيب والعطر ، وغيرها .

ومن الألفاظ التي وردت في شعر ابن زيدون بكثرة ، واشتهر بها شعراء العصر العباسي ، لفظتا : (الدهر والزمن) ؛ لارتباطهما بالإنسان أينما كان ، وأينما حل ، في سروره وسعادته ، وفي قلقه وشقاوته ، لأن الشعراء العباسيين الثلاثة وابن زيدون قد اشتهروا بالشكوى من الزمن ، وإذا كانت هذه الألفاظ عامة ومشتركة بين الشعراء فإن هناك ألفاظاً بعينها كررها ابن زيدون وقد تناولها البحتري في شعره بكثرة ، وهي لفظة : (نائل الغمر) وهي كلمة تدل على كثرة العطاء ، ومنها في شعر ابن زيدون قوله :

طَريقَتُكُمْ مُثْلَى ، وهَدْيُكُم رِضىً وَمَذْهَبُكَمْ قَصْدٌ ، ونائلكمْ غَمْرُ[1]

وقوله أيضاً :

وَلاَ ثَنَتِ المَحْذُورَ عَنْكَ جَلاَلَةٌ وَلاَ عَدَدٌ ، دَثْرٌ ، ولا نائلٌ غَمْرُ[2]

ولعل ابن زيدون أخذ هذا الاصطلاح اللفظي من البحتري ، حيث إن البحتري استخدم هذه اللفظة في عدة مواضع ، فمنها قوله :

أوجْهُهُ الواضِحُ ، أم حلْمهُ الرَّا جحُ ، أم نائلُهُ الغَمْرُ ؟[3]

[1]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 548 ، مثلى : فضلى ، النائل : العطاء ، الغمر : الكثير .
[2]ـ المصدر نفسه ، ص 564 ، الدثر : الكثير .
[3]ـ ديوان البحتري 2 /967 .

ويقول في مطلع إحدى مدائحه في المتوكل :

أبرَّ على الأنواء نائلُكَ الغَمْرُ وَبنْتَ بفَخْرٍ ما يُشاكِلُهُ فَخْرُ[1]

ويقول في مدح المعتز :

لمْ أرَ كالمُعْتَزّ في حلمِهِ الـ ـوافي وفي نائِلِهِ الغَمْرِ[2]

ويقول :

تلافَيْتنِي في ظَمْأةٍ فَدَفَعْتنِي إلى نائلٍ فيه المَخَاضَةُ والغَمْرُ[3]

ويقول :

وما قَدْرُهُ في جَنْبِ جُودِكَ إن غَدا بِرُمَّتهِ ، أو رَاحَ نائلُكَ الغَمْرُ ؟[4]

ويقول:

ولمَّا حَبَا أرْضَ " العِراقِ" بِقُرْبِهِ طَمَا بحرُهُ فيها ونائلُهُ الغَمْرُ[5]

ويقول:

يا عاذِلَ الحسنِ بنِ وهْبٍ في اللُّهى مِنْ نَيْلِه والغَمْرِ من إحْسانِهِ[6]

هذه أغلب ألفاظ ابن زيدون التي اشتمل عليها معجمه اللغوي ، وإذا كان ابن زيدون اعتمد في أغراضه الشعرية على (المدح ، والغزل ، والطبيعة) ، وإذا كان قد قصر مديحه على الأمراء ، وقصر غزله على محبوبة واحدة فإنه لا شك في أن يكون للطبيعة حضورٌ كثيرٌ في شعره ، وبالتالي فإنه إذا أراد وصف ممدوحه ، فإنه يصفه بما كان يصف الشعراء العباسيون ممدوحيهم ، فنراهم يشبهونهم بالكواكب ، وبالغيث ، والمطر ، والبحر ، وإذا كان كلا الطرفين تصاحبهما نغمة الأنا ، فإنه لاشك أن يكون للسيف ، والخيل ، والأسد حضورٌ في معجمهم الشعري ، وكذلك اعتمد ابن زيدون في غزله على الطبيعة فشبه محبوبته بما كان الشعراء العباسيون يشبهون محبوباتهم حيث يشبه الوجه بالبدر ، والعينين بالنرجس ، والقد بالغصن ، وبياض الأسنان بالبرق ، وإذا كان خلفاء العصر العباسي ، وأمراء الأندلس قد اهتموا

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 991 .
[2]- المصدر نفسه ، ص 1010 .
[3]- المصدر نفسه ، ص 894 ، المخاضة : موضع الخوض في الماء .
[4]- المصدر نفسه ، ص 1069 .
[5]- المصدر نفسه ، ص 1099 .
[6]- ديوان البحتري ، 4 / 2262 ، اللهى : العطايا أو أجزلها .

بالقصور وزخرفتها ، وإحاطتها بمجاري المياه ، وكل أصناف الزهور والورود ، فكل هذا مدعاةٌ لوجود شعراء يصفون زخرفة القصور ، وما أحاطها ، وهذا ما نلمسه بوضوح في شعر ابن زيدون وشعر البحتري ، ولعل هذا الاتفاق بينها ما جعل نقاد الأندلس يسمونه باسمه ، وخلاصة القول أن معجم ابن زيدون الشعري لا يختلف كثيراً عن معجم أبي تمام والبحتري والمتنبي ، وهو معجم يغلب عليه البساطة والسهولة والوضوح ، وكان للطبيعة بنوعيها حضورٌ في معجمهم الشعري .

المبحث الثالث :أثر شعراء العصر العباسي في شعر ابن زيدون في المحسنات البديعية :

ولع ابن زيدون بالمحسنات البديعية وقد جرى في ذلك على سنن شعراء العصر العباسي الذين أكثروا منها في أشعارهم ، سواءً أكان عفوياً نابعاً من صدق التجربة الشعورية ، أو متكلفاً متصنعاً ، وسندرس أهم المحسنات اللفظية والمعنوية ، التي وردت في شعر ابن زيدون ، وعند أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي .

أولاً الجناس : هو لون من الألوان البديعية الموسيقية وأهمها ، وقد سماه ابن المعتز " التجنيس " ، ويعرفه بقوله : " وهو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام . ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها "[1]، وعرفه المحدثون تعريفاً أشمل وأوسع ، وهو: التشابه بين لفظتين في الإيقاع (النطق) مع اختلافهما في المعنى ، وهو على ضربين : الجناس التام : وهو ما اتفق اللفظان في أنواع الأصوات ، وعددها ، وترتيبها ، وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات ، ويكون فيه الإيقاع متطابقاً ، والجناس الناقص : هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأربعة المتقدمة [2].

ولعل أبا تمام من أبرز شعراء العصر العباسي المولعين بالجناس فمن قصائده التي أكثر فيها من الجناس قصيدته في مدح محمد بن عبد الملك الزيات ، يقول في مطلعها :

مَتَى أنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةِ الحَيّ ذَاهِـلُ وَقَلْبُكَ مِنها مُدّةَ الدَّهْـــرِ آهِـــلُ ![3]

تُطِلُّ الطُّلُولُ الدَّمعَ في كُلِّ مَوْقِفٍ وَتَمْثُلُ بالصَّبْرِ الدِّيـــارُ المَواثِـلُ

دَوراسُ لَمْ يَجْفُ الرَّبيعُ رُبُوعَـــها ولا مَـرَّ في أغفالِها وهْـوَ غافِـــلُ

فقـــد سَحبتْ فيها السَّـحائبُ ذَيلها وقَدْ أُخمِلَـتْ بالنَّـور فيها الخَمَائِـــلُ

تَعَفَّيْنَ مِنْ زَادِ العُفـــاةِ إذا انْتحـــى على الحيِّ صَرْفُ الأزْمةِ المُتَماحِلُ

لَهُمْ سَلَفٌ سُمْرُ العَوالـــي وَسَامِـــرٌ وفيهم جمـــالٌ لا يغِيضُ وَجَامِـــــلُ

وهي قصيدة يبلغ عدد أبياتها ستين بيتاً بنى أغلب أبياتها على الجناس ، وإنما نحن ههنا نمثل بمقدمة القصيدة فقط ، فالجناس في البيت الأول بين (ذُهْلِيَّةِ ، ذَاهِلُ ، آهِـــــلُ) ، وفي البيت الثاني يجانس بين (تُطِلُّ ، الطُّلُولُ ، وبين وَتَمْثُلُ ، المَواثِلُ) ، وفي البيت الثالث يجانس بين

[1]- ابن المعتز ، عبد الله ، كتاب البديع ، اعتنى به إغناطيوس كراتشقوفسكي ، دار المسيرة بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1982 ، ص25 .
[2]- ينظر ، سلطان ، منير ، البديع تأصيل وتجديد ، منشأة المعارف - الإسكندرية ، 1986 ، ص 76 .
[3]- ديوان أبي تمام ، 2 / 53 .

(الرَّبيعُ رُبُوعَها ، وبين أغفالِها ، وغافِلُ) ، وفي البيت الرابع يجانس بين (سَحبتْ ، والسَّحائبُ ، وبين أُخمِلتْ والخَمَائِلُ) وفي البيت الخامس يجانس بين (تَعَفَّيْنَ ، العُفاةِ ، وبين انْتحى ، و المُتَماحِلُ) ، وفي البيت السادس يجانس بين (سُمْرُ ، وَسَامِرٌ ، وبين جمالٌ ، وَجَامِلُ) ، ففي هذه الأبيات نلاحظ أنه يبالغ في جناسه بين الكلمات فهو يكرر جناسه في البيت الواحد ، كما كان يعتمد على الجناس الذي يشمل القافية ؛ ليربط بينها وبين حشو البيت أي أنه يعتمد على رد الاعجاز على الصدور ، وقد خلط أبو تمام جناسه بالمطابقة ، فها هو يطابق بين (الجفاف والربيع) ، كما خلط مجانسته بالتصوير ، فـ " الطلولُ تُطل الدمع والربيع لا يجفو الربوع ولا يمر بها غافلاً ، ثم تلك السحائب التي تجرر أذيالها وتلك الخمائل التي أُخملت بالنور "[1] ويضيف ، شوقي ضيف ، قائلاً : و " هذا ما يجعلنا نلتفت إلى جانب مهم في استخدام ألوان التصنيع ، ذلك أنها تستخدم على طريقتين : الطريقة الأولى أن تأتي متعاقبة لا يتعلق بعضها ببعض ، كما نجد ذلك عند البحتري . أما الطريقة الثانية فتمتزج فيها هذه الألوان ، ويمر بعضها في بعض فتتغير شياتها وهيئاتها ، كما نجد عند أبي تمام في أكثر أحواله "[2]، وهذه القصيدة من القصائد التي عارضها ابن زيدون ، وذلك في قصيدته في مدح ابن جهور ومطلعها :

مَرَادُهُمُ حَيْثُ السِّـلَاحُ خَمَائِـلُ ومَوْرِدُهُمْ حَيْثُ الدِّمَـاءُ مَنَاهِـــلُ[3]

لِكُلِّ نَجِيْدٍ في النِّجَــادِ ، كَأَنَّمـــا تُنَاطُ بِمَتْنِ الرُّمْـــحِ مِنْهُ الحَمائِـلُ

طَـوِيلٌ علينا لَيْلُهُ مِـنْ حَفِيظَـــةٍ كأنَّ صبَابَـــاتِ النُّفُوسِ طَوَائِــلُ

كِناسٌ دنا منهُ الشَّرى في مَحـلَّةٍ بِهَا اللَّيْثُ يَعْدُو ، والغَزَالُ يُغَـــازِلُ

أَمَحْجُوبَةٌ لَيْلى ولَمْ تُخْضَبِ القَنَا وَلا حَجَبَتْ شَمْسَ الضُّحَاءِ القَساطِلُ ؟

فبالإضافة لاتفاق القصيدتين في الغرض " وهو المديح " و الوزن والقافية ، فكلا القصيدتين من البحر الطويل ، والقافية اللامية ، والروي المضموم ، عارض أسلوبها القائم على الجناس ، حيث نلاحظ أن الجناس يتزاحم في هذه المقدمة الغزلية ، ففي البيت الأول يجانس بين (مَرَادُهُمُ و، مَوْرِدُهُمْ) ، وفي البيت الثاني يجانس بين (نَجِيْدٍ ، و النِّجَادِ) ، وفي الثالث يجانس بين طرفي البيت أي بين أول كلمة وآخر كلمة فيه (طَوِيلٌ ، و طَوَائِلُ) ، وفي البيت الرابع يجانس بين آخر كلمتين في البيت (الغَزَالُ ، يُغَازِلُ) ، وفي البيت الخامس يجانس بين (أَمَحْجُوبَةٌ ، وبين وَلا

---

[1]- ضيف ، شوقي ، الفن ومذاهبه ، ص 230 .

[2]- المرجع نفسه ، والصفحة نفسها

[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله 387 ، مرادهم : مكان طلب النجعة ، الخمائل الأشجار الكثيفة ، المورد : مكا ورود الماء ، مناهل : مشارب .

حَجَبَتْ) ، وتتكون هذه القصيدة من ثلاثة وخمسين بيتاً لا يكاد يخلو بيتٌ منها من الجناس ، بل إنَّ هناك أبياتاً أُخذت ألفاظها المتجانسة بعينها ، كقول أبي تمام :

تَرَى حَبْلَهُ غرْثَانَ مِنْ كلِّ غَدْرةٍ إذَا نُصِبَتْ تَحْتَ الحِبَالِ الحَبَائِلُ[1]

فطريقة الجناس في آخر البيت ، هي نفس الطريقة التي ارتضاها ابن زيدون في قوله :

أتِيٌّ ، فَمَا تِلْكَ السَّماحَةُ نُهْزَةٌ وَفَيٌّ ، فَمَا تِلْكَ الحِبَالُ حَبائِلُ[2]

وهذا الأسلوب من الجناس المتمثل في المجانسة بين القافية وما قبلها أسلوب التزمه أبو تمام في كثير من قصائده وهو أسلوب نجده في قصائد ابن زيدون بكثرة ، غير إنه لم يكلف بهذه الألوان المختلطة كثيراً " أو يوغل فيها هذا الإيغال ، وإنما كان يأخذ منها بقدر ، وعلى حسب ما تسمح به ثقافته العربية الخالصة "[3] ، في حين كان أبو تمام " يلح إلحاحاً ، ويوغل إيغالاً شديداً ، ويعمل فكره وعقله ، نتيجة لتأثره بالدراسات الفلسفية ونحوها "[4]، فيجانس ويطابق ويكثر من التصوير في آنٍ واحد مع عمق المعاني وصعوبة الألفاظ . ومما جعل ابن زيدون بعيدا عن التعقيد في الجناس ، أن شعره في جملته يتسم بالرقة والسهولة والنعومة ، وهو بهذا يتفق مع البحتري في سهولة المحسنات البديعية وعدم تكلفها .

ويقودنا الجناس إلى الكلام عن رد العجز على الصدر ، وعُرّف بأن يكون أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين في آخر البيت ، والثاني في صدر الشطر الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الشطر الثاني[5] ، وقد اصطلح البلاغيون على تسميته بالتصدير ، " وكلمة التصدير مأخوذة من الحبل الذي يصدر به البعير إذا جُرَّ حِمْلهُ إلى خَلْفٍ والحبل اسمه التصدير "[6] ، وقد عرفه ابن رشيق بقوله : " هو أن يرد أعجاز الكلام على صدوره ، فيدل بعضه على بعض ، ويسهل استخراج قوافي الشعر ... ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهةً ، ويكسوه رونقاً وديباجةً ، ويزيده مائيةً وطلاوةً "[7] ، وقد ورد التصدير في الشعر العباسي بكثرة ، وإذا تتبعنا شعر أبي تمام والبحتري وغيرهما تجدهم قد اهتموا به اهتماماً بالغاً ، ومن أمثلته في شعر أبي تمام ، قوله في مدح الشاعر علي بن الجهم ، عندما جاء يودعه لسفر أراده ، وكان أصدق الناس له :

---

[1]- ديوانه 2 / 59 .

[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 392 . الأتي : الجدول أو السيل ، نهزة : فرصة ، الحبال : الوصال والعهد والأمانة ، الحبائل جمع حبالة : وهي الشرك الذي ينصب للصيد .

[3]- حسن ، حسن جاد ، ابن زيدون حياته وثقافته وأدبه ، ص179 .

[4]- المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

[5]- ينظر- القزويني ، (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب) ، التلخيص في علوم البلاغة ، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى 1904 ، 393 وما بعدها .

[6]- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (صَدَرَ) .

[7]- العمدة ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، 2/ 3 .

فافْزَعْ إلى ذخْر الشُّؤونِ وغَرْبِهِ فالدَّمْعُ يُذْهبُ بَعْضَ جَهْد الجَاهدِ[1]

وإذا فَقَدْتَ أخاً ولَمْ تَفْقِـــــدْ لَهُ دمْعاً ولا صَبْراً فَلَسْتَ بفاقـــدِ

فالتصدير في البيت الأول بين آخر كلمة في البيت وما قبلها ، حيث وافق بين (جهد ، وجاهد) ، وفي البيت الثاني وافق آخر كلمة في البيت مع كلمتين في صدر البيت ، على هذا النحو (فقدت ، وتفقد ، وفاقد) ، ومن أمثلته في شعر البحتري قوله :

غَفَلْنَا عنِ الأيَّامِ أطْوَعَ غَفْلةٍ ، وما خَوْنُها المَخْشِيُّ عنَّا بغَافِلُ[2]

ففي هذا البيت وافق البحتري بين آخر كلمة في البيت و أول كلمة فيه ، (غفلنا ، وغافل) .

ورد العجز على الصدر يعد نوعاً من التكرار أهميته أنه يحدث جرساً موسيقياً في البيت الشعري ، وقد حرص أبو تمام والبحتري والمتنبي على هذا النمط في شعرهم ؛ ليربطوا بين القافية وبقية البيت ، وليحدثوا توازياً في بنية البيت الشعري .

وإذا انتقلنا إلى شعر ابن زيدون نجده قد اعتنى بهذا الأسلوب الموسيقي ، مبالغاً فيه حيث نراه في أغلب أبياته الشعرية معتمداً على رد الأعجاز على الصدور ، ففي قصيدته في مدح الوزير محمد بن جهور نلاحظ هذا الأسلوب قد تخلل أغلب أبيات القصيدة ، فهو تارة يوافق بين القافية ومطلع البيت ، أو حشوه ، أو آخره ، وتارة يوافق بين القافية ومطلع الشطر الثاني من البيت ، أو حشوه ، أو بين القافية وما قبلها ـ كما هو الحال في قصيدته في مدح الوزير محمد بن جهور ـ على هذا النحو :

عَروبٌ ألاحتْ مِنْ أعَاريبِ حِلَّةٍ ، تَجاوَبُ فيها بالصَّهيلِ عِرابُ[3]

يُعَذِّبُها عَضُّ السِّوارِ بِمِعْصَـــمٍ أَبَانَ لها أنَّ النَّعِيمَ عَـــــذَابُ

ففي البيتين السابقين يوافق بين القافية ، ومطلع الشطر الأول ، أي بين (عِرابُ و عَروبٌ) ، وبين (يُعَذِّبُها وعَذَابُ) .

---

[1]- ديوان أبي تمام ، 1 / 215 .

[2]- ديوان البحتري 2 / 1864 .

[3]- ينظر ديوان ابن زيدون ورسائله ص 368 ، 371 ، العروب : المتحببة لزوجها المطيعة له ، الأعاريب : البدو ، العراب : الخيل المنحدرة من سلالة أصيلة .

وفي قوله :

إذا ما أحبَّ الرَّكْبُ وَجْهاً مَضَوا لهُ فَهَانَ عليهم أنْ تَخُبَّ رِكابُ[1]

وَلَمْ يَثْنِنَا أنَّ الرَّبـــابَ عَقِيْلـــةٌ تَسَانَدُ سَعْدٌ دُونَها ورِبـــابُ

إذا حَسَـــبَ النَّيلَ الزَّهِيـدَ مُنِيلُهُ ، فمَا لِعَطايَاهُ الحِسابِ حِسـابُ

يوافق بين القافية وحشو الشطر الأول ، فتتكون المجانسة بين (الرَّكْبُ و رِكابُ) ، و(الرَّبابَ ورِبابُ) ، و(حَسَبَ و حِسابُ) .وفي هذا البيت :

فَزُرْهُ تَزُرْ أكْنافَ غنَّاءَ طَلَّةٍ ، أَرَبَّتْ بها لِلْمَكْرُماتِ رَبَابُ[2]

يوافق بين القافية ، ومطلع الشطر الثاني من البيت ، أي بين القافية (رباب) ، ومطلع الشطر الثاني (أربَّتْ) .وفي هذه الأبيات :

وأنْ رُكِّزتْ حولَ الخُدورِ أسِنَّةٌ ، وحَفَّتْ بِقُبِّ السَّابِحاتِ قِبـابُ[3]

وَلَيْلَةَ وافَتْنَا تَهَادى ، فَنَمْتَـرِي : أَيَسْمو حَبَابٌ أَوْ يَسِيبُ حُبابُ؟

عَطايا يُصَبُّ الحَاسِدونَ بِحَمدِهِ عليها ، ولمْ يَحْبُوا بِها فَيُحابُـوا

يوافق بين القافية وحشو الشطر الثاني ، أي بين (بِقُبِّ و قِبابُ) ، و (حَبَابٌ و حُبابُ) ، و (يَحْبُوا ويُحابُوا) .وفي هذه الأبيات :

وَمُسْعِفَةٍ بالوَصْلِ إذْ مرْبَعُ الحِمى لها ـ كُلَّما قِظْنا الجَنَابَ ـ جَنَـــابُ [4]

إذا حَسَبَ النَّيلَ الزَّهِيــدَ مُنِيلُــهُ ، فمَا لِعَطايَاهُ الحِســابِ حِســابُ

مَهِيبٌ يَغُضُّ الطَّــرْفَ مِنْهُ لآذِنٍ مَهَابتُـــهُ دُونَ الحِجَابِ حِجَـــابُ

إذَا عَثَرَ الجَانِي عَفَا عَفْوَ حَـافِظٍ بِنُعْمَى لَها في المُـــذْنِبِيْنَ ذِنَـــابُ

---

[1]ـ المصدر نفسه ، ص 368 ـ 374 ، تخب الركاب تسرع ، العقيلة : كريمة الحي ، سعد : تطلق على عدة قبائل منها سعد تميم ، وسعد قيس ، وسعد هذيل ، وسعد بكر . رباب : أحياء ضبة ، حسب : عد ، منيل : باذل النوال ، عطاياه الحساب : عطاياه الكثير الكافية .

[2]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 375 ، الروضة الغناء : الكثيرة العشب ، الأكناف : الجوانب ، طلَّةٍ : مبللة بالندى ، أرب بالمكان : لزمه وأقام به .

[3]ـ المصدر نفسه ، ص 370 ـ 374 ، السابحات القبّ : الخيل الضامرة السريعة العدو ، تهادى : تمايل ، نمتري : نشك ، حَبَاب الماء : نفاخاته التي تعلوه ، حُباب : الحية ، صُبَّ : محق ، يحبوه : يهبه ، حابى : جامل وسامح .

[4]ـ المصدر نفسه ، ص 367 ـ 376 ، قاظ اليوم : اشتد حره ، حسب : عدّ : منيل : باذل النوال وهو العطاء ، آذن : مستمع ، الذِّناب : جمع ذنوب وهو الحظ والنصيب .

يوافق الشاعر بين القافية وما قبلها ، أي بين (الجَنَابَ و جَنَابُ) في البيت الأول ، وبين (الحِسابِ وحِسابُ) في البيت الثاني ، وبين (الحِجَابِ وحِجَابُ) في البيت الثالث ، وكذلك يوافق بين (المُـــذْنِبِيْنَ وذِنَـــابُ) في البيت الرابع .

ثانياً الطباق : يعد الطباق من المحسنات البديعية التي تعتمد على " الجمع بين الشيء وضده أو بين معنيين متضادين "[1] ، وقد اعتمد الشعراء على الطباق في كثير من الأبيات ، وما من شك أن الجمع بين الأشياء المتطابقة أو المتضادة له إيقاع خاص يكسو القصيدة جمالاً ورونقاً ، " ولكن وظيفة الطباق لا تقف عند هذا الزخرف وتلك الزينة الشكلية ، بل تتعداها إلى غايات أسمى ، فلابد أن يكون هناك معنى لطيف ومغزى دقيق وراء جمع الضدين في إطار واحد ، وإلّا كان هذا الجمع عبثاً وضرباً من الهذيان "[2] فقديماً قالوا : (الضد يظهر حسنه الضد) .

وكان ابن زيدون من الشعراء الذين استخدموا الطباق بكثرة " واستخدامه لمثل هذا النوع من أنواع البديع ينم عن حسن تصرفه في الألفاظ وتمكنه من اللغة ، واستفادته من الطاقة اللغوية الكبيرة ، والناظر في ديوان الشاعر يقع على أمثلة كثيرة من الطباق في شعره " .[3]

مَا عَلَى ظَنِّـيَ بَاسُ يَجْرَحُ الدَّهْرُ ويَاسُو[4]

وَلَقَدْ يُنْجِيكَ إغْفَـــا لٌ ويُرْدِيكَ احْتِرَاسُ

وَكَذَا الدَّهْرُ ، إذا مَا عَــزَّ نَاسٌ ذَلَّ نَاسٌ

ففي هذه الأبيات يطابق ابن زيدون بين (يجرح ، وياسو) ، وبين (إغفال ، واحتراس) ، وبين (ذلَّ ، وعزَّ) ، وفي قوله :

يأتي رضاه معادياً ومواليا ويكون فيه معاقبـاً ومثيبـــاً [5]

وقوله :

جَحِيمٌ لِعَاصِيهِ يُشَبُّ وَقُودُهُ وجنَّةُ عَدنٍ للمُطِيعِينَ تـُزْلَفُ[6]

سَجَايَا لمَنْ والاَهُ كالأَرْيِ تُجْتَنَى تَعُودُ لِمَنْ عَادَاهُ كَالشَّرْيِ يُنْقَفُ

---

[1]ـ الصابوني ، محمد ، الموجز في البلاغة العربية والعروض ، بيروت ، ط1 ، 1998 ، ص85 .
[2]ـ أنيس ، د . إبراهيم ، موسيقى الشعر ، ط/ 5 ، 1981 ، ص45 .
[3]ـ حسن ، رائدة زهدي رشيد ، الماء في شعر البحتري وابن زيدون " دراسة موازية " ص152 .
[4]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص 273 - 276 ، ياسو : يداوي .
[5]المصدر نفسه ، 327 .
[6]ـ المصدر نفسه ، ص489 ، 490 ، أزلف : قرّب ، الأريُ : العسل ، الشرى : الحنظل ، ينقف : يشق .

ففي البيت الأول يطابق بين (معادياً ومولياً) ، وبين (معاقباً ومثيباً) ، وفي البيت الثاني يطابق بين (جحيم ، وجنة) ، وبين (عاصيه ، والمطيعين) ، وفي البيت الثالث يطابق بين (الأرى والشرى) وبين (والاه ، وعاداه) ، ومن خلال هذه الأبيات ترى أن طباق ابن زيدون طباق سهل لا تعقيد فيه ولا غموض كما عهدناه عند أبي تمام الذي يتعمده ، وإنما يأتي على لسانه سهلاً يشبه تداعي المعاني فكل كلمة ما بين الأقواس " تقبل على أختها ، كأن الكلمات من أسرة واحدة ، هي أسرة الطباق الصوتي "[1] .

وقد كان البحتري ، مولعاً بالطباق ، مكثراً له في شعره وكان يأتي على لسانه سهلاً لا تكلف فيه ، فها هو يقول :

لي حبيبٌ قد لَجَّ في الهَجْر جِداً وأَعــادَ الصُّـــدودَ مِنْهُ وأَبْـدَا [2]

ذو فُنُونٍ يُريك في كلِّ يـــومٍ خَلَفــاً من جَفَـــائهِ مُسْتَجَـدَّا

يَتأبَّى مَنْعاً ويُنْعِـمُ إسْــعا فاً، ويَدْنُو وَصْلاً ويَبْعُدُ صَـــدَّا

أَغْتَدَي راضِياً وقد بِتُّ غَضبَا نَ ، وأُمْسِي مَوْلىً، وأُصْبِحُ عَبْداً

ولع البحتري في هذه الأبيات بالطباق الخالص فلم يخلط به شيئاً من المحسنات الأخرى ، وإنما ترى طباقا سهلاً ، فعندما يذكرُ (يدنو) يتذكر (يبعد) محققاً بذلك طباقاً سهلاً ليناً ، كما طابق بين (وصلاً ، وصداً) ، وبين (راضياً ، وغضبان) ، وبين (أمسى ، وأصبح) ، وبين (مولى ، وعبداً) وهو طباق " كطباق ابن زيدون ، ولا يختلط بصور أخرى ، وإنما هو طباق حقيقي تدعو فيه كل كلمة أختها ، وتذكر بها "[3] ، ومن هذا الطباق السهل قول البحتري في مدح الفتح بن خاقان :

مِنِّيَ وصْلٌ ومِنْكَ هَجْرُ وفِيَّ ذُلَّ وفيـــك كِبْــرُ[4]

وما سَـواءٌ إذا الْتَقَيْـــنَا سَهْلٌ على خُلَّةٍ وَوَعْــرُ

قد كنتُ حُرًّا وأنتَ عَبْدٌ فَصِرْتُ عَبداً وأنتَ حُرٌّ

أنتَ نَعِيمي وأنتَ بُؤْسِي ، وقد يَسُوءُ الَّذي يَسُــرُّ

---

[1]- حسن ، حسن جاد ، ابن زيدون حياته وأدبه وثقافته ، ص 177 .
[2]، ديوان البحتري ، 2 / 711 .
[3]- حسن ، حسن جاد ، ابن زيدون حياته وأدبه وثقافته ، ص 228 .
[4]- ديوان البحتري ، 2 / 1050 .

حيث تتوالى المتطابقات في هذه الأبيات وتتزاحم بشكل منتظم ، فقد طابق بين (وصل ، وهجر) ، وبين (ذلّ ، وكبر) ، وبين (سهل ، ووعر) ، وبين (حراً ، وعبد) وبين (عبداً ، وحر) ، (نعيمي ، وبؤسي) ، (يسوء ، ويسر) ، فالطباق في هذه الأبيات سهل ومنتظم ، ومتساوٍ ، فالاسم مع الاسم ، والفعل مع الفعل ، حتى إذا أضاف شيئاً في كلمة ، أتبعه في نظيرتها ، عندما يضيف ياء المتكلم في (نعيمي) يضيفها في (بؤسي) حفاظا على هذا النسق المتساوي .

هكذا اتفق ابن زيدون والبحتري إذن في الفن الشعري والصنعة الشعرية ، من سهولة اللفظ ووضوح المعنى وتجنب التعقيد والفلسفة ، ويسر الصنعة والإكثار من الطباق بنوع خاص في سهولة ويسر ولين ، واتفق مع أبي تمام في الإكثار من الجناس ، ولكنه لم يتكلفه أو يتصنعه ، وإنما جاء سهلاً طوعاً حسب الحاجة .

ثالثاً ، التصريع : وهو من أبرز الأشكال الإيقاعية الداخلية ، وهو صورة من صور التكرار الجالب للموسيقى ، وهو " استواء آخر جزء في صدر البيت ، وآخر جزء في عجزه في الوزن والروي والإعراب ، وهو أليق ما يكون بمطالع القصائد ، وفي وسطها ربما تمجه الأذواق والأسماع "[1] ، إذن الأصل فيه أن يأتي في مطلع القصيدة .

ويشكل التصريع ظاهرة بارزة في شعر ابن زيدون لما له من أثر في إغناء عناصر الموسيقى برافد دائم يدفعنا إلى تتبع أبيات القصيدة ؛ لأنه يعتبر مركز جذب لقراءة القصيدة من ناحية ، ومن ناحية أخرى يشير إلى القافية في وقت مبكر قبل انتهاء البيت الأول ، لهذا أهتم ابن زيدون بتصريع مطالع قصائده ، فقد أتت معظم قصائده مصرعة .

وسنذكر بعض مطالع ابن زيدون المصرعة ، مرفقاً معها البيت الثاني حتى يتبين لنا إن كان ثمة اختلاف في وزن عروض البيت الأول والثاني أم لا ، ومن الشواهد على التصريع ، في شعر ابن زيدون ، قوله :

مَرَادُهُمُ حَيْثُ السِّلَاحُ خَمَـــائِلُ ومَوْرِدُهُمْ حَيْثُ الدِّمَاءُ مَنَاهِلُ[2]

ودونَ المُنى فيهم جِيادٌ صَوَافِنٌ ومأثُورةٌ بِيضٌ وسمْرٌ عَوَامِلُ

---

[1]- الحموي ، ابن حجة ، خزانة الأدب وغاية الأرب تحقيق عصام شعيتو ، دار الهلال - بيروت ، الطبعة الثانية 1991 ، 2 / 278 .

[2]- ديوان ابن زيدون ورسائله 387 ، المراد : مكان طلب النجعة . الخمائل : الأشجار الكثيفة المتشابكة . المورد : مكان الورود إلى الماء . مناهل : مشارب . الصوافن : جمع صافن وهو الجواد القائم على ثلاث قوائم ويمس طرف الحافر الرابع الأرض . مأثورة : سيوف في متونها آثار زخرفة .

في البيت الأول العروض (خَمَائِلُ) موافقة للضرب (مَنَاهِلُ) في الوزن والروي والإعراب ، وقد خالفت باقي القصيدة في العروض والضرب .

وقد تتبعنا قصائد ابن زيدون فوجدنا أغلبها مصرعة المطالع ، وهذا دليل على قدرته وبلاغته ؛ لأن " التصريع عند النقاد دليل قدرة الشاعر وسعة فصاحته ، واقتداره في بلاغته "[1].

وكان النقاد يرون ضرورة التصريع ولزومه ؛ لأنه مذهب الشعراء المطبوعين المجيدين ؛ ولأن بنية الشعر إنما هي التسجيع والتقفية فكلما كان الشعر أكثر اشتمالاً عليه كان أدخل في باب الشعر[2] ، وإذا كان ابن زيدون ـ الذي تأثر بشعراء العصر العباسي تأثراً واسعاً ـ قد برع في التصريع ، فهو لا شك أنه قد تأثر بهم في هذا النهج الذي افتنَّ به شعراء العصر العباسي ، وقد تتبعنا قصائد أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي فرأينا هذه الظاهرة واضحة في معظم قصائدهم ، ومن ذلك قول أبي تمام في مدح ملك بن طوق التغلبي :

لوْ أنَّ دَهْراً ردَّ رَجْعَ جَوابِ أوْ كَفَّ من شَأْوَيْهِ طُولُ عِتابِ[3]

فالتصريع هنا بين (جَوابِ) ، و(عِتابِ) ، كما نلاحظ الاتفاق بين العروض والضرب ، في الوزن والروي والإعراب . ومن أمثلة التصريع في شعر البحتري ، كقوله في مطلع قصيدته في مدح أبي نوح عيسى بن إبراهيم :

باتَ نَدِيماً لِيَ حتَّى الصَّباحْ أغْيدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الوِشَاحْ [4]

فالتصريع هنا بين (الصَّباحْ) و(الوِشَاحْ) ، من أمثلة التصريع في شعر المتنبي ، قوله في مدح سيف الدولة :

لَيَاليَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ طِوَالٌ ولَيْلُ العاشِقِينَ طَوِيلٌ .[5]

فصرع المتنبي بين (شكول) ، و(طويل) وقد اتفق العروض والضرب ، في الوزن والروي والإعراب .

---

[1]- ابن معصوم ، أنوار الربيع ، 5 / 375 .
[2]- ينظر : قدامة ، نقد الشعر تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ص 60 .
[3]- ديوان أبي تمام ، 1 / 50 .
[4]- ديوان البحتري ، 2 / 435 .
[5]- ديوان المتنبي بشرح العكبري ، 95/3 ، شكول : جمع شكل ، وشكل الشيء : مثله . الظاعنين : جمع ظاعن وهو المرتحل .

رابعاً ، الترصيع : عدّ قدامة بن جعفر الترصيع من نعوت الوزن وقال فيه : " وهو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف "[1]، بمعنى أنه عبارة عن تقسيمات تحدث في الشعر لوناً من التوازي الصوتي ، فهو " عنصر بديعي ، وعامل إيقاعي يعمل على تحلية القصيدة ، فيضفي عليها شيئاً من الرونق ، ويمنحها نوعاً من الومضات النغمية التي تجعل العملية الإيقاعية تتجدد "[2] ، وقد حرص ابن زيدون بالعناية بالترصيع في شعره ليمنحه إيقاعاً موسيقياً جميلاً ، ومن أمثلته في شعره ، قوله :

يَـــا مُرْضِيـــاً ، كُـــلَّ مِخْـــذَمْ وَمُـــــرْوِيـــــاً ، كُـــلَّ لُهْـذَمْ[3]

فابن زيدون يقسم البيت إلى أربعة أجزاء ، حيث نرى قسمين في الشطر الأول ، وقسمين في الشطر الثاني ، على هذا النحو :

الشطر الأول (صدر البيت) الشطر الثاني (عجز البيت)

ـــــــــــ أ ـــــــــــ ب ـــــــــــ أ ـــــــــــ ب

حيث أنَّ (أ) في الشطر الأول تشكل ترصيعاً مع (أ) في الشطر الثاني ، وتشكل (ب) في الشطر الأول ترصيعاً مع (ب) في الشطر الثاني

(يَـــا مُرْضِيـــاً) ، ـــــــــــــــــــ (وَمُـــــرْوِيـــــاً)

(كُـــلَّ مِخْـــذَمْ) ـــــــــــــــــــ ، (كُـــلَّ لُهْـذَمْ)[4]

يقوم هذا الترصيع على التجانس الصوتي ، ويشكل قافيةً داخلية ، تختلف عن القافية الخارجية ، حيث أن القافية الخارجية تشكل بناءً عمودياً ، أما القافية الداخلية (الترصيع) تشكل بناءً أفقياً ، وإذا كانت القافية الخارجية " تحدث تنسيقاً صوتياً موسيقياً خارج البيت ، فإن الترصيع يحدث توازياً صوتياً داخله "[5] ، وقوله :

فَلَقَّـــى مُـــنَاوِئَهُ ، مـــا اتَّـــقَـــى وَأَعْطَـــــى مُـــؤَمِّـله ، مـــا سَـــــأل[6]

---

[1]- نقد الشعر ، ص 40 .

[2]- تبرماسين ، عبد الرحمن ، البنية الإيقاعية للقصيدة الجزائرية ، دار الفجر للتوزيع والنشر ، ط2 ، 2003 ، ص 241 .

[3]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص623 ، المخذم : السيف القاطع . لهذم : السنان الحادّ النفذ .

[4]- المصدر نفسه ، 623 .

[5]- السيد ، أحمد كامل ، البنيات الأسلوبية في شعر ابن هانئ الأندلسي ، رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس - الإسكندرية 2003 ، ص 98 .

[6]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، 423 ، لقّاه الشيء : ألقاه إليه . المناوئ : المعادي المحارب . اتقى : خاف واحترس .

نلاحظ ترصيعاً رباعياً ، فالتفعيلة الأولى تقابل التفعيلة الثالثة ، والتفعيلة الثانية تقابل التفعيلة الرابعة .

(فَلَقَّـى مُـنَاوِئَهُ) ، ـــــــــــــــــ (وَأَعْطَـــى مُـؤَمِّـله)

(مـــا اتَّقَـــى) ، ـــــــــــــــــ (مـــا سَـــــــــأل)

ومن مواضع الترصيع في شعر ابن زيدون ، قوله :

الصَّبْرُ شُهْدٌ ، ـ عِنْد مَا جَرَّعْتِنِي ـ والنَّارُ بَرْدٌ ، عِنْدَ مَا أصْلَيْتِنِي [1]

حيث قسَّمَ ابن زيدون البيت إلى أربع وحدات الأولى والثانية في الشطر الأول ، تقابل الثالثة والرابعة في الشطر الثاني ، على هذا النحو :

(الصَّبْرُ شُهْـــدٌ) (1)، ـــــــــــــــــ والنَّارُ بَـــــــرْدٌ (3)

عِنْد مَا جَرَّعْتِنِي (2) ـــــــــــــــــ ، عِنْدَ مَا أصْلَيْتِنِي (4)

هذه بعض نماذج الترصيع في شعر ابن زيدون ، التي اتخذها الشاعر أسلوباً في ديوانه ، وهو كما يبدو متأثرٌ في هذا النهج بشعراء العصر العباسي فها هو أبو تمام يكثر من الترصيع في شعره ومن ذلك قوله في المعتصم :

تدبيرُ مُعْتصِمٍ ، بالله مُنْتقمٍ للهِ مُرْتقِبٍ ، في الله مُرتغِبِ[2]

نلاحظ هنا أن أبا تمام يقسم البيت إلى أربع وحدات متساوية في الوزن ، ويشتمل كذلك على قوافٍ داخلية (الميم في الصدر) ، (والباء في العجز) فيأتي التوازي في هذا البيت على شكل لوحة تشكيلية هي (تصمٍ ، تقمٍ) ، وكذلك (تقِبٍ ـ تَغِبٍ) ، ثم تتجاوب بقية التكرارات في البيت لتشيع فيه الموسيقى ؛ كتكراره للفظ الجلالة (بالله ، لله ، في الله مصاحبة لحروف الجر : الباء ، واللام ، وفي) .

وقد منحت تكرار صيغة اسم الفاعل البيت موسيقا صاخبة تتناسب مع قوة اسم الفاعل إذ تتفاعل فيما بينها وتبعث إيقاعاً داخلياً منشؤه الفكرة وحركة النفس المنتشية . ويزخر ديوان أبي

[1]ـ المصدر نفسه ، ص 181 .
[2]ـ ديوان أبي تمام ، 1 / 41 .

تمام بالترصيع ؛ لأن أبا تمام يركز على المحسنات التي تعطي لأشعاره صفة جمالية .[1] وكذلك كثر الترصيع في شعر البحتري ، فمن ذلك قوله :

مِثْلِ الكَثِيبِ ، تَعَالى في تَرَاكُمِهِ ، مِثْلِ القَضِيبِ ، تَثَنَّى في تَأَوُّدِهِ [2]

نلاحظ أنَّ البحتري يقسم البيت إلى أربع وحدات ، اثنتان في الصدر ، تقابلهما اثنتان في العجز ، تتمثل هذا الشكل :

صدر البيت عجز البيت

ـــــــــ أ ـــــــــــــــــ ب ـــــــــ أ ـــــــــــــــــ ب

فـ (أ) في الصدر (مِثْلِ الكَثِيبِ) تـــــــــــــوازي ، (أ) في العجز (مِثْلِ القَضِيبِ) وتشكل معها نوعاً من السجع .

و (ب) في الصدر (تَعَالى في تَرَاكُمِهِ) تـــــــــوازي ، (ب) في العجز (تَثَنَّى في تَأَوُّدِهِ) وتشكل معها نوعاً من السجع أيضاً . كما كان المتنبي يرصع في شعره ، كقوله في سيف الدولة :

الشمسُ مِنْ حسَّادِهِ ، والنَّصرُ مِنْ قُرَنائِهِ ، والسَّيفُ مِنْ أسْمائِهِ[3]

فالمتنبي يقسم البيت إلى ثلاث وحدات متساوية ، الأولى في الشطر ، والثانية بين الشطر والعجز ، والثالثة في العجز ، تشكل ثلاث قوافي داخلية ، وهي (حسَّادِهِ) ، و(قُرَنائِهِ) ، (أسْمائه) ، ونلاحظ أنَّ هذه الكلمات الثلاث تتفق في الوزن ، والأعراب ، والقافية ، وهي تمثل هذا الشكل :

ـــــــــ أ ، ـــــــ ـــــ ب ، ـــــــــ ج

وقد منح تكرار حرف الجر و المبتدأ المتكرر البيت موسيقى صاخبة ، وإيقاعاً داخلياً تتناسب مع كل سجعة في البيت ، وأتى الشاعر ببيت بعد هذا البيت ، قسم عجزه إلى ثلاث كلمات تقابل السجعات التي في البيت الأول المتمثلة في خصال الممدوح ، وهو قوله :

أيْنَ الثَّلاثَةُ مِنْ ثلاثِ خِلالِهِ : مِنْ حسْنِهِ ، وإبائِهِ ، ومضائِهِ ؟[4]

---

[1]- ينظر - البداينة ، خالد فرحان ، التكرار في شعر العصر العباسي الأول ، رسالة دكتوراه ، جامعة مؤتة - الأردن ، 2006 ، ص 55 .
[2]- ديوان البحتري ، 1 / 499 .
[3]- ديوان المتنبي ، 1 / 3 .
[4]- ديوان المتنبي ، 1 / 3 ، الخلال : جمع خلة ، وهي الخصلة . إبائه : هو أن يأبى الذل فلا يرضاه .

فتكون على هذا النحو:

الشمسُ مِنْ حسَّادِهِ ، لأنها : تحسده في الحسن ،

والنَّصرُ مِن قُرَنائِهِ ، لأنه : قرينه في الإباء،

والسَّيفُ مِنْ أسْمائه ؛ لأن اسمه سيف الدولة ويشبهه في المضاءِ.

أيْنَ الثَّلاثَةُ مِنْ ثلاثِ خِلالِهِ : مِنْ حسْنِهِ ، وإبائِهِ ، ومضائِهِ ؟

ويقول المتنبي ، في مدح سيف الدولة :

فَتُعْطِي مَنْ بَقى مالاً جَسِيماً وتُعطِي مَنْ مَضَى شَرَفاً عَظِيماً[1]

ففي هذا البيت نلاحظ أن الترصيع ثنائي ؛ أي أنه جاء بين شطري البيت (الصدر والعجز) ، إذا نظرنا لحشو البيت ، وجعلناه فواصل ، نجده يحتوي على ترصيع رباعي ، حيث كل كلمة في الصدر تقابلها أختها في العجز ؛ لتحدث معها تنويعاً موسيقياً مؤثراً تطرب له الأسماع ، وتجذب انتباه القارئ أو المتلقي عن طريق إعادة الإيقاع الداخلي للشطرين ، فيقابل كل كلمة في الشطر الأول بكلمة من الشطر الثاني ، كما هو واضح في هذا الشكل :

فَتُعْطِـــــــــي مَـــنْ بقـــــى مالاً جَسِيـــــــــماً

وتُعطِـــــــــي مَـــنْ مَضَـــى شَرَفاً عَظِيـــــــــماً

فهذا النسق التقابلي الذي استخدمه المتنبي ـ واستخدمه كل من أبي تمام ، والبحتري ـ نجده كثيراً في شعر ابن زيدون ، هكذا كان ابن زيدون متفقاً مع الشعراء العباسيين الثلاثة ، في هذه الأساليب ، ومن أمثلة هذا النسق المنتظم التقابلي في شعر ابن زيدون قوله :

يَـــــا مُرْضِيـــــــاً كُـــــــلَّ مِخْـــذمْ

وَمُـــــرْوِيـــــــــاً كُـــــــلَّ لُهْـــذَمْ[2]

فمرضياً في الصدر تقابل مروياً في العجز ، وكلَّ تقابل كلَّ ، ومِخذم تقابل لهذم ، وقوله :

[1] ديوان المتنبي 4 / 5 ، الجسيم : العظيم الكبير .
[2]ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ، 623 .

يَـــا بَهِيـــجَ ، الخُلُــقِ العَـــذبِ ، ابْتَـــــــــــــسِمْ

يَـــا مُهِيـــجَ ، الآنِــفِ الصَّـــعْبِ ، اعْبِـــــــــــسِ[1]

فقوله : يا بهيج في الشطر الأول تتفق مع يا مهيج ، والعذب تتفق مع الصعب ، وتشكل قوافٍ داخلية .

ومن الأمثلة السابقة نستنتج أن الترصيع كعنصر من عناصر الموسيقى يثري موسيقى الشعر ، ويعطيها جرساً إيقاعياً تطرب له الأسماع وتحرك مشاعر المتلقي وقد استخدمه ابن زيدون في شعره بكثرة ، وهذا يدل على تمكنه من الشعر ، وقدرته على التنويع الموسيقي الذي يطرب المتلقي . ومن ناحية أخرى يدل على عمق تأثره بشعراء العصر العباسي الذين أبدعوا في هذا الفن أيما إبداع ، متفننين فيه غاية التفنن ، وقد رأينا كيف برع فيه كل من أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي وأكثروا منه في دواوينهم ، وما ذكرنا لبعض أبياتهم المرصعة إلاَّ تمثيلاً .

خامساً ، حسن التقسيم : وهو " عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه "[2] ، وحسن التقسيم : يقوم على تقسيم الكلمات على أساس الوزن بحيث تمثل هذه الكلمات وحدات موسيقية لها أثرها على أذن المتلقي ، وتحقق للبيت جرساً موسيقياً ، وبخاصة إذا اتفقت هذه الكلمات (الوحدات الموسيقية) في نهايتها [3].ومن الأمثلة ، على حسن التقسيم في شعر ابن زيدون قوله في المظفر :

ذَلُولُ الدَّمَاثةِ صَعْبُ الإبَاءِ ثَقِيْفُ العَزِيمِ إذا ما اعْتَزَمْ[4]

ومن حسن التقسيم قوله فيه أيضاً :

غَمَامٌ يُطِـلُّ ، وشَمْسٌ تُنِيْـــرُ ، وبَحْرٌ يَفِيضُ ، وسَيْفٌ يُسَلْ[5]

قَسِيمُ المُحيَّا ، ضَحُوكُ السَّماحِ ، لَطِيفُ الحِوارِ ، أديبُ الجَدَلْ

فالشاعر في هذه الأبيات جمع معظم صفات المظفر الخُلُقية والخَلْقية في إطار موسيقي رائع ، حيث عمد الشاعر في البيت الأول إلى تعداد صفات الممدوح الخُلُقية محدثاً موازنةً

---

[1]- المصدر نفسه ، 212 .
[2]- خزانة الأدب وغاية الأرب ، 2 / 270 .
[3]- ينظر : دعدور ، أشرف علي ، الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي الأندلسي ، مكتبة نهضة الشرق ،القاهرة(د . ت) ، ص 248 .
[4]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص410 ، ذلول : سهل لين . الدماثة سماحة الخلق . الثقيف : الحاذق الفطن اللبيب . العزيمة : الإرادة والتصميم .
[5]- المصدر نفسه ، ص 423 ، قسيم المحيا : جميل الوجه .الحوار : الجواب والمراجعة .

صوتية متناسقة تتمثل في تقسيم البيت إلى أربع جمل متساوية ، في الوزن والإعراب ، متكئاً في كل جملة على مبتدأ مفرد مرفوع ، وجملة فعلية ، فعلها مضارع فاعله ضمير مستتر ، معتمداً على تكرار حرف العطف (الواو) فهذا التقسيم المتنوع والتوازن بين الأسماء والأفعال ، أسهم في إحداث جرسٍ موسيقي أضفى على شعره إيقاعاً متنوعاً ، اتسم بالحلاوة والرشاقة ؛ وليجذب المتلقي ، ويقنعه بما جاء في شعره من معانٍ وأفكار .

أما في البيت الثاني فعدد فيه صفات الممدوح الخَلْقية ، معتمداً على جمل متناسقة مقسمة متكئاً على الفواصل دون العطف بـ (الواو)، كأنه متلهفٌ على إضفاء هذه الصفات على الممدوح ، يريد أن ينطق بها جميعاً في آن واحد ، وقد أبدع ابن زيدون في وصف ممدوحه ، وأبدع في العناية بإيقاعه . ومن حسن التقسيم في شعر ابن زيدون ، قوله :

أمَّا (الثُّريَّا) فالثريَّا نِسْبةً وإفادةً وإنافةً وجَمَالاً [1]

تتضح عناية ابن زيدون بالتقسيم الداخلي والإيقاع الموسيقي بين الكلمات ، فقد أتى بلفظة (الثُّريا) فألحقها بنفسها فجاءت مكررة في اللفظ والمعنى ، فالشاعر حينما يعمد إلى التقسيم ، ينوع في عناصر موسيقاه ففي هذا الشطر نجد التكرار ، أو الجناس التام بين (الثُّريا) ، و (الثُّريا) ثم يقسم باقي البيت إلى أربع كلمات ، ثلاث كلمات متفقة وهي (نصبةً ، وإفادةً ، وإنافةً) ، ثم الرابعة المخالفة ، وهي (جمالاً) ، فهذه الكلمات المرتبة تعطي البيت إيقاعاً صوتياً رائعاً ، بالإضافة إلى تكرار حرف العطف (الواو) الذي يوحي بتعدد صفات الممدوح وكثرتها ، كما يعمل هذا التكرار على ترديد إيقاعٍ معينٍ داخل البيت ، فبالتالي يسهم في زيادة موسيقاه الداخلية . ومن حسن التقسيم ، في شعر ابن زيدون ـ الذي مزجه بالطباق ـ قوله :

بالقَدْرِ يَبْعُدُ ، والتَّواضُعِ يَدَّنِي والبِشْرِ يُشْمِسُ ، والنَّدَى يتغيَّمُ [2]

تظهر عناية الشاعر بالإيقاع الداخلي المتمثل في هذه الجمل المتساوية ، وتكرار حرف العطف (الواو) الذي ينتج عن ترديد إيقاع معين يتكرر بانتظام ، كما نلاحظ هذا النسق المنتظم بين الأسماء والأفعال ، التي يمكننا أن نصنفها على هذا النحو :

الأسماء : القدر، التواضع ، البشر ، الندى ـ **الأفعال** : يَبْعُدُ ، يدنِي ، يُشْمِسُ ، يتغيَّمُ .

بالإضافة إلى هذا الطباق الرائع بين هذه الأفعال (يبعد ، يدَّني) ، و (يشمس ، يتغيم)

---

[1]ـ المصدر نفسه ، ص 520 الإنافة : الإشراف ، يقال : أناف على الشيء : أشرف عليه .
[2]ـ المصدر السابق ، ص 315 .

ومن حسن التقسيم ، في شعره ـ والذي مزجه بالجناس ـ قوله :

مُحَيَّاكَ بَدْرٌ ، والبُدُورُ أهِلَّة ، ويُمْنَاكَ بَحْرٌ ، والبُحُورُ ثِغَابُ [1]

نلاحظ هذا التناسق في الجمل والعبارات ، والتكرار المتمثل في حرف العطف (الواو) ، وكذلك الجناس بين (بدرٌ ، و البدورُ) ، وبين (بحرٌ ، والبحورُ) ، ونلاحظ أيضاً الأفراد والجمع ، بدر ـــــــ بدور ، بحر ـــــــــــ بحور . كما نلاحظ التناغم بين أول كلمة في الشطر الأول (مُحيَّاك) ، وبين أول كلمة في الشطر الثاني (يمناك) ؛ لتشكلا ترصيعاً في بداية كل شطر . وقد تتبعنا جل قصائده ، فلا نكاد نرى قصيدةً له تخلو من البديع ، والذي فيما يبدو إنه تأثر فيه بشعراء البديع في العصر العباسي ، ولعل من أكثر عناصر الموسيقى الداخلية في شعر ابن زيدون حسن التقسيم ، وهذا النهج ـ فيما يبدو ـ تأثر فيه بأبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، حيث ولعوا به في أشعارهم ، فمن أمثلته في شعر أبي تمام ، قوله :

مَطَرُ يَذُوبُ الصَّحوُ منهُ وبَعْدَهُ صحْوٌ يَكادُ من الغَضارةِ يُمْطِرُ[2]

غَيثانِ فالأنواءُ غَيثٌ ظاهِرٌ لَكَ وَجْهُهُ ، والصَّحْوُ غَيثٌ مُضْمَرُ

حيث إن التقسيم في بيت أبي تمام الثاني ، المتمثل في قوله في آخر الشطر الأول (غَيثٌ ظاهِرٌ) ، و آخر الشطر الثاني (غَيثٌ مُضْمَرُ) ، وثمة ملحوظة هامة أشار إليها .خالد فرحان البداينة ، وهي : " أن التقسيم لم يقصد لذاته بل يكشف عن شكل خاص من الإيقاع ، وكذلك بنية التوازي التي تشكلت من هذا التقسيم "[3] . {غيثان } : (فالأنواء غيث ظاهر)، (والصحو غيث مضمر). جعل أبو تمام " من تكرار الغيث إبداعاً في الموسيقا والدلالة ، وهذه الثنائيات هي محرك الإيقاع والإبداع "[4] بالإضافة إلى جمال البديع المتمثل في الجناس بين (مطر، ويمطر) ، و (الصحو، و صحو) ، و (غيث) ، و غيث) ، وكذلك الطباق بين (ظاهر ، ومضمر).
و من حسن التقسيم في شعره ، فمن ذلك ، قوله في مدح المتوكل :

فالخَيْلُ تَصْهَلُ ، والفَوَارِسُ تُدّعِي ؛ والبِيضُ تَلْمَعُ ، والأسِنَّةُ تَزْهَرُ[5]

حيث إن البحتري قسم البيت إلى أربع فقرات متساوية ، وقد جمع في كل فقرة بين مبتدأ مفرد مرفوع ، وخبر جملة فعلية فعلها مضارع ، فاعلها أو نائبه ضمير مستتر يعود على المبتدأ

---

[1]ـ المصدر نفسه ، ص 377 ، الثغاب : جمع ثغب وهو الغدير في ظل جبل لا تناله شمس ؛ فيبرد ماؤه ، فليس شيء أصفى منه أو أبرد.
[2]ـ ديوان أبي تمام ، 1 / 332 ، الصحو : غب المطر .
[3]ـ التكرار في شعر العصر العباسي الأول ، ص 66 .
[4]ـ المرجع نفسه ،ص67 .
[5]ـ ديوان البحتري ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، 2 / 1072 ، تدَّعي : تعتز بأنسابها . البيض : السيوف . تزهر : تلمع .

. معتمداً على تكرار حرف العطف (الواو) في كل فقرة ؛ ليسهم في ترديد إيقاعٍ ثابتٍ منتظمٍ . ومن أمثلة حسن التقسيم في شعر المتنبي قوله :

مُبارَكُ الاسْمِ ، أغرُّ اللَّقَبْ كَرِيْمُ الجِرِشَّى ، شَرِيفُ النَّسبْ[1]

حيث يقسم المتنبي البيت إلى أربعة أجزاء متساوية ، جاعلاً كل اثنين في شطر ، ويتكون كل جزء من أسمين نكرة ومعرفة ، أي مضاف ومضاف إليه ، وقد أعطى هذا التركيب الإضافي ـ بالإضافة إلى التصريع بين (اللقب ، والنسب) ـ البيت إيقاعاً رائعاً يتكرر في كل فقرة .ومن التقسيم في شعر المتنبي قوله :

إنْ تلْقَهُ لا تلْقَ إلاَّ قَسْطَلاً أوْ جَحْفلاً أوْ طاعِناً أو ضَارِبا[2]

أوْ هَارِباً أو طَالِباً أوْ رَاغِباً أوْ رَاهِبا أو هالِكا أو نادِبا

فالكلمة المركزية بدأ بها البيتين (إنْ تلقه) ، وقد جانس بينها وبين (لا تلقَ) المنفية ، ليستثني ما يلقاه بعد أداة الاستثناء (إلاَّ) عدة كلمات مفردة متوالية ، فاصلاً بينها بحرف العطف (أو) معدداً أحوال الناس من الممدوح فلا تلقى إلاّ هارباً من جيشه ، أو طالباً رفده ، أو راغباً في مسألته ، أو راهباً خائفاً من بأسه ، أو هالكاً مقتولاً بسيفه ، أو نادباً على قتيل له من الأسارى الذين قد أسرهم ، وقد أعطى تكرار حرف العطف إيقاعاً منتظماً ، إلاَّ أنه يشعرنا بالملل لإطالته حيث أن الصفات المفردة المتكررة عشر صفات .

ولعل من الطريف الذي لاحظناه في الشعر العباسي ، خاصة عند شعرائنا الثلاثة ، هي ذكر الشيء معدوداً ثم يفصل ويقسم في البيت ، كقول أبي تمام :

غَيثانِ فالأنواءُ غَيثٌ ظاهِرٌ لَكَ وَجْهُهُ ، والصَّحْوُ غَيثٌ مُضْمَرُ[3]

فعندما ، قال : (غيثان) فصَّل ذلك بقوله : (غيث ظاهر) ، و(غيث مضمر) ، وقوله أيضاً :

لولا مناشدةُ القُربى لغادَرَكم حصائدَ المرهفَينِ : السيفِ والقلمِ [4]

فعندما يذكر أبو تمام (المرهفين) معدوداً بالتثنية ، يفصل ذلك فيقول (السيف ، والقلم) . ومن أمثلته في شعر البحتري قوله :

---

[1]ـ ديوان المتنبي ، 1 / 99 ، الجِرْشي : النفس . واللقب : ما ينبز به الرجل .
[2]ـ المصدر نفسه ، ص 126 ، 127 ، القسطل : الغبار ، الجحفل : الجيش العظيم . .
[3]ـ ديوان أبي تمام ، 1 / 332 .
[4]ـ ديوان أبي تمام ، 2 / 94 .

في حُلّتَيْ : حِبَرٍ ورَوْضٍ ، فالتَقَى وشْيَانِ وشْيُ رُبيّ ووشيُ بُرُود[1]

وسَفَرْنَ ، فامتلأت عُيُونٌ راقَها وَرْدانِ : وَرْدُ جَنىً وورْدُ خُدُود

فعندما يقول وشيان : يقسمهما إلى : (وشْيُ رُبيّ) و(وشيُ بُرود) ، وعندما يقول : وردان ، يقسمهما إلى : (وَرْدُ جنىً) و(ورْدُ خدُود) .وقوله أيضاً :

مُثْلِفٌ ، مُخْلِفٌ ، يُخافُ ويُرْجَى لِكِلا حالَتَيْنِ : نَفْعٍ ، وضَرّ [2]

فلما قال : (حالتين) ، قسمها إلى (نفعٍ) ، و (وضرّ) .ومثاله في شعر المتنبي :

الشمسُ مِنْ حسَّادهِ ، والنَّصرُ مِنْ قُرَنائهِ ، والسَّيفُ مِنْ أسْمائه[3]

أيْنَ الثَّلاثَةُ مِنْ ثلاثِ خِـــــلالِهِ : مِنْ حسْنِهِ ، وإبائِهِ ، ومضائِهِ ؟

فحينما يذكر الخصال الثلاث ، يعددها على هذا النحو : 1 - (حسْنِهِ) 2 - (وإبائِهِ) 3 - (ومضائِهِ) .وقوله أيضاً :

وُقُوفَيْنِ في وقْفيْنِ : شُكْرٍ ونائلٍ فنائِلُهُ وَقْفٌ ، وشُكرُهُمُ وَقْفُ[4]

فالوقفان : هما (الشكر) ، و (النائل) .وقوله كذلك :

ألقائلُ الصَّدقَ فيه ما يَضُرُّ بِهِ والوَاحِدُ الحالَتين : السَّرّ والعَلَنِ[5]

فلما قال الحالتين : فصَّلهما إلى (السر ، والعلن) ، وإذا انتقلنا إلى شعر ابن زيدون وجدنا أمثلة كثيرة من هذا النوع ، فمن ذلك قوله :

يمانِيّةٌ تدنو ، ويَنْأَى مَزَارُها فَسَيَّانِ منها في الهوى : القربُ والبعدُ [6]

فالسيَّان هما (القرب) و(البعد) .ومنها ، قوله :

أَبٌ ذو اعْتِزامٍ ، أو أَخٌ ذو تَسَرُّعٍ فَشَيْحانُ : (ماضي الهَمّ) ، أو (فَاتِكٌ جَلْدُ)[7].

---

[1]- ديوان البحتري ، المجلد الثاني ، ص697 ، 698 ، بذي الأراك : وادٍ قرب مكة . .

[2]- ديوان البحتري ، 1080 .

[3]- ديوان المتنبي ، 1 / 3 .

[4]- ديوان المتنبي 2 / 286 .

[5]- ديوان المتنبي ، 4 / 216 ، السر : ما يسره الإنسان . العلن : ضده . أضر به : حمله على الضر .

[6]- ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص351 .

[7]- المصدر نفسه ، ص 353 ، شيحان : غيور أو طويل . ماضي الهم : صارم العزم . فاتك : مقدام جسور جلد : صلب متين .

ومنها ، قوله :

حِمىً لا يَزَالُ لِمَنْ حَلَّهُ أمَانَانِ : مِنْ (عَدمٍ) ، أو (وَجَلْ)[1]

ومن ذلك ، قوله :

إذا اسْتُحْفِظَتْ سِرَّ السُّرى جُنْحَ لَيْلِها تَنَاثى النَّمُومانِ : (الأُلوَّةُ) ، و(النَّدْ)[2]

هذه أهم عناصر الموسيقى الداخلية في شعر ابن زيدون ، التي تأثر فيها بشعراء العصر العباسي ، ولم تكن وحدها فقد كان شعره يحوي بعض العناصر الأخرى كالتكرار، ورد الصدور على الأعجاز ، والتدوير ، وغيرها .

[1]- المصدر نفسه ، ص 425 ، العَدَم والعُدم : الفقر .الوجل : الخوف .

[2]، المصدر السابق ، ص 354 . تناثى : تحدث أي أشاع الحديث ، الألوَّة : عود يتبخر به ، النِّد : ضرب من الطيب .

الخـاتــمـــــة

تناولتْ هذه الدراسة أثر شعراء العصر العباسي (أبي تمام والبحتري والمتنبي) في شعر ابن زيدون ، وأوضحت كيفية وصول الأدب المشرقي إلى الأندلسي ، وذلك عن طريق مجموعة من النقاط ، أهمها :

1 ـ الفتوحات الإسلامية ، التي تعد بدايات اتصال الأندلسيين بالمشرق ، حيث دخل مع الفاتحين نفر من العلماء والفقهاء والأدباء ، بل كان منهم من شارك في تلك الفتوحات كالشاعر أبي الخطار ، حسام بن ضرار ، وكان فارساً شجاعاً لُقِّبَ بعنترة الأندلس .

2 ـ الرحلات ، من وإلى الأندلس ، حيث وفد على الأندلس نفر من الشخصيات الأدبية واللغوية والدينية ، وبعض المثقفين الذين كان لهم دور في نقل الثقافة المشرقية إلى الأندلس ، كالمغني زرياب ، وأبي علي القالي ، وغيرهما من الشخصيات . وفي المقابل رحل نفر من الأندلسيين إلى المشرق حجاجاً وطلاب علمٍ ، فالتقوا بعلماء المشارقة ، وأدبائهم ، وشعرائهم ؛ ليأخذوا عنهم علومهم وأشعارهم . كعثمان بن المثنى الذي رحل إلى الأندلس ، فلقي أبا تمام فقرأ عليه شعره وأدخله إلى الأندلس .

ومما أسهم في نقل الثقافة المشرقية إلى الأندلس إقبال الأندلسيين على تلك الثقافة المستوردة من المشرق ، وقد أتاح الأمويون وخاصة في عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر فرصاً عظيمة ليقبلوا على الدراسات العلمية ، فأحدث كل هذا نهضة علمية وفكرية في الأندلس فبرز في ذلك الإقليم الكثير من الشعراء والأدباء والعلماء ، ومن بين هؤلاء الشعراء ابن زيدون ، الذي تبن من خلال البحث أنه تأثر تأثراً واسعاً بأبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، وليس غريباً من شاعرٍ كابن زيدون ، أن يكون قد اطلع على دواوين هؤلاء الشعراء الثلاثة ، وارتوى من ثقافتهم الأصيلة ، ولا سيما أنه شاعر ينتمي إلى قبيلة مخزوم القرشية .

وكل هذا قد تناوله البحث في التمهيد ، ثم انطلق البحث لدراسة الفصل الأول وهو " أثر شعراء العصر العباسي (أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي) في شعر ابن زيدون من حيث المضمون " ، وقد جاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث كلها في صميم التأثيرات التي نحن بصددها ، فالمبحث الأول يتمثل في دراسة أثر معاني أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي في شعر ابن زيدون ، وقد اتضح للباحث أن هناك تأثيرات كثيرة لمعاني هؤلاء الشعراء على ابن زيدون ، وقد جاءت هذه المعاني بنسب متفاوتة ، فكان البحتري الأكثر تأثيراً في معاني ابن زيدون ، ثم

المتنبي ، ثم أبو تمام ، وقد جاءت هذه المعاني في شكل إشارات جزئية إلى أبيات مشهورة عند هؤلاء الشعراء .

وتناول المبحث الثاني معارضة ابن زيدون لقصائد أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، فتبين من خلال البحث أن لابن زيدون معارضات كثيرة لقصائد أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، وقد تفاوتت المعارضات بين التامة والناقصة ، وذلك حسب الاتفاق في العناصر الأساسية للمعارضة ، المتمثلة في (الغرض ، والوزن ، والقافية ، وحركة الروي) ، كما تبين من خلال المعارضات أن الشاعر تأثر بهؤلاء الشعراء الثلاثة ، في كثير من الأساليب البلاغية ، والنحوية ، والصرفية ، وتأثر بهم في فكرة مدح القصائد ، ولا سيما عند أبي تمام الذي اشتهر بمدحه لقصائده والثناء عليها في ختام القصيدة ، كما برزت لدى الشاعر الأنا في شعره ، والاعتداد بالنفس ، والإشادة بها ، وهو نهج اشتهر به المتنبي ، وبخاصة في مدائحه لكافور الإخشيدي ، التي تسودها المجاملة في بعض الأحيان ، فيجعل المديح لذاته ، لا للممدوح ، ومن خلال تتبعنا لأغراض القصائد التي عارضها ابن زيدون ، اتضح أن أغلب القصائد كانت في غرض المديح ، ولعل الغرض من ذلك ، أن ابن زيدون يريد أن يظهر بمظهر المتمكن أمام ممدوحه ، واتضح أن أشهر تلك القصائد كانت موضع اهتمامه في معارضاته الشعرية ، وقد جاءت هذه المعارضات بنسب متقاربة بين أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، واتفق ابن زيدون مع البحتري في الحنين إلى المحبوبة ، واتفق مع أبي تمام والمتنبي في مدح القصيدة .

وقد تناول المبحث الثالث " تضمينات ابن زيدون لأبيات أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي " ، وهي تضمينات جزئية لأبياتهم الشعرية ، فلم يضمن قصائده بيتاً تاماً من أبياتهم سوى بيتين للمتنبي ، ولا شك في أن المعارضة والتضمين أكبر دليل على قوة التأثر والمتابعة لأشعارهم ، والإعجاب بها ، وقد ورد التضمين بنسبٍ متفاوتة ، فكان المضمن من شعر البحتري ، والمتنبي أكثر حظاً في شعر ابن زيدون ، من أبي تمام .

أما في الفصل الثاني فخصص لدراسة" أثر شعراء العصر العباسي (أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي) في شعر ابن زيدون من حيث الشكل " ، حيث درست فيه تلك الخصائص الفنية المشتركة بين ابن زيدون والشعراء العباسيين في ضوء كلام النقاد والدارسين ، وتبين أن شعر ابن زيدون شارك شعر أبي تمام والبحتري والمتنبي في أبرز الخصائص التي اتسم بها الشعر ، كبناء القصيدة ، والمحسنات الشعرية ، وقد تناول هذا الفصل ثلاثة مباحث ، فالمبحث الأول خصص لدراسة أثر شعراء العصر العباسي في شعر ابن زيدون بناء القصيدة فلاحظ الباحث اتفاق ابن زيدون مع أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبي ، في بناء القصيدة المركبة من حيث

العناية بالمطلع ، وحسن التخلص ، والخاتمة ، فالمطلع يعنى فيه باختيار الألفاظ وجمال الصياغة ، وغالباً ما يشتمل على المجانسة والمطابقة أو الترصيع أو التصريع وغيرها ، واستهلوا قصائدهم بالغزل ، أو الحديث عن الخمرة ، أو وصف الطبيعة ، وكذلك حرصوا على تحسين الانتقال إلى الغرض الأصلي للقصيدة فاستخدموا أدوات الربط ، مثل كأن المخففة أو الثقيلة والكاف ، والواو ، والفاء ، و أو ، وأساليب الشرط والقصر والاستفهام غير الحقيقي ؛ لإيهام المتلقي باتصال المعنى داخل السياقات المختلفة وانسيابه انسياباً عفوياً ، أما القصائد التي تصف المعارك ففيها يهجم الشاعر على موضوعه دون أن يمهد له بغزل أو نحوه ، وهذا النهج سلكه الشعراء العباسيون وابن زيدون على حدٍّ سواء ، وكذلك اهتموا بالخاتمة لأنها آخر ما يبقى في الأذهان ، وقد استجابوا في ذلك لتوجيهات النقاد الذين اشترطوا وجوب تضمين خواتيم القصائد حكمة بالغة ، أو مثلاً سائراً ، أو تشبيهاً بديعاً ، من أجل إثارة انفعال الممدوح وإطلاق يده بالمكافأة و إجزال الهدية .

ودرس في المبحث الثاني " أثر الشعراء الثلاثة في شعر ابن زيدون في المعجم الشعري "، ومن خلال البحث لُحِظَ أن معجم ابن زيدون الشعري قد اتفق مع معجم الشعراء العباسيين من حيث حشد الثقافات المتعددة في أشعارهم ، كالثقافة الدينية ، والأدبية ، والتاريخية ، والتراثية ، كما اتفق معهم في معجم الطبيعة في سياق الربيع والنباتات ، والمعجم المائي ، وهو معجم قريب الصلة بغرض المديح .

كما اتفق ابن زيدون مع الشعراء العباسيين في المعجم الحيواني المتمثل في الإكثار من ألفاظ الخيول والأسود ، وهي ألفاظ غالباً ما ترد في سياق المدح والفخر ، ومن الألفاظ التي كثر ورودها في معجمهم الشعري ألفاظ السيوف وما يتعلق بها .

وتناول المبحث الثالث أثر شعراء العصر العباسي في شعر ابن زيدون في المحسنات البديعية ومن خلال البحث اتضح أن ابن زيدون قد اتفق مع البحتري في الفن الشعري والصنعة الشعرية ، من حيث سهولة اللفظ ووضوح المعنى وتجنب التعقيد والفلسفة ، والإكثار من الطباق بنوع خاص في سهولة ويسر ولين ، واتفق مع أبي تمام في الإكثار من الجناس ، ولكنه لم يتكلفه أو يتصنعه ، وإنما جاء سهلاً طوعاً حسب الحاجة ، كما اتفق معهم في التصريع ، والترصيع ، وحسن التقسيم .

فكل هذه التأثيرات والتأثرات تدل على اعتزاز ابن زيدون بشعره الذي ورثه من الشعراء العباسيين ، وإصراره على ربط شعره بشعرهم وأنه جزء منه ، حتى لو بعُد المكان .

وهناك حقيقة يجب أن يشير إليها الباحث ، وهي : إذا كان ابن زيدون قد تأثر بأبي تمام والبحتري والمتنبي ، في بعض المعاني ، وعارض بعض قصائدهم ، وضمن بعض قصائده أبياتاً من أبياتهم ، وأن هذه المباحث ، تدل على الاعجاب والتأثر والمتابعة لهم ؛ فإن ما ورد في مباحث الفصل الثاني ، تعد اتفاقاً بين الشعراء ؛ لأنها معانٍ مشتركة بينهم .

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة ووضعتُها موضعها الصحيح ، وأن تكون هذه التأثيرات قد حددت مسار ابن زيدون في طريقة تعامله مع شعراء العصر العباسي .

الباحث

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم ، برواية حفص عن عاصم .

أولاً ، المصـــــادر :

- **ابن الآبار** ، (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي) ، التكملة لكتاب الصلة ، نشر عزت العطار الحسيني ـ القاهرة ، سنة 1955 م .
- الحلة السيراء ، الجزء الأول ، والثاني ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ـ القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1985.
- **ابن الأثير** ، (ضياء الدين) ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، الجزء الثالث ، تحقيق أحمد الحوفي ، والدكتور بدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، د / ت .
- **امرؤ القيس** ، ديوانه ، شرح عبد الرحمن المسطاوي ، دار المعرفة بيروت ـ لبنان ، الطبعة الثانية ، 2004 .
- **البحتري** : (أبو عبادة الوليد بن عبد الله) ، ديوانه (1 ـ 4) ، شرح وتعليق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ـ القاهرة ،الطبعة الثالثة ، د / ت .
- **ابن بسام** : (أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني) ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، الجزء الأول ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ـ بيروت ، طبعة / 1997 .
- **أبو تمام** : (حبيب بن أوس) ، ديوانه (1 ـ 2) ، شرح الخطيب التبريزي ، قدم له راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، طبعة / 1994.

الجاحظ ، (أبو عثمان عمرو بن بحر) الحيوان ، الجزء الأول ، تحقيق ، عبد السلام هارون ، دار الجبل ـ بيروت ، 1988 .

- **ابن حزم الأندلسي** ، (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) جمهرة أنساب العرب ، الجزء الأول ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ـ مصر ، الطبعة الخامسة ، 1982 .

- **الحموي** ، ابن حجة ، خزانة الأدب وغاية الأرب تحقيق عصام شعيتو ، الجزء الثاني ، دار الهلال ـ بيروت ، الطبعة الثانية 1991 .
- **الحميدي** ، (أبو عبد الله محمد أبي النصر فتّوح بن عبد الله الأزدي) ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، إدارة إحياء التراث ، 1966.

- **ابن خاقان** ، (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي) ، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، تحقيق حسين يوسف خربوش ، مكتبة المنار ـ الأردن ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى 1989 .
- **ابن خير** : (أبو بكر محمد بن خير) ، فهرسة ما رواه عن شيوخه ، الجزء الثاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1989.
- **الذبياني** ، النابغة ، الديوان ، تقديم عباس الساتر ، دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1996 .
- **ابن رشيق** ، الحسن ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ، الجزء الأول ، والثاني ، الطبعة الثالثة ، 1963.
- **الزبيدي** ، (أبو بكر محمد بن الحسن) ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ـ القاهرة ، الطبعة الثانية ، د /ت .
- **الزركلي** ، خير الدين ، الأعلام ، الجزء الثالث ، دار العلم للملايين ـ لبنان ، الطبعة الخامسة عشرة ، 2002 .
- **ابن زيدون** ، (أبو الوليد أحمد بن عبد الله) ، الديوان ، تحقيق يوسف فرحات دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط 1994 .

وكذلك (ديوانه ورسائله ، شرح وتحقيق علي عبد العظيم ، نهضة مصر ، 1957) .

- **الصفدي** ، (خليل ابن أيبك) ، تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، 1969 .
- الوافي بالوفيات ، الجزء السابع ، تحقيق أحمد الأرناؤوط ـ و تركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى ، 2000 .
- **الضبي** ، (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ت / 599 هـ) ، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ،أعتنى به إدارة إحياء التراث ، دار الكتاب العربي ـ القاهرة ،1967 .
- **العسكري** ، أبوهلال ، جمهرة الأمثال ، الجزء الأول ، والثاني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، و عبد الحميد قطامش ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1988.

ـ كتاب الصناعتين ، الكتابة والشعر ، تحقيق علي البجاوي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1952 .

ـ **الفحل** ، (علقمة بن عبدة) ، الديوان ، شرح الأعلم الشنتمري ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ، 1993 .

ابن الفرضي ، (أبو الوليد عبد الله بن محمد) ، تاريخ علماء الأندلس ، الجزء الأول ، دار الكتاب المصري القاهرة ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، الطبعة الثانية ، 1989 .

ـ **ابن قتيبة** ،(أبي محمد عبد الله بن مسلم) ، الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ـ القاهرة ، 1966 .

ـ **قدامة** ، (أبو الفرج ـ ت 337 هـ) ، نقد الشعر ، الطبعة الثالثة ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1978.

ـ **القزويني** ، (جلالا الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب) ، التلخيص في علوم البلاغة ، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، 1904.

ـ **القرطاجني** : (أبو الحسن ، حازم) ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بالخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1981 .

ـ **المتنبي** : (أحمد بن الحسين) ، ديوانه (1 ـ 4) ، شرح العكبري ، ضبطه مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ـ بيروت ، د / ت .

ـ ابن المعتز ، كتاب البديع ، اعتنى به إغناطيوس كراتشقوفسكي ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثالثة 1982 .

ـ **ابن معصوم المدني** ، (السيد علي صدر الدين 1052 - 1120) ، أنوار الربيع في أنواع البديع ، الجزء الثالث ، والخامس ، تحقيق شاكر هادي شكر ، الطبعة الأولى ، مكتبة العرفان ـ بكربلاء ـ العراق ،1969 .

ـ **المقري** ، (أحمد بن محمد) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الجزء الأول ، والجزء الثالث ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ـ بيروت ، 1988.

ـ **ابن منظور** ، لسان العرب ،تحقيق عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، الجزء الرابع ، دار المعارف ـ القاهرة ، د / ت .

- **الميداني** ، مجمع الأمثال ، الجزء الأول ، والثاني ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1972 .
- **ابن نباته** ، المصري ، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ت محمد أبو الفضل إبراهيم ، صيدا- بيروت ،1964.

ثانياً ، المـــــــراجع :

- **ابراهيم** ، مصطفي عبدالرحيم ، في النقد الأدبي عند العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، 1998.
- **أنيس** ، د . إبراهيم ، موسيقى الشعر ، الأنجلو المصرية - القاهرة ، الطبعة الخامسة ، 1981.
- **بالنثيا** ، آنجل جنثالث ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة 1955 .
- **بدوي** ، أحمد أحمد ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، مكتبة نهضة مصر ، الطبعة الثالثة ، 1964 .
- **البستاني** ، بطرس ، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ، دار الثقافة بيروت ، الطبعة السادسة ، 1968 .
- **بيريس** ، هنري ، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف (ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية) ، ترجمة الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1988 .
- **تبرماسين** ، عبد الرحمن ، البنية الإيقاعية للقصيدة الجزائرية ، دار الفجر للتوزيع والنشر ، الطبعة الثانية ، 2003 .
- **التطاوي** ، د . عبدالله ، الحركة الشعرية بين الإبداع والنقد ، مستوى الرؤية والتجربة في إبداع المتنبي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2007 .
- المعارضة الشعرية بين التقليد والإبداع ، دار الثقافة ، الفجالة ، مصر ، 1988 .
- **جرار** ، د . صلاح ، قراءات في الشعر الأندلسي ، دار المسيرة ، الأر دن ، الطبعة الأولى ، 2007 .
- **الجمل** ، د . إيمان ، المعارضات في الشعر الأندلسي ، دار الوفاء الإسكندرية ، الطبعة الأولى ، سنة 2007.

- **جوميث** ، إميليو جارثيا ، الشعر الأندلسي ، بحث في تطوره وخصائصه ، ترجمة د. حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط 3 ، 1969.
- **أبو حاتم** ، نبيل خليل ، اتجاهات الشعر العربي في القر الرابع الهجري ، دار الثقافة ـ الدوحة ، 1985.
- **حسن** ، حسن جاد ، ابن زيدون عصره ـ حياته ـ أدبه ، المطبعة المنيرية بالأزهر ، 1955 .
- **دعدور** ، أشرف علي ، الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي الأندلسي ، مكتبة نهضة الشرق ، (د . ت) ، القاهرة .
- **الدقاق** ، د . عمر ، ملامح الشعر الأندلسي، دار الشرق ـ بيروت ، 1974.
- **الركابي** ، جودت ، الطبيعة في الشعر الأندلسي ، مكتبة أطلس ، دمشق ، الطبعة الثانية ، 1970 .
- في الأدب الأندلسي ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، 1975 .
- **رومية ، وهب** ، شعر ابن زيدون قراءة جديدة ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، 2014 .
- **السعيد** ، محمد مجيد ، الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس ، الدار العربية للموسوعات ، الطبعة الثانية ، 1985.
- **سلامة** ، علي محمد ،الأدب العربي في الأندلس تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ـ لبنان ، 1989 .
- **سلطان** ، منير ، البديع تأصيل وتجديد ، منشأة المعارف ـ الإسكندرية ، 1986
- **الشايب** ، أحمد ، تاريخ النقائض في الشعر العربي ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السعادة ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1954
- **ابن شريفة** ، محمد ، أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة ،دار الغرب الإسلامي بيروت ، الطبعة الأولى ، 1986 .
- **الشكعة** ، مصطفى ، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثامنة ، 1995.
- **الشناوي** ، د . علي محمد ، المعارضات في الشعر الأندلسي ـ القصيدة العباسية نموذجاً ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2003 .
- **شيخة** ، جمعة ، عصر ابن زيدون ، مؤسسة البابطين ، الكويت ، 2004

- **الصابوني** ، محمد ، الموجز في البلاغة العربية والعروض ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1998.
- **صعدور** ، أشرف علي ، الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة ، مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة ، 1996 .
- **ضيف** ، شوقي ، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) ، دار المعارف ، الطبعة العشرون ، 2002 .
- تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات ـ الأندلس ـ دار المعارف ، الطبعة الثانية 1989.
- تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة السادسة عشر.
- تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية عشر .
- ابن زيدون ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، د / ت .
- فصول من الشعر ونقده ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، 1988 .
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، دار المعارف ، الطبعة الحادية عشرة / 1960 .
- في التراث والشعر واللغة ، دار المعارف ، القاهرة ، 1987.
- **الطرابلسي** ، محمد الهادي ، خصائص الأسلوب في الشوقيات ، منشورات الجامعة التونسية ، طبع بالمطابع الرسمية بالجمهورية التونسية ، 1981.
- **عاصي** ، د. ميشال ، الشعر والبيئة في الأندلس ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1970 .
- **عباس** ، إحسان ، تاريخ الأدب الأندلسي " عصر سيادة قرطبة " دار الثقافة بيروت ، الطبعة السابعة ، د / ت .
- **عبد الرحيم** ، مصطفى عليان ، تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة الأولى 1984 .
- **عبد العظيم** ، علي ، ابن زيدون ، سلسلة أعلام الفكر ، دار الكاتب العربي ـ القاهرة ،1967.
- ابن زيدون عصره وحياته وأدبه ، مكتبة الأنجلو المصرية ، طبعة / 1955.
- **عنان** ، محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ، الجزء الأول ، مكتبة الأسرة برعاية السيدة سوزان مبارك ، 2001 .

- **الغزيوي** ، علي ، أدب السياسة والحرب في الأندلس من الفتح إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، مكتبة المعارف الرباط ،1987.
- **الفقي** ، عصام عبد الرؤوف ، تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة نهضة الشرق / القاهرة ، 1984 .
- **هيكل** ، أحمد ، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثامنة ، 1982.

ثالثاً ، الرسائل الجامعية :

- **إبراهيم** ، هند ماهر أبو العطا ، تطور المعجم الشعري في شعر الطبيعة في العصر العباسي ، رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ـ القاهرة ، 2005 .
- **أسعد** ، محمد جاسر جبالي ، الاستعطاف في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف (422 ـ 484) ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح ، نابلس ـ فلسطين ،2003 .
- **البداينة** ، خالد فرحان ، التكرار في شعر العصر العباسي الأول ، رسالة دكتوراه ، جامعة مؤتة ـ الأردن ، 2006 .
- **حسن** ، رائدة زهدي رشيد ، الماء في شعر البحتري وابن زيدون " دراسة موازنة " رسالة ماجستير ، جامعة النجاح ـ فلسطين ، 2009 .
- **السهلي** ، إبراهيم بن موسى أثر شعر المحدثين العباسيين في الشعر الأندلسي ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، سنة 1994.
- **السيد** ، أحمد كامل ، البنيات الأسلوبية في شعر ابن هانئ الأندلسي ، رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ـ الإسكندرية 2003 .
- **عبد القادر** ، محمد سلمان السعدي ، الشعر في عصر ملوك الطوائف بالأندلس (دراسة في الدلالات اللغوية والتشكيلات الفنية) ، رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس ـ القاهرة ، 1983 .
- **كروم** ، بومدين ، الطبيعة في شعر ابن خفاجة الأندلسي ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، سنة 1983

- **نجا** ، أشرف محمود حنفي ، قصيدة المديح في الأندلس عصر الطوائف " دراسة فنية " ، رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ، الإسكندرية ، 1994 .

رابعاً ، البحوث ، والمجـــــلات :

- **بعيون** ، سهى ، مقال بعنوان (شعر ابن زيدون) ، مجلة الرافد ، دار الثقافة والأعلام ، الشارقة ، عدد 10 ، لسنة ، 2010 .
- **خوليان ريبيرا** ، مقال بعنوان المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية ، ترجمة جمال محمد محرز ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، مايو 1958.
- **عمايرة** ، الدكتورة حنان إسماعيل أحمد ، الأثر المشرقي في شعر ابن خفاجة الأندلسي ، مجلة جامعة دمشق – المجلد 27 ، العدد الاول + الثاني 2011 .
- **http://www.alfaseeh.com/** ، شبكة الفصيح ، منتدى اللغة العربية ،تحليل قصيدة أبي تمام يرثي فيها محمد بن حميد .